

**الموت بنكهة الريحان**



## دار دريم بن للطباعة والنشر

العنوان : مدينة العبور - الحي السادس فيلا ٨ مدخل ١

هاتف : 010003288596

بريد إلكتروني : [Dream.pen92@gmail.com](mailto:Dream.pen92@gmail.com) @[yahoo.com](mailto:Dream.pen92@yahoo.com)

---

### الموت بنكهة الريحان

أحمد العدل

الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠١٩م

غلاف : إسلام مجاهد

التصميم والمراجعة اللغوية: الديوان للتصميم وخدمات النشر

رقم الإيداع : ؟؟؟؟ / 2019

I.S.B.N: 978-977-488-???-4

---

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونياً نسخاً أو تسجيلاً أو تخزيناً، دون إذن خطي من الدار

# الموت بنكهة الريحان

رواية

أحمد العدل





## إهداء خاص

أكتبه لها

تلك الحروف لم تظهر حينما كُتبت بالأحبار، لكنها حُفِرَت على  
السطور بعدما كتبتها بحبر قلبي، لتكن صفحاتها نابضة.. بك.. ولكِ

نجم الدين



## شكر و تقدير

عائلتي.. والداى و أخواتى، لم يكن لذلك القلم أن يكتب كلمة بدون  
ثقتكم، فلا حرمني الله وجودكم..شكر خاص لأمى الغالية و التى  
تؤمن بي دائما وكانت لي خير داعم  
عائلتى الكبيرة، أهلي ورفاقي بعائلة أسرار الكتب، دون دعمكم  
وثقتكم لم يكن لهذا الكتاب أن يظهر، شكر خاص على الثقة  
لأستاذة وفاء حامد صاحبت التوجيه و الدعم، لن أنسى تلك الدفعة  
مدى الحياة و أتمنى أن تكون عند حسن الظن  
الأستاذة دينا أحمد أشركك جدا على ثقتك فيما كتبت و الثقة  
بتلك الحروف و أدعو الله أن تظل دائما، إن طال بي العمر لن  
أستطيع أن أفى قدركما عندي، لن أنسى باقى أفراد العائلة فى  
دعمهم و تقديرهم فلهم منى بالغ الشكر و التحايا  
أسرة دريم بن، أشركم على الثقة و أتمنى من الله أن أكون عند  
حسن الظن



## لحظة من فضلك..

لا تقرأ هذا المحتوى قبل وصولك لغرفتك.

بادئاً قبل ذى بدء، سوف يتساءل البعض لماذا أكتب عن قضية ليست ظاهرة بساحة المجتمع المصري؟ ما السبب الذى دفع ذلك القلم للغوص ببحر مجهول؟ لماذا ينبش بالقبور؟ سأخبركم شيئاً بسيطاً جداً.. اختفاء الفكرة لا يعنى انعدامها، فما خلف الأبواب المغلقة لا تراه عين، ولا تسمعه أذن إلا المتلصّصين، لا يوجد لديكم دليل أن تلك القضية لا تحدث بالمجتمع، لكن سادع لكم البحث عن الأصوات التى تتنادى بها ولها.

القتل الرحيم، موت الرحمة، القتل بدافع الشفقة كلها مصطلحات تحمل نفس المعنى، تعنى ممارسة إنهاء حياة إنسان بهدف تخفيف معاناته أو ألمه، لكن دعنى أسألك سؤالاً هاماً، هل سألت نفسك يوماً لماذا خصك الإنسان بتلك المعاناة؟

ستجد جواباً ذلك بين السطور، كن مستعداً لهذا وعليك أن تفكر جيداً بكل كلمة تقع عليها عينك ولا تدعها تمر دون تفكير. لا أريد أن أطيل عليكم للدخول بتلك الملحمة، سأقول كلمة أخيرة قبل الذهاب.. لا تقفز بالماء وأنت لا تجيد السباحة. الروح أمانة.. والحياة هبة الخالق..



## الفصل الأول

الحادى عشر من نوفمبر ٢٠١٤ ...

موسم الخريف..

تساقط أوراق الشجر من على أغصانها اليابسة يشبه كثيرا تساقط الأيام من على ظهر كهل مرتجل من ركب الحياة ، لكنه يحمل خلف مُحياه تجاعيد الأيام التى تندر أن العام على مشارف النهاية ، موت عام و ميلاد عام جديد من رحم الزمن.

لا أدرى هل تلك حالة عامة فى ذلك الوقت أم حالة ارتسمت على جدران منزل العقيد إبراهيم عبد العزيز ، على الرغم أن ذلك المنزل فى الماضى كان يكسوه الربيع الدائم حتى فى الشتاء و البرد القارص ، لكن ذلك المنزل كان يرتوى بماء المطر لتزهو داخله الحياة على صوت ضحكات العقيد وزوجته كاميليا الحسناء.

ربما نسى أحدهم نافذة المنزل مفتوحة ذات خريف ليتسلل الحزن داخله حتى بات ذلك المنزل مرتعا لأشباح السعادة تختبئ من واقع الحزن المترامى على جدرانہ.. ذات خريف شاب ذلك المنزل و أرتجل عنه الفرح لتسكنه الذكريات

السابعة صباحا.. تتسلل كاميليا داخل غرفة العقيد النائمة ، صاحبة الثمانية و أربعين عاما ، الممشوقة القوام و التى ظهر على ملامحها بعض ندوب العمر على شكل تجاعيد خفيفة

تحيط العينين، لكن تلك التجاعيد لم تفلح فى إخفاء جمال عينيها المتشحة بالحزن، تتجه بخطوات ثابتة نحو نافذة الغرفة لتزيح الستائر عنها كى تسمح لأعين النهار النظر داخل الغرفة و أصابع النور تضع لمستها الصباحية على وجه النائم..تتجه صوب المنضدة الموازية للسريير تضع عليها منشفة كبيرة بيضاء و تذهب أخيرا للسريير كى تزيح عنه ستارة أخرى تحيطه أشبه بالناموسية المستخدمة للحماية من الحشرات، ثم تجلس على حافة السريير بجوار قدم إبراهيم النائم.. أو المستلقى على الفراش و كأنه نائم.

الروتين اليومى المعتاد منذ إحدى عشر عاما منصرمة، تساعد كاميليا زوجها جليس الفراش منذ إصابته بحادث فقد عن اثره القدرة على حركة أطرافه الأربع بعد قطع بالحبل الشوكى، لتنتهى معه حياته المهنية كعقيد بالجيش المصرى أمضى حياته فى محاربة أعداء بلاده ليبدأ حربه الخاصة بمحاربة مرضه اللعين بسلاح واحد لا يملك غيره و هو الإبتسامة.. فقط.

تبدأ كاميليا بإزاحة ملابسه قطعة تلو الأخرى حتى تبدأ بتطهير جسده من الداخل بتلك المنشفة البيضاء المبللة بالماء الدافئ، لينظر لها إبراهيم نظرة طفولية مبتسما و هو يقول:

«متى سيكبر ذلك الطفل الصغير لينهض من فراشه و يبدل

ثيابه بنفسه و يستحم دون مساعدة أمه الجميلة؟»

نظرت له مبتسمة و هى تداعب وجنته فى حنان حين قالت:

«ومن قال لك أن تلك الأم تريد طفلها أن يكبر و يستحم

---

بمفرده؟ و لو مرت إحدى عشر عاما أخرى ستظل طفلى الوديع  
الذى أألفه و أبدل له ثيابه فى فرح كل صباح يا صغيرى  
المدلل».

رمقها بطرف عينيه فى خبث دون أن ينطق و لكنه إبتسم ،  
حينها قالت له :

« كف عن تلك النظرة أيها العرييد الصغير فأنا أعرف ما  
خلفها».

وتبادلا ضحكات خفيفة.. ربما كانت على شكل ضحكة  
و لكنها مغلفة بالآلم الذى حملته لهم سنوات من المعاناة ثم  
الوحدة ، فذلك البيت خال من البشر ، لم ينعم عليهما الله  
بالذرية ، و انقطع غصن الأصدقاء عن تلك الشجرة إلا القليل  
الذى يأتى من كل فترة ليتفقد حال ذلك العاجز و زوجته ، أو  
ربما تتناقل الخطوات فيكتفى بمحادثة هاتفية ، عدا ذلك توجد  
ممرضة العقيد و التى تأتى كل يوم فى الواحدة ظهرا لتباشر  
صحته ، ثم تنصرف الساعة التاسعة ليلا فيصبح البيت خال تمام  
من أى معالم للحياة غير أنفاس الزوجين المحبوسة خلف ضلوع  
ملتهبة أشعلها الحزن.

تذهب بعدها كاميليا لإحضار وجبة الإفطار ، ذلك المحروم  
من النظر خارج نافذة الغرفة و لكنه أصبح يملك بصيرة حادة  
تُمكنه من الخروج خارج جدران الغرفة يتسم نسيم الخريف  
الصباحى و ينعم بلحظات تخطو فيها روحه نحو اللامكان حيث  
يرسم فى مخيلته تلك الحديقة خارج منزله و التى لا يراها إلا  
صدفة من على كرسيه المتحرك ، وعلى الرغم من تلك المعاناة

التي تستمر منذ أعوام؛ إلا أنه أخذ يدندن بأغنية أم كلثوم (يا صباح الخير ياللى معانا)، يردد كلماتها فى تناسق ويشدو بصافرة خفيفة على شفثيه الصغيرة.

حينما اقتربت كاميليا من باب الغرفة؛ كان لازال يدندن بكلمات الأغنية لكنها توقفت عن الحركة، لم تستطع كبح جماح قطرات الدمع المحبوسة خلف عينيها.. وتلك التساؤلات تكاد تقتل الإستيعاب لديها، كيف يحتمل تلك المعاناة و قلما يفصح عما بداخله؟ أحد عشر عاما جليس الفراش لا يشعر حتى حينما يقضى حاجته ولا يُظهر إحراجه من زوجته حينما تبدل له ثيابه المتسخة من فضلاته!!.. حتى ابن أخيه والذى بمثابة ابنه و صديقه الوحيد والذى يصارع الموت هو الآخر حبيس غيبوبة استمرت عام وأكثر الآن بعد حادث تفجير فى رفح؟ لقد أصبح وحيدا تماما ويخفى معاناته حتى عن أقرب الأقربين، ولكن أين هم الأقربين؟ انه وحيد تماما منعزل، ربما يتهرب من الناس حتى لا يرى الشفقة فى أعينهم.

استجمعت قواها بعد تلك الدمعات الهاربة من محبسها كى تناوله طعام إفطاره و عقاقيه، لكن قلبها لم يهدأ، حينما قررت الدخول عليه فى تلك اللحظة و لم تقاطعه حيث استكمل الدندنة و هى لم تلتفت نحوه واضعة الافطار على المنضدة، ثم اجلسته على السرير و جلست أمامه تماما حينما نظر داخل عينيها قائلا:

« نسييتى أن تمسحى الدمعة المنسابة من تلك العينين، ربما أنا عاجز لا أتحرك و لكن لازالت عيني بخير يا جميلتى». لم

تقاطعه و لكنها نظرت له و حملت كفيه بين يديها لتطبع عليهما قبلة دافئة ، لن يشعر بتلامس شفثتها و لكن قلبه شعر بما هو أكبر ، شعر بحنان تلك الزوجة التي تحارب معه و لم تياس لحظة.

تناولا معا طعام الإفطار و من بعدها عقاقيه الصباحية ، وكالعادة اليومية كان موعد تصفح الجريدة ذلك الشئ الذى يبقيه فى اتصال مع العالم قليلا ، أخذت تقراً له تفاصيل الأخبار و هو ينظر تجاه النافذة فى لا مبالاة ، حينما توقفت عن القراءة و قالت:

«لا جديد اليوم حتى حالة الطقس مستقرة و الهدوء.....» قاطعها و هو لازال ينظر للنافذة قائلاً:

«لقد رأيت سمير ليلة أمس بمنامى ، كان يتألم و يشير إلى من بعيد كأنه يودعنى ، عام و أكثر بالغيوبة و لا جديد ، ذلك الشاب الصغير الذى دخل فى صراع مع الموت هو الآخر ، لا أدرى لما يجذبنا الموت نحوه من أطراف أقدامنا و يتركنا للحياة مرة أخرى نصف أحياء نتعذب ، لما هذا الصغير؟ لما؟!».

زادت معاناة إبراهيم بعدما حل بسمير ، كان كإبنه و أكثر و لا يتركه فى إجازات عمله قط ، حتى حدث ذلك الحادث الإرهابى و سقط فى براثن الغيوبة يصارع الموت ، منذ ذلك الحين و تحولت حياة إبراهيم للون أسود و عيناه لا ترى سوى الخريف ، حتى مع ابتسامته و محاولاته البائسة فى قتل عجزه أو تخديره لسويغات قليلة كى ينعم بحياة هادئة و لكن لا الحياة ساعدته و لا الموت أراحه.

مر الوقت بتثاقل رهيب حتى دقت الساعة معلنة تمام الواحدة ظهرها ليدق الباب، إنه موعد قدوم نجوى، ممرضة العقيد الشابة و التي تتأوب حالته منذ ثلاثة أعوام دون إنقطاع و التي تحب العقيد و زوجته كأبويها و كذلك هما، تفتح كاميليا الباب لتستقبلها، فتاة جميلة قصيرة القامة ذات جسد ممتلئ قليلا و شعر أسود طويل منسدل خلفها، دائمة الإبتسامة و كانت كاميليا تحب إبتسمتها كثيرا، ليتبادلا التحية قبل أن تدخل نجوى فى هدوء و تغلق من خلفها الباب.

تستأذن نجوى بالدخول لغرفة إبراهيم الجالس على كرسيه المتحرك أمام النافذة، فيأذن لها بالدخول لتبدأ بمزاولة عملها دون تردد و الإطمئنان على حالته قبل إعطائه جلسة التنفس، بعد أن أنهت الجلسة باغتها بسؤال:

«هل تحدثتى مع الدكتور جورج بخصوص سمير؟»

نظرت إلى النافذة محاولة إخفاء شعورها بالحزن، و لكن قد أكل الحزن لسانها و لم تقوى على النطق بينما كرر عليها إبراهيم سؤاله، هنا نظرت له قائلة:

«ذهبت إليه اليوم قبل حضوري، أخبرنى أن الحالة كما هى و أن الخبر الألمانى قد إطلع على ملف حالته كاملة و أخبره....»  
لم تستطع إكمال الجملة بلسانها و أكملتها بسيل من الدموع و هى تنظر صوب كاميليا التى كانت تستمع إليهما عند باب الغرفة، لتسود من بعدها حالة من الصمت القاتل، قبل أن يقطعه صوت إبراهيم الممتلئ بالحزن قائلاً:

---

«لقد إستسلم سمير سريعا و ترك يدي هو الآخر ، كنت أعلم أن ذلك الشاب سوف يخسر عراكه مع الموت ليقع فيه ، ولكنه ما زال معلقا على أسوار الحياة بانتظار تذكرة الذهاب». نظرت إليه كاميليا فى غضب قائلة:

«ماذا تقول ؟ الطبيب لم يخبرك بوفاته وهو لا زال بيننا ، ما الذى جعلك تقول ذلك الآن؟ إنه ابنى مثلما هو ابنك ، لا تفعل أرجووك».

أجابها وهو يصرخ منفعلا:

«إنها الحقيقة ، سمير ليس إلا جسد معلق ببعض الأجهزة ، أخبرنى جورج أنه بانتظار تقرير ذلك الخبير إن كان هناك جديد أو إن سمير مات إكلينيكيًا كما يقولون ، أنا أخفيت ذلك عنك نعم ، و لم أنوى أن أخبرك و لولا أنك استمعتى لحوارى مع نجوى لن أخبرك».

اقتربت منه كاميليا فى انفعال شديد ، وقفت أمامه مباشرة وقبل أن تتطرق بشئ صرخ فيها مع نظرة حادة لم تعهدها قائلاً:

«اتركونى الآن ، لا أريد أحد هنا.. هيا أغربوا عن وجهى بسرعة».

الألم.. كلمة قصيرة جدا ذات معنى لا يقارن بحجم حروفها ، خاصة لشخص أجبرته الحياة على التعلق بينها وبين الموت ، شخص كان يحارب المعاناة بمن حوله و لكنه اكتشف أنه كل يوم يخسر شخص ، كرقعة شطرنج كان ابراهيم يخوض حياته ضد الموت ، خسر أغلب جنوده بتلك الرقعة ، و الآن يخسر

وزيره سمير و يسلمه للموت ، لقد انكشفت الرقعة و أصبح وحيدا تماما ، فما كان منه إلا أن يصرخ بزوجته و البيدق الأخير لديه ، لكنه فعل ذلك كي تفسح له الطريق كي يبكي.. نعم لقد وصل لحافة الهاوية و لأبد من الانفجار بالبكاء أخيرا بعد تلك السنوات.

ثلاث ساعات قضاها وحده دون أن يزعجه أحد لم تنقطع دموعه لحظة حتى ابتل قميصه و تحولت عيناه لقطعة من الجمر الملتهب ، حتى قاطعته نجوى بطلب الاستذان ، رد عليها فى انكسار:

«ماذا هناك؟» ردت عليه فى هدوء أن الدكتور جورج يرغب بالتحدث إليه ، فسمح لها بالدخول كي يرد عليه ، دون أن ينظر لها بدأ حديثه مع الطبيب قائلاً:

«جورج كيف حالك؟» جاء الرد عبر الهاتف:

«بخير يا إبراهيم.. أتمنى أن تكون أفضل اليوم» أجابه فى تهكم قائلاً:

«نعم بخير و على وشك الذهاب لصالة الألعاب الرياضية لبعض التمارين ، أخبرنى يا جورج عن وضع سمير».

صمت جورج قليلا يفكر بما سيقول ، لكنه أخيرا بدأ بالحديث قائلاً:

«فى الحقيقة لا أدرى كيف سأقول هذا لكن سيدى ال...».

قاطعه إبراهيم بغتة قائلاً:

«لقد فهمت ، إذن فقد حان الوقت لوداعه ، أرجوك ارسل لى

---

الأوراق المطلوبة غدا مع نجوى و سوف تختتمها كاميليا».

قاطعته جورج فى سرعة:

«لا تتسرع يا إبراهيم علينا أن..» حينما احدث نبرة صوت

إبراهيم قائلاً:

«عام وأكثر يتعذب وروحه معلقة، و أنت كل يوم تكرر

نفس الشئ، نفذ ما طلبت منك يا جورج».

هل كان أمرا عسكريا؟ هل كانت كلمات من واقع

الصدمة؟ هل كان حقا يعنى ما يقول وبتلك النبرة الصارمة

وكأنه يرسله إلى نزهة لا إلى الموت؟

الشئ الوحيد الذى لم يفهمه أحد غيره هو أن إبراهيم قطع

تذكرة ابن أخيه للعالم الآخر حتى يمنحه بذلك الموت سبيلا

للرحمة.



## الفصل الثاني

لم يضع جورج سماعة الهاتف مكانها وجمدت أطرافه كأن الوقت توقف به من الصدمة ، طوال عمله كطبيب و حتى خلال سنوات عمره الخمسين قد مرت عليه الكثير من الحالات و تتوعت ردود الأفعال عليها ، لكن ما فعله إبراهيم الآن كان صادما جدا لجورج.

طبيب العائلة و صديق العقيد منذ الطفولة و أكثر من يعرف حالته الصحية و النفسية ، كما يعرف جيدا من هو سمير بالنسبة له ، و على الرغم من تمام المعرفة قد صعقه الأمر ، لقد وقع العقيد على شهادة وفاة ابن أخيه ليخرجه من نفق الغيبوبة المظلمة إلى العالم الآخر الفسيح ، قتل بلون الرحمة.

بينما هو مستغرق في محاولة استيعاب ما حدث دخل عليه أحد زملائه المكاتب دون أن يشعر به ، لفت انتباه الطبيب الآخر حالة جورج و صمته على غير العادة ، فأقترب منه سائلا :

« جورج.. ماذا هناك ؟ » ، لم ينظر إليه جورج بينما يتناول ملف أبيض مكتوب عليه من الخارج ( نقيب / سمير إسماعيل عبد العزيز - غرفة ١٠٥ ) ، فتحه جورج في صمت و كأنه لم يسمع سؤال زميله الذى جلس بدوره أمام جورج و نظره يتناقل فى حيره ما بين ذلك الملف و بين جورج ، مرت ما يقرب الدقيقة على هذه الحالة قبل أن يغلق جورج الملف قبل أن يناوله لزميله الذى فتحه

بدوره قبل أن يتساءل:

«أليس هذا سمير ابن أخ العقيد إبراهيم عبد العزيز؟ حالة الغيبوبة؟»، أجابه جورج فى حزن:

«بلى هو، وهذا آخر تقرير عن الحالة أعده الطبيب هانز شنايدر أمس»، قرأ الطبيب الآخر التقرير حتى نهايته بينما ترتسم على وجهه علامات الحزن قبل أن يتمتم:

«عام وأربعة أشهر تقريبا، أظنه من الصعب جدا حدوث معجزة، هل من المحتمل أن يفكر العقيد الآن بنقله خارج البلاد؟».

نهض جورج من على كرسيه متجها ناحية النافذة دون أن ينظر إلى زميله الذى يتابعه فى ترقب لجوابه، توقف جورج أمام النافذة و عقد ذراعيه خلف ظهره وقال:

«لقد حسم إبراهيم الأمر و طلب توقيع الأوراق اللازمة لرفع الأجهزة عن سمير ليمنحه الراحة من تلك المعاناة»، صُغق الآخر مما سمع للتو، تعلق لسانه بين شفتيه و لم يتكلم ببنت شفه، إلى أن استدار جورج و نظر نحوه قائلا:

«أنا صديقه منذ الطفولة و على دراية تامة بحجم المعاناة التى عاشتها تلك العائلة منذ وفاة أخوه والد سمير و من بعده والدة سمير بالسرطان، ثم حادث إبراهيم و ما عايشته زوجته معه وأخيرا ذلك الشاب الذى كان ابنه و صديقه، حياة تلك الأسرة مزيج من الألم على الرغم من الدفء الذى كان يعم حياتهم، و على الرغم من كل ذلك صُغقت من رد إبراهيم و ما صعقتنى أكثر هو طريقة رده و الفصل فيها، نعم لا محال من ذلك فسمير

ميت و لكن رد إبراهيم كان سريعاً و حاد مما أربكنى». كان جورج يتحرك أثناء حديثه و ذلك الزميل لا ينظر إليه و كأن الصدمة أوقفت عقله و بات كتمثال من الشمع حتى أن جورج شك أنه قد سمع ما قاله للتو، حينها سأله جورج: «هل تظن أن هناك رد آخر لديه ١٩٩».

نظر إليه زميله و هو ينهض من على كرسيه متوجها نحوه، ثم قال:

«هذا التقرير و بيان الاجهزة يقول أن الأمر شبة محسوم، لكن هل نقوم بفحص أخير و عملية انعاش ربما تُجدي».

نظر إليه جورج و هو ما زال يفكر فى كلمات إبراهيم، ثم أومى إليه بالموافقة و توجه صوب باب المكتب للمغادرة.

هل ما نحن على وشك فعله صائب؟

هل يجب علي مناقشة إبراهيم فى ذلك القرار؟ على الرغم من فقدان الأمل فى الحالة ؟

عام أربعة أشهر و ذاك الشاب فى ثبات دون أى مؤشر للتحسن، و كل ما اطلع على تقاريره و تابع حالته أقر أنه حتى المعجزة فى تلك الحالة مستحيلة، عائلته لم تشتكى و لو ليوم من تكاليف المشفى و كان هناك أمل لديهم، و لكن ماذا حدث لإبراهيم كى يتخذ ذلك القرار الآن على الرغم من علمه منذ شهر مضى أنه لا أمل و لا حتى بالإعجاز؟

كانت نفسه تحدثه و هو يمشى ببطء فى ذلك الممر، لم يلتفت لأحد و كأنه يسير فى مبنى خال من البشر، و شبح علامة

استفهام يغزو تلابيب عقله يكاد يهتكها دون رحمة فالموقف يحمل الكثير، ما بين أمانته المهنية و ما يمليه عليه ضميره، و بين حُرمة الفعل و هل هو صائب أم لا على الرغم من أنه شائع لكنه يتعرض له للمرة الأولى، و بين كلمات إبراهيم الحادة و هل كان فى وعيه أم هى الصدمة أم إن حالته النفسية من جراء تلك المعاناة التى تصاحبه منذ سنوات قد تلاعبت بعقله و أصبح مشوشا لا يدرك ما الصواب من الخطأ؟

لكنه توقف فجأة ليجد نفسه أمام الغرفة ١٠٥ و لم يكن يعلم هل كان يقصدها منذ البداية أم انها لعبة من ألعاب القدر ولكن فى النهاية لقد قادته ساقاه للمكان المناسب، فتح باب الغرفة و دخل ليجد الممرضة المتابعة لحالة سمير تجلس جواره على كرسى، حين انتبهت لدخوله وقفت و ألفت عليه التحية دون رد منه، لتستقر قدماه أمام سرير سمير الغارق فى ثباته، كانت عيناه تتبادل متابعة الأجهزة المتصلة بسمير دون كلمة، حتى استقرت فى النهاية على وجه النائم، و فى تلك اللحظة قد طرأ فى ذهنه سؤال واحد فقط، هل تعلم كاميليا بقرار إبراهيم؟؟

ظل هذا السؤال عالق برأسه، حينها قرر أن يذهب بنفسه لمقابلتهما و يتحدث بالأمر، قبل أن يغادر قائلاً بصوت خافت يكاد لا يُسمع:

«فليسامحنا الرب»، و أغلق الباب خلفه ليفتح باب جديد..



بضع ساعات مرت على منزل إبراهيم دون حياة، فقط صوت قناة الأخبار فى غرفته حيث لازال يجلس فيها بمفرده، و نجوى كل ساعة تمر عليه، أما كاميليا فلم تذهب له قط بعد أن ثار عليهما و طلب منهما الخروج من الغرفة.

لم تعد تلك النبرة فى صوته، نعم فهو يشعر بالكثير من الألم بسبب حالة سمير و لكنها تخشى عليه أيضا و من تفكيره المنفرد تحت ضغط ما يعانیه، لكنها رأت أن تتركه يهدأ قليلا و تناقشه فيما بعد حتى لو كان قد اتخذ قرار، على الرغم من مخاوفها أن يكون قراره ما تفكر فيه.

لقد كان شاردا منذ أمس و اليوم ذكر حلمه بسمير أثناء الليل و كانت تشعر بشئ غريب فى صوته حتى مع إخبارها بما رأى فى حلمه و هى لم تعقب عليه بشئ، كل ما تخشاه الآن هو قراره، هل من الممكن أن يتخذ قرار؟

قطع تفكيرها دقائق الساعة معلنة تمام الساعة، توجهت صوب نجوى الجالسة فى غرفة المعيشة و التى كانت تحمل كتاب تقرأ فيه، حينما اقتربت منها كاميليا قائلة:

«هل تناول عقاقيره يا نجوى؟»، نظرت لها و هى تنهض من على الأريكة قائلة:

«نعم سيدتى تناولها بصعوبة دون أن ينطق شىء»، نظرت نجوى إليها ثم أكملت حديثها قائلة:

«شخصان مختلفان تماما يا سيدتى، من رأيتة اليوم و ذلك الشخص الذى يكتب تلك الخواطر الرومانسية الهادئة لمن

---

يحبها ، ربما يحملان نفس الاسم - إبراهيم عبد العزيز - وعلى الرغم مما يعانى منذ سنوات لم أعهده كالיום».

جلست كاميليا على الأريكة و أشارت لنجوى أن تجلس جوارها حينما قالت:

«حينما تزوجت إبراهيم كان لازال نقيب بالجيش ، فى البداية ظننته رجل عسكري قاسى المشاعر صلب القلب ، حتى ذات يوم حضر أمام المنزل و طرق الباب و تخفى على السلم بعد أن وضع لى باقة ورود حمراء و من تحتها ورقة مكتوب عليها لا تفتحى الورقة إلا بعد أن تشمى باقة الورد.» ، اعتدلت نجوى متحمسة لما ستقوله كاميليا التى أحمرت وجنتاها قبل أن تقول:

«نظرت على السلم فلم أجد أحد و لم أكن أتوقع ذلك الشئ منه ، فقد كان قليل الكلام مهذب جدا و خجول إلى حد كبير ، أو هذا ما كان يظهره». ارتسمت على وجهها ابتسامة عفوية رغم ما تحمله قبل أن تكمل قائلة :

«شممت الورد بالفعل قبل أن أفتح الورقة ، ثم قرأت ما فيها و الذى لا زلت أتذكرها حتى الآن ، كتب فيها (و لازلت أتسأل كيف احتل اسمك شفتاي ليلة أمس؟ و كيف رفع راية احتلاله لي دون حرب)».

نهضت كاميليا من مكانها و تحركت صوب صورته التى تتوسط حائط غرفة المعيشة ، نظرت له قليلا ثم باغتتها الدموع و هى تكمل حديثها فى أى قائلة :

«اليوم و لأول مرة يصرخ فى وجهى».

تسللت الدموع من مرقدها بغزارة، ربما لم تشعر كاميليا بنديها على تلك البشرة الشاحبة الحزينة والتي رسم عليها الألم خارطة طريق من الحزن، لم تحتاج لمرآة حتى تراها وربما كانت ندبات الروح أشد بروزا وأكثر عمقا.

نهضت نجوى هي الأخرى وتوجهت صوب كاميليا واحتضنتها وهي تمسح تلك الدموع عن وجنتيها، قبل أن ترفع كاميليا رأسها قائلة:

«عذابه اليوم ليس لأجل سمير فقط وأن كان هذا هو السبب الأكبر، ولكن معاملته لى هي الأخرى تعذبه لأنها لم تحدث من قبل إلا مرة عند وفاة والدة سمير و ظل يتألم بعدها عدة أيام لأنه صاح فى وجهى».

حاولت نجوى مواسبتها ببضع كلمات ربما تخفف عنها ولكنها لم تكن تعلم ما يعصف بذهنها، كانت تحمل فوق رأسها جبل من الحزن لو وزعتها على أهل الفرح لسقطوا غما فى بئر الحزن، حتى أنها كانت تتعجب كيف لتلك السيدة أن تتحمل كل هذا.

طلبت نجوى منها الإذن كي تذهب لغرفة إبراهيم قليلا، حيث كاميليا لم تفارق مكانها ولا زالت تنظر إلى صورته، لكنها لم تستطع أن تكبح لجام لسانها الذى نطق فى قلق متسائلا:

«ما الذى يدور فى عقلك يا إبراهيم وما الذى تتوى عليه؟!»  
كررت السؤال عدة مرات ولم يقطع ذاك التكرار إلا صوت

---

جرس الباب الذى يعلن عن قدوم زائر فى هذا الليل و دون موعد.  
توقفت سيارة جورج أمام منزل إبراهيم و بعدما ترجل منها  
و بدأ يخطو تجاه الباب تذكر أنه لم يتصل ليخبرهم بقدومه ،  
ربما عقله المنزحم بالتساؤلات قد أنساه ذكر ذلك ، فأخرج  
هاتفه المحمول محاولا الاتصال بكاميليا ليخبرها أنه بالخارج ،  
لكن لفت انتباهه شىء ، انها كاميليا تقف فى غرفة المعيشة  
تنظر لصورة زوجها ، فحاول الإقتراب من النافذة قليلا حتى سمع  
صوتها الخافت تتمم بكلمات لم يفهما ، فاستدار مرة أخرى  
متوجها صوب باب المنزل فى هدوء ، وقبل أن يدق جرس الباب  
تسائل فى نفسه:

هل تعلم كاميليا بقرار إبراهيم؟

هل أخبرها أن سمير مات إكلينيكيًا و عقله توقف عن

الاستجابة؟

طالما هو بالخارج فهذه التساؤلات لا جدوى لها و لن يجد  
جواب شاف ، فقرع جرس الباب ، قبل أن تفتح له نجوى التى  
رحبت به و سمحت له بالدخول قبل أن تذهب لتخبر كاميليا  
بقدومه.

كانت كاميليا قد استدارت ناحية باب غرفة المعيشة  
منتظرة نجوى لتخبرها من بالباب ، لكنها فورًا علمها أنه جورج  
ارتابت قبل أن تقول لنجوى:

«جورج فى هذا الوقت ؟ و دون اتصال؟».

طلبت من نجوى دعوته لغرفة المعيشة و احضار بعض من

القهوة لهما ، لكنها لم تتمالك نفسها من الفضول و توجهت صوب الباب لمقابلته ، حينما باغتته قائلة :

«جورج! هل حدث شيء؟»

ارتبك جورج من سؤالها مع قدومه دون خبر ، محاولاً أنا يتلافى خجله قائلاً :

«أعتذر جدا على الحضور المفاجئ» ، فدعته للدخول بعدما شعرت بإرتباكها من تساؤلها و أشارت لنجوى أن تذهب لتُعد القهوة ، جلس جورج على كرسى مواجهة لصورة إبراهيم وكاميليا على الكرسى المجاور ، تحك كفيها بحركة دائرية نتجت عن توترها و شعورها ببرد مفاجئ من تلك الزيارة ، فنظر جورج إلى حالتها و قد استنتج مما رأى انها لا تعرف شيء عن قرار زوجها.

اعتدل جورج فى جلسة و هو يقول :

«أخشى أن ما سأقوله سيزعجك يا كاميليا» ، تزداد ما قاله من حركة يدها و لكنها تجمدت فى انتظار ، قبل أن يُكمل :

«لن أطيل عليك خاصة مع حالة التوتر التى تشعرين بها ، للأسف لقد تدهورت حالة سمير و بعد فحص الخبير الألمانى لحالته أمس كتب تقريره الأخير ، لقد توقف المخ عن الإستجابة يا كاميليا و...».

انعقد لسان جورج فجأة و كأن القط أكل لسانه ، لقد جثت كاميليا لا شعوريا على ركبتها أمام جورج الذى نهض مسرعا مع خطوة ناحية اليسار مبتعدا عن كاميليا التى أمسكت طرف

---

بنطاله و هي فى حالة انهيار تام قائلة :

«أرجووك أفعل شىء أرجووك لا تتركه يذهب للموت يا جورج»، حاول جورج تمالك نفسه أمام كاميليا و التى انهارت تماما فجلست على الأرض و هى تبكى، فهى حتى لا تعرف بقرار زوجها و ربما كان ذلك فى عقلها و حاولت رفضه و لكنها فى حالة لن تساعده فى الحديث مع إبراهيم، لكنه أيقن أنه لا سبيل فبكل الأحوال سمير قد مات و لا سبيل للمعجزات فى هذه الحالة، و ربما قرار إبراهيم هو الصحيح، على الرغم من حالته النفسية طيلة اليوم ما بين المشفى و الطريق و التساؤلات التى خلقت ثقب فى رأسه، لقد نسى أنه طبيب و حكم على الحالة بعاطفية كونه صديق العائلة و سمير بمثابة ابنه، فحالته قبل قليل تشبه حالة كاميليا الآن و لكن واقع الأمر يقول أن سمير قد مات لا محالة و لا يجب أن نبالغ فى عذابه

بات جورج مشوشا الآن ما بين تعاطفه مع الحالة و ما بين ادراكه كطبيب أنه لا جدوى، بينما حاول جورج مساعدة كاميليا على النهوض؛ اتاه من خلفه صوت، هو نفس الصوت الذى كان يخشى سماعه على الرغم من أنه قادم كى يسمعه، صوت إبراهيم نفسه قائلا :

«هل أحضرت الأوراق بهذه السرعة؟»

كان جالس فى غرفته حين دق جرس الباب، حين ذهبت نجوى لتعد القهوة ناداها فهبت له مسرعة، و عرف منها أن الطارق كان جورج، طلب منها اصطحابه حيث هو، لكنه لم يلاحظ زوجته الجالسة على الأرض تبكى إلا بعد سؤاله لجورج، ربما

حتى لم يلاحظها إلا حينما صرخت به و هي على الأرض قائلة:  
 «أوراق؟ عن أى أوراق تسأل أنت؟ هل سترسله للموت هكذا؟  
 ماذا تفعل ماذا تفعل؟!».

هرعت نجوى تحاول أن توقفها على قدميها ، نهرتها بدفعة صغيرة و هي تنهض متجهة نحو زوجها ، و لكنها توقفت فجأة ثم جثت على ركبتها أمامه و أمسكت ساعدي الكرسي المتحرك بعدما نظرت إليه ، لقد كان يبكي و عيناه مشتعلتان حمرة ، لقد تأكدت أنه لم يكف عن البكاء منذ أن صرخ بوجهها طالبا الإنفراد بنفسه.

سجون الحزن التي فى قلوب الإنسان تملئها العتمة ، و كلما سجنا فيها حزن جديد اكتظت حتى امتلئت عن آخرها لتتلق الدموع من الحناجر ، و لكن نهر الدموع هذا كشلال يصعب اعتراضه ، طيلة سنوات كتم إبراهيم أحزانه خلف ضلوعه مقيدا إياها بسلاسل اللامبالاة تحت ستار الإبتسامة ، و لكنه تعب ، فكل منا طاقة تحمل ، ابنه و رفيقه أعلنوا موته و زوجته تنهار أمامه بعد سنوات من العناد مع الألم و هو لم يعد يملك بخزائنه أقنعة صبر يحاول أن يرتديها ، فثار البركان.

مدت كاميليا يدها تمسح عنه دموعه ، حينها تكلم إبراهيم باكيا كطفل صغير قائلاً:

«انتظرتك طيلة الوقت كى تمسحى تلك الدموع لكنك لم تأتى ، لقد شعرت بالبرد داخلى اليوم و لأول مرة» ، هنا احتضنته بقوة باكية و هي تقبل وجهه و عينيه ، حتى جورج اغرورقت عيناه

---

مما يرى فقد كان الموقف صعب للغاية و يُبكي الحجر الأصم.  
مرت دقائق على تلك الحالة و الجميع يبكي، إلى أن نطق  
إبراهيم بصوت خافت قائلاً:

«إن لم تحضر الأوراق يا جورج فأرجوك أرسلها لكاميليا غدا  
صباحا كي تنتهي معاناة سمير، لم أعد أتحمل المعاناة و كل ليلة لا  
يفارق منامى كأنه يطلب الرحمة»، نظرت إليه كاميليا قبل أن تقول:  
«إن كان الأمر كذلك و قد مات سمير لنمنحه الراحة،  
وليغفر لنا الله خطايانا».

مسح جورج دموعه و تحرك صوب باب الغرفة دون أن ينظر  
إليهما، لكنه توقف عند الباب و ظهره لهما قائلاً:

«قبل أن أترك المشفى كنت أفكر فى كل طريقة تخفف  
معاناتكم و السبيل لمناقشة هذا القرار مع العلم أنه لا فائدة و لا  
سبيل لإحياء ميت، و الآن لا أملك سوى أن أقول ليرقد فى سلام  
و ليغفر لنا الرب، غدا ستكون الأوراق هنا و بعدها سوف أرسل  
الأوراق و التصاريح لشئون الضباط العامة للتجهيز للجنائز».

لم ينطق أحد بكلمة بعدها و غادر جورج المنزل، لكنه ترك  
من خلفه نار تكاد تحرق قلبين على ولدهما، تلك المعاناة لم  
تكن فقط لفراق سمير، فقد أعطى بقراره هذا إذن الرحمة  
بموته، لكن ما يحمله عاتق إبراهيم أكبر، فجبال الثلج أيضا  
تنهار عند الهزات الأرضية، و تستوى بالارض و ربما تفيض فتغرق  
ما حولها، ليختفى الجبل و يصبح نسيا منسيا.



رقد سمير فى مئواه الأخير، أخذ معه جزء كبير من روح إبراهيم وربما مقاومته أيضا، جالسا على كرسية المتحرك كميث دون قبر، مواجه لقبر الفقيد داخل مدفن العائلة بعدما انصرف الحضور، ولم يبق معه غير ما تبقى له من جنود رفقته الذين لم يتجاوزا الخمس أفراد، زوجته و طبيبه، ممرضته والأخير كان محاميه و الذى قد أخبره إبراهيم بنفسه بموعد الجنازة طالبا منه الحضور رغبة منه فى الحديث معه.

أسامة البالغ من العمر خمسون عاما صاحب الجسد السمين قصير القامة ذو الوجه الطفولى محام إبراهيم و صديقه و ابن عم زوجته أيضا و الذى يحمل جميع أوراق القضايا الخاصة بإبراهيم و عائلته انتابته الريبة من مكالمة إبراهيم و دعوته على الرغم أن الحضور لم يستوجب دعوة حضور خاصة، و كيف لإبراهيم أن يتذكر ذلك إلا إذا كان هناك أمر ما يود الحديث عنه، ولكن هل يستدعى ذلك الأمر مناقشته فى الجنازة؟..

على يسار إبراهيم كانت كاميليا فى حالة يرثى لها ترافقها نجوى التى حاولت جاهدة تمالك نفسها كى تواسى العائلة ولكنها كانت تفشل بين الحين و الآخر، ولكنها أحاطت كاميليا بين ذراعيها وكأنها أمها التى تخفف عنها الموقف الحزين، عقل كاميليا كان كقاعة سينما تعرض مشاهد لسمير منذ طفولته و مرورا بحياته حتى نهايتها، عرض صامت لفيلم وثائقى موسيقاه التصويرية نحيب، و تبدل التصفيق الحار بقطرات دموع، و حال المتفرج الوحيد - كاميليا - كسجين يعذوبه بزرع خلة أسنان تحت أظافره كى يقول الحقيقة و كان

ثوبها ألم لا ينتهى.

جورج.. تمثال لين من لحم وقف خلف الكرسي و من مامه يجلس إبراهيم ، عيناه لم تفارق فتحة القبر التى أغلقوها للتو و كأنها يحاول ثقبها لينظر إلى ما خلفها ، شعوره بالحزن لم يقل عن الجميع و لكن يضاف عليه شعور بالتقصير ، حمل على عاتقه القصور فى علاج سمير ، على الرغم من أنه قدم كل ما ينبغى فعله و كأنه ابنه و لم يبخل بعلمه و عمله و تجاربه و ما يحمله الطب حتى أنه من طلب استدعاء الخبير الألمانى لمتابعة الحالة لأنه توهم فشله أو تقصيره ، و كان عقله يردد كلمة واحدة فى صمت و هى «ليسامحنا الرب عن تلك الخطيئة..».

مشهد صامت دون حركة ربما تسمع حسيس الموتى ولا تسمع للأحياء القابعون أمام القبر نبض ، وبعد فترة تجاوزت نصف الساعة قطعت نجوى الصمت بعدما تحركت صوب جورج قائلة بصوت خافت:

«حالتها سيئة للغاية و سيدى أظن سيحتاج جلسة تنفس ، هل نصطحبها للمشفى؟» ، نظر إليها جورج قليلا قبل أن يقول:  
«لن يرضى.. هو ليس هنا الآن و لا أدري بما يفكر حتى ، لم يتفوه بكلمة منذ الصباح ، و لا حتى بالجنائز و لا الحضور» ،  
نظر ناحية كاميليا و استكمل حوارها:

«هذه المسكينة إلى متى ستصبر؟ جبل قمته هموم و لم تقوى أى عاصفة على زعزعتها ، و حتى الهزات الأرضية ربما تراقصها ولكن العجيب أنها تزداد صلابة بعد هدوء الهزة».

نظرت نجوى نحوها قبل أن تتوجه ناحيتها ممسكة بكفيها  
وقالت:

«سيدتى أنت منهكة جدا و لم تتناولى حتى الماء منذ أمس،  
و لم تذق عيناك طعم النوم ولو لبرهة، هل أحضر لك بعض الماء  
من السيارة؟»، أشارت لها بيدها بالنفى بحركة واهنة، و نظرت  
كاميليا إلى إبراهيم الذى لم ينطق و لا حتى أشاح بصره عن  
القبر لحظة، لفت ذلك نظر أسامة الذى تحرك صوبها قبل أن  
يسألها فى هدوء:

«هل أنت بخير؟»، فأشارت برأسها بالنفى و نظرت صوب  
زوجها، قبل أن يقول أسامة:

«هناك أمر ما لديه، فأنا أدري أن اتصاله بى أمس ليس  
لحضور الجنازة فقط و لكن هناك ما سيقوله»، لم تلتفت  
كاميليا مسبقا لذلك أو إنها لم تلحظه قبل تفوه أسامه به، نعم  
فهذه ليست عادة إبراهيم، و حين إنشغالها بالتفكير والصمت  
يقتل الموتى بالجوار تحدث إبراهيم أخيرا قائلا:

«نحن آخر من تبقى، آخر أفراد الجنازة، آخر أفراد العائلة،  
كل من تبقى لى الآن، أظنه الوقت المناسب كى أتحدث  
إليكم جميعا بشأن ما قررته» هذه الجملة لم تكن عادية فقد  
حملت داخلها انطباع بالخوف لدى الجميع ربما تفاوت قدره لدى  
كل فرد منهم حسب قربه من إبراهيم، لكن الخوف سيطر  
على الصمت و تمنى كل منهم ألا ينطق أو ينطق بسرعة كى  
يرتاح الجميع بالعلم، لكنها لحظات و كان هذا الخوف قبلة  
انفجرت فى وجه الأحياء واقشعرت جثث الموتى المحيطة بهم

---

من هول ما سمعوا منه ، بعد أن قال مخاطبا أسامه :

«ربما تتعجب يا أسامه من سبب اتصالي بك والجميع يتساءل الآن ما هو الأمر الذى أريدكم فيه ، لقد اخترت هذا المكان لأنه سيكون البداية و سيكون النهاية أيضا ، أريدك أن تتقدم بطلب للمحكمة الدستورية للنظر فى قانون القتل الرحيم و طلب إلتماس بقبول توقيع القتل الرحيم علي».

حدد بداية نهايته و حدد مكانها و رسم طريقه نحو السفر الذى لا عودة منه ، لقد خارت قواه و استسلم و يريد الانتحار ولكن بموت رحيم..



## الفصل الثالث

«علينا أن نسرع يا علاء، الوقت ينفذ».

نظر الشاب المدعو علاء إلى العقيد الجالس جواره حيث كان يقود سيارة «جيب» عسكرية بسرعة كبيرة فى طريقهم إلى فندق «هيلتون طابا»، حيث قال فى حزم:

«لا تقلق سيدي العقيد سوف نلحق المجموعة قبل الوقت»، وانطلقا مسرعين و كأن السيارة تلتهم الطريق، نظر العقيد فى ساعته التى كانت تشير إلى التاسعة والنصف ثم إلى الطريق الخالى تماما فى مثل هذه الساعة، و على ملامحه علامات القلق الشديد.

كان الوقت يتسارع و كأن له قلب ينبض بسرعة بعد إفراز كمية لا بأس بها من الأدرينالين، و كأن الثانية أصبحت نصفها، والليل ازداد سواداً حتى مع ضوء مصابيح السيارة كانا لا يبصرا شىء، فمنذ أن انطلقت السيارة من القيادة للحاق بأفراد المجموعة المتجهة صوب فندق «هيلتون طابا» بعد إخبارية بإحتمالية وقوع عمل إرهابى هناك لم يتوقفا لحظة و ربما كانا يودا إيقاف الساعة أو الإمساك بالبندول، و ربما لو لديهما قوة خارقة تمكنهما من الوصول للموقع فى لحظة الإخبارية كتلك القوة التى يمتلكها عفریت المصباح.

نظر العقيد إلى عداد السرعة أمام السائق علاء قبل أن يقول له:

«هل نسير ببطئ أم يخيل لي ذلك؟!»، كم تبقى من الوقت لنصل؟»، لم ينظر إليه السائق ولكنه أجاب فى سرعة:

«أقل من خمسة دقائق يا سيدى العقيد»، نظر بعدها العقيد فى ساعته اليدوية ثم إلى الطريق مرة أخرى، حيث ظهرت أمامه فى تلك اللحظة بعض الأضواء التى تعلن عن وصولهما للمكان تقريبا، كان يبدو كل شىء هادئ ولا يوجد شىء، قبل أن يطلب العقيد من السائق أن يسرع وسط توتر السائق الذى يكاد يطير بالسيارة ولا يدرى ماذا يفعل أكثر من ذلك.

كلما اقتربت الأضواء زاد توتر العقيد، كان يشعر بمزيج من غريب داخل رأسه، يود الوصول مسرعا للحاق بالمجموعة والتى لا يدرى حتى إن كانت وصلت أم لا، وشعور آخر ببعض القلق من الوقت ومن صحة المعلومة عن هذا الانفجار، حتى أصبحت المسافة ما بين السيارة والفندق أقل من مائتى متر أو أقل قليلا، فى تلك اللحظة برزت سيارة مسرعة فى اتجاه واجهة الفندق وما هى إلا لحظات وانفجرت السيارة انفجارا سمع صوته ساكنى جوف الأرض حتى، تبدلت الأمور كثيرا ما بين حالة الليل الأسود إلى ليل مضئ بالنيران فى كل مكان وأصوات الصراخ تتعالى، وسط ذهول العقيد والسائق الذى حاول تقليل سرعته دون قصد، ولكنه لم ينظر إلى الطريق حيث توجه نظره صوب الفندق، هنا برزت سيارة مسرعة عكس اتجاه السير فى مقابلة الجيب العسكرية، لم يستطع السائق الشاب تدارك الموقف، وبحركة غريزية أدار مقود السيارة بسرعة محولا تغيير اتجاهه صوب اليمين فى نفس اللحظة التى اتجهت السيارة المعاكسة

صوب اليسار ليحدث التصادم الحاد ، لتقلب السيارة عدة مرات و تسقط على رأسها فى منخفض على جانب الطريق و تستقر .

لم يكن هناك من يلاحظ هذه الحادثة ما بين السيارتين ، انتباه الجميع كان صوب الفندق ، وسط الصراخ و لهيب النيران مع دوى الانفجارات ، و بعد فترة حاولت قوات الدفاع المدنى وسيارات الإسعاف السيطرة على الموقف ، كان هناك العديد من الضحايا فى النطاق ، و لكن السيارة كانت بمكان منخفض و لم يلحظها أحد .

بعد مرور ساعتين و يزيد قليلا انتهت احدى سيارات الإسعاف لجانب الطريق حيث خيط من الدخان ، و سرعان ما طلبت الدعم لموقع الدخان ليجدوا سيارتان أحدهما فى الأعلى والأخرى فى الأسفل على رأسها ، هرع رجال الإسعاف للسيارة العلوية و حاولوا إخراج سائقها و بعد الفحص تبين لهم أنه قد فارق الحياة ، وبعدها توجهوا إلى الأخرى فوراً و قاموا بإخراج السائق والعقيد أيضا اللذان كانا على قيد الحياة و لكن بحالة خطيرة .

دقائق و وصلت سيارة الإسعاف التى كانت تحمل السائق والعقيد إلى المشفى ، فوراً توجه الأطباء إلى غرفة الطوارئ لفحص المصابان ، بعد قليل خرج الطبيب من الغرفة و معه بعض من متعلقات المصابين ، حيث وقف أمام إحدى الممرضات و التى كانت تمسك تقريراً فى يدها و قال :

«جندى / علاء محمد السيد ، ١٩ عام ، مسلم ، محل الإقامة..... ، توفى الساعة الثانية عشر صباح يوم الثامن من أكتوبر ٢٠٠٤» ، ونظر بعدها للهوية الأخرى قبل أن تسأله الممرضة :

«وماذا عن الآخرة»، أجابها فى حزن: «سيتم نقله لغرفة العمليات، هناك شك فى إصابته بإرتجاج بالمخ وربما بعض الكسور و نزيف داخلى»، نظر إلى الهوية مرة أخرى و قال لها: «أسرعوا بتجهيز غرفة العمليات واتصلوا بالقيادة، المصاب العقيد / إبراهيم عبد العزيز، قوات مسلحة».



يقول شوبنهاور:

«إن المعاناة هى بجلاء المصير الحقيقى للإنسان، يتعين النظر إلى الموت باعتباره الهدف الحقيقى للحياة لأنه فى لحظة الموت فإن كل ما تقرر حول مسار الحياة بأسرها ليس إلا إعداداً ومقدمة فحسب، والكفاح إلى تجلى فى الحياة على نحو عابث وعقيم و متناقض مع ذاته تعد العودة من رحابه خلاصاً»  
اليأس..

طريق معتم ما إن دخله الإنسان مجرد من أسلحة الأمل تاه فيه حتى الموت، لحظة انعدام المقاومة والإستسلام للغرق فى بحر البارد القاتل، و إن زاد الوصف لن يكفى لحالة إبراهيم فى تلك اللحظات، الذى يرى الحياة الآن مجرد عالم مظلم ولا يتعدى مجموعة قريبة داخل منزل دونما تغيير طيلة السنوات المنصرمة، فأتخذ قرار الموت

كان بالجنائز ولم يكن هناك، ترك روحه مُعلقة على شماعة غرفته مع خروج كاميليا ذاك اليوم بعد أن نهرها، كانت لحظة انهيار كيان حارب العجز طيلة أحد عشر عاما وبعد ما قاله لهم

سمع الجميع صوت ارتطام ذاك الكيان بالأرض ليُحدث دوى هائل إبتلع معه الأحياء منهم والأموات ألسنتهم.

مر القليل من الوقت بعد أن ساد الصمت ، لم يستطع أحدهم استيعاب ما قاله إبراهيم ، لكن فجأة نطق مرة أخرى حين قال: «انها ليست مزحة و أنتم لازلتم أحياء و كذلك أنا لا أتحدث إلى الموتى ، هل يعنى ذلك أن حالة الصمت تلك هى بمثابة الموافقة و أنكم معى بهذا الطريق؟» ، تحرك أسامة ناحية القبر دون أن ينظر إليه و هم بإشعال سيجارة ثم قال:

«هل تظن أن ما تطلب واقعى؟ هل نسيت أنك بمجتمع شرقى و مسلم؟ ما تفكر به مرفوض فى أغلب دول العالم الغربى حتى الآن و يرفضه القانون ، كيف تفكر بهذا و ماذا عن زوجتك؟ ربما على أن أقدر حالتك النفسية الآن بعد موت سمير و إلا كان ردى عليك غير ذلك».

عقب جورج بعصبية على ما قاله أسامة قائلاً:

«حتى الطب و منظمات حقوق الإنسان فى أغلب دول العالم لا تسمح بذلك إلا فى حالات ضيقة و لا...» قبل أن يكمل الكلمة قال إبراهيم فى عصبية «و ماذا فعلتم أنتم بسمير يا بروفيسر جورج؟ أليس هذا أحد حالات موت الرحمة التى تقول عنها غير مسموحة؟ لماذا سمحتم بها أو سمح بها الطب عموماً؟ أجبنى» ، بُهت جورج مما سمع حيث لم يكن لديه شىء يقوله فى ذلك فهو محق تماماً ، فقد حبس الكلمات فى حلقة ، و هطلت كلماته على رأس جورج كأنها غيث لا يتوقف فشعر ببلل روحه المجروحة مما قال ، فهو

لازال يشعر بالتقصير و كأنه قاتل سمير.

تخلى إبراهيم عن النظر للقبر أخيراً ، لكن عيناه لم تقترب صوب كاميليا فربما كان يهرب من تلك المواجهة و ربما كان تأخره فى الإفصاح عن هذا القرار هو موقفها تجاه هذا القرار وردة فعلها ، فكيف له الآن النظر إليها ، لقد شاركته المعاناة منذ اليوم الأول و تحملت ما لا يقدر عليه الكثير ، لم تكل و لم تمل و لم تنفوه بكلمة أف حتى ، دائمة الابتسامة رغم ما تخفيه ستائر عينها من ألم.

تقدمت نجوى فى تلك اللحظة لتخطف نظر إبراهيم بما فعلته ، فقد جثت على ركبتيها تتوسل لإبراهيم قائلة :

«بالله عليك لا تفعل ، نعلم جيداً حجم المعاناة التى تمر بها بعد سمير ، لكن يبقى الأحياء أحياء والأموات فى رحمة الخالق أرجووك يا سيدى لا تفعل.....» ، صرخ بها قائلاً « أنا لست من الأموات و مجرد عدد على لائحة الأحياء و من خلقنى تركنى أعانى كل تلك المعاناة فلماذا يفعل بى هذا» ، صرخ به جورج فجأة قائلاً « فليسامحك الرب على ما تقول.. ليسامحك الرب» ، و ترك الكرسى متجها صوب باب المدفن معلناً فراره من تلك المعركة النقاشية التى يظن نفسه أضعف جنودها ، قبل أن يصرخ به أسامة قائلاً :

«لا تخرج من هنا يا جورج فما نحن بصدده بدأ هنا و يجب أن ينتهى هنا فلا تترك مكانك» ، قالها بلهجة صارمة أشبه بأمر جعلت جورج يتصلب مكانه دونما حركة ، و أسامة ينظر لكاميليا التى ظهر عليها الإعياء الشديد و لكن العجيب أنها لا

تبكى ولا تتكلم ولا تنظر حتى لزوجها ، مما أثار عجب أسامة و لكنه لم ينطق ، اكتفى فقط بالنظر قبل أن يتجه صوب إبراهيم ليساعد نجوى على النهوض و يمسك وجه القعيد ناظراً فى عينيه لبضع ثوان ثم قال :

«ما تفعله خاطئ ، هذا القرار خاطئ ولن يساعدك عليه أحد منا و لن يتقبله أيضا غيرنا ، و قبل كل هذا كن واقعياً وانظر إلى زوجتك المكلومة الآن».

فجأة نظر إبراهيم تجاه جورج و هم بسأله :

«قل لي يا جورج ، يا طبيبي طيلة هذه الرحلة ، هل هناك بالطب شىء يمكنه شفائي ، هل من الممكن أن يكتشف الأطباء شىء يساعدنى على الحركة من جديد؟ هل من الممكن أن تستبدل رئتاي بجديدة؟ جورج هل هناك أمل و لو شعاع خافت؟»  
انتظر جوابه حيث جورج و كأنه إبتلع لسانه أو تجمدت الحروف فى حلقه ، فنظر إليه قبل أن يقول :

«بالطبع لا ، لقد نسيت أنني سألتك عن هذا منذ عدة أيام ، أظن كانت المرة الألف التى أسألك فيها عن بصيص أمل بعيداً عن تصفح الأخبار و بحث كاميليا المسكينة كل يوم بالأخبار الطبية عن جديد و لكن.. لماذا أنتظر إذن».

صرخ به أسامة قائلاً :

«إنك تكفر بالذى وهبك تلك الحياة و تحاول أن تبدو واقعياً و لكنك بعيد كل البعد عن هذا ، استيقظ من ألمك فأنت تتحدث عن الموت يا هذا و هذه آخر كلماتي لك قب...»

---

تفاجئ أسامة بردة فعل إبراهيم الذى انفجر ضاحكاً حيث قال:

«لأجيب عليك ما بدأت به محاضرتك الجميلة، تسألنى عن الواقعية يا أسامة؟ وهل ما أنا به الان واقعى؟ فليذهب مجتمعك الشرقى للجهنم بما فعله لي طيلة الاحدى عشرة عاماً الماضية يا هذا، أما ما يرفضه العالم اليوم يقره بعد أيام أو أشهر أو حتى سنوات و إلى ذلك الحين هل وجب علي الإنتظار على ذلك الكرسى اللعين؟ هل وجب علي أن أتحمل تلك المعاناة؟ إلى متى سأشعر بالخجل حتى من زوجتى التى تبذل لي ثيابى كل يوم عدة مرات لأننى قضيت حاجتى دون أن أشعر؟ هل مجتمعك و واقعبتك سوف تساعدنى فى تبديل ثيابى إن ذهبت كاميليا أيضاً؟».

ما ختم به حوارهم كان مدويا ، ماذا إن غابت كاميليا حقا؟ وكل منهم له حياته و هو بالفعل وحيد بعد سمير و سيكون بلا أحد بدون زوجته إن تركته أو اختارها الموت، ربما لم يفكر أحدهم بذلك قط، و من سيجيبه بأنه بجانبه فى تلك اللحظة سيكون جوابه مجرد تهدة أو كلمات ملونة ستتلاشى مع أول موجة حارة تعصف بالقييد، لا مفر!!؟

هنا نظر الجميع عدا هو صوب كاميليا الساكنة الملامح العاصفة الروح والتي شعر بما تحمله حتى الموتى، ولكن فى اللحظة التى كان يجب عليها أن تنطق بالقول الفصل؛ حدث أمر آخر.. لقد انهارت كاميليا.. سقطت مغشيا عليها.



## الفصل الرابع

يمر الوقت ببطء جداً بساحات الإنتظار، تتسارع التساؤلات والإجتهادات داخل عنق الروح الضيق جداً فى تلك اللحظة كإزدحام ممر مستشفى وحيد للطوارئ والإسعافات داخل ساحة حرب..

حال عقله البائس فى تلك اللحظة و ما يراوده، ما الذى أصابها؟ هل كان ذلك من الصدمة؟ هل كان من الإرهاق والحزن؟ هل هناك شىء تخفيه عني؟...

حتى وصل لسؤال أخير.. و مرهق جداً:

«هل ستتركني كاميليا و تذهب هى الأخرى؟»

لم ينتبه أن هذا السؤال تحديدا انطلق عبر شفاته بصوت عال عن ما سبقه، و ربما كان السؤال الوحيد المنطوق حيث لم يستمع أحد لأى سؤال قبله، مما لفت انتباه أسامة الواقف إلى جواره تحديداً، فى حين كان جورج و نجوى داخل غرفة الكشف مع كاميليا. لكن وقع السؤال كان على قلب أسامة غريب قليلاً، ربما شعر بجحم المعاناة التى تدور خلف صدر هذا الرجل، نبرة الصوت، التساؤل، التفكير فى جواب هذا السؤال تبدو مرعبة لحامل العبء، إبراهيم يصارع الغرق فقط بطوق نجاة اسمه كاميليا، فماذا لو أفلت هذا الطوق يده؟ هنا جلس أسامة على الكرسي المقابل لإبراهيم الغارق فى تفكيره، ينظر إليه

بشفقة قبل أن ينطق قائلاً:

«الآن فقط شعرت بما تحمل، و كامل الحق معك فلن يشعر بالنار أكثر هو حاملها، ما تمر به طيلة هذه السنوات هو ما يجعلك تفكر و تتحدث بهذه الطريقة»، قام أسامة من مقعده متجها صوب غرفة كاميليا على بُعد خطوتين من إبراهيم، وأكمل حديثه قائلاً:

«أعلم جيداً أنها كل شيء لك، و أشعر بالضربات العنيفة داخل صدرك، كاميليا قوية و ستكون بخير، إنها تعاني بعض الإرهاق و بعد قليل ستكون هنا معك، لكن لا أدري كيف ستعاقبك بعد ما قلته فى الجنازة، ربما لن تتحدث معك قليلاً حتى تهدأ».

إلتفت صوب إبراهيم بعد جملة الأخيرة التى ظن أنها تخفف قليلاً من الأجواء، لكنه تفاجئ بشئ آخر، لقد كان يبكي، دموعه كالغيث دون صوت، و كأن إبراهيم لم يستمع لحديثه قط، كأنه غارق فى بحر الحزن أو جالس خلف حائط الألم وحيداً فى تلك النقطة، انحنى أسامة واضعاً يده على كتف إبراهيم قبل أن يقول:

«أعتذر إن كان ما قلته للتو أبكاك، لم أقصد شئ سوى أن تطمئن قليلاً، لا تترك روحك رهي...»، قاطعه إبراهيم بتكرار سؤاله الأخير، والذى صعقه و بشدة بطريقة إلقاء السؤال هذه المرة، لقد إكتشف أسامة أن إبراهيم لم يسمعه فعلاً، وزلزل فؤاده تلك الطريقة التى نظر بها إبراهيم صوبه ثم صوب الغرفة وهو يتسائل هل ستركه كاميليا هى الأخرى؟، لقد تجمد

أسامة وتمنى أن يفعل شيء، أو يختفى من كل شيء..

لم يشعرا بالوقت فى حين راح كل منهما فى التفكير فى صمت، و لم يدركا حتى ما الذى يدور خلف ذلك الباب المغلق وكم مر عليها بداخلها، قطع عليهما تلك الحالة خروج نجوى من الغرفة والتي بدأ على ملامحها القلق و لكنها حاولت بكل ما تملك أن تخفيه عن إبراهيم الذى كان يشتم رائحته خلف قناع نجوى الشاحب، اقتربت منه نجوى قبل أن يسألها قائلاً:

«هل عادت للوعى؟»

جلست على المقعد المجاور له قبل أن تقول:

«لا ليس بعد، فهى غارقة فى غيبوبة و مؤشراتنا تدل على انخفاض فى ضغط الدم نتيجة الإرهاق و قلة النوم، و لازال الوقت مبكراً لتحديد ان كان هناك أى عرض عصبى أو لا، لكن جورج يقول ربما كان ذلك نوبة عصبية نتيجة الصدمة سيدى».

لم يكن الجواب كاف لإبراهيم، لن يطمئن إلا برؤيتها أو بالنظر إليها من بعيد حتى، فطلب من نجوى أن تصطحبه لغرفتها و لكنها قالت أن الطبيب أخرجها هى الأخرى كى يوقعوا الكشف و عمل الأشعة و يجب أن تتال قسط من الراحة، لكن هذا الجواب زاد من حدة تصرفات إبراهيم الناجمة عن قلقه، فما كان منه إلا أن صرخ فجأة مناديا على جورج عدة مرات، فتوجه أسامة صوبه مباشرةً محاولاً تهدئته لكن دون جدوى، لم يكتفى بذلك لكنه أيضا صرخ ينادى عليها.. نعم

لقد صرخ باسم كاميليا طالبا منها الخروج من الغرفة فى موقف أدمع أعين الحضور ، قبل أن يُفتح باب الغرفة ليظهر جورج مسرعا صوب إبراهيم قائلاً:

«ماذا تفعل يا إبراهيم؟ اهدأ قليلاً أرجوك نحن بالمشفى».

نظر إليه إبراهيم و هى يبكى قائلاً له:

«هل ستتركنى كاميليا أيضاً يا جورج؟ هل ستفعلها يا

نجوى؟ أسامة بالله عليك أخبرها ألا تذهب ، أنا من يريد الموت

ليس هى ، أنا...»، جثا جورج على ركبتيه ناظراً إليه قائلاً:

«و من قال أنها ستتركك ، ما تمر به كاميليا شىء طبيعى

نتيجة الإرهاق والتعب وكذلك ربما تكون فى حالة صدمة

مما سمعت ، هل تظن أن ما أخبرتنا به سهل أن تتحمله؟ ضع

نفسك بمحلها و هى تقول لك قررت أن أموت ، و لما تضع نفسك

صحيح؛ فلتنظر لحالك الآن و أنت تظنها ستتركك وحدك ، أنت

أيضا قررت أن تتخلى عنها يا إبراهيم بدون أن ترجع لها».

صاح به إبراهيم قائلاً:

«أنا لو ميت هى سوف تعيش ، نعم ستعيش فى حزن و تتحب

غيابي أعلم ذلك جيداً ، لكنها قادرة على أن تتعايش مع الذكرى

و تخدم نفسها ، لكن أنا بدونها ماذا أفعل يا هذا؟ لا تسأل عن

شىء لا تدركه أرجووك».

بُهِت جورج مما سمع ، ولا يدرى كيف يهدئ من حالته ، ربما

هى كاميليا وحدها من يستطيع ذلك ، الموقف يزداد صعوبة مع

إبراهيم و كل ما يخشاه الجميع الآن هو رد فعل كاميليا بعد

خروجها من تلك الغرفة، و بعد أن غرق كل شخص منهم فى تساؤلات عن الموقف، إلا جورج الذى ذهب بعيداً عن إبراهيم دون أن يلتفت له أحد، و لا يشعر بما داخله أحد، لقد كان يشعر تماما بإبراهيم، لكنه أيضا يحمل ما يتعبه..

هل هو الذنب؟ أم الخوف؟ أم الشفقة؟ أم هناك ما لا يعلمه أحد بداخله؟

هنا قرر جورج الهرب من مواجهة إبراهيم مرة أخرى، ليدخل تلك الغرفة حينما صرخ إبراهيم بإسمه لكنه لم يلتفت، و ربما لم يسمع..



غفا إبراهيم لا إراديا على الرغم من بحيرة الدموع التى تحيط شواطئ عينيه، ربما إستسلما أو جذبهما التعب لرحلة قصيرة فى مدينة البؤساء، لم يلاحظ أسامة و لا نجوى ذلك، فقد هدأت الأجواء نسبيا لمن يرى المشهد من بعيد، لكن لا يعلم المتابعين عن بُعد أى رياح تعصف بأرواح هؤلاء.

ما هى إلا دقائق حتى لاحظت نجوى غفوة إبراهيم التى قامت نحوه لتفحصه، باغتها أسامة بحركة سريعة ليوقفها، ثم جذبها نحوه قائلاً:

«اتركيه الآن يهدأ قليلا، ما يمر به من الصعب تحمله، دعيه فى غفوته حتى نرى وضع كاميليا.»، تحركت نجوى فى هدوء مطيعة لما طلبه أسامة، و طلبت منه الإبتعاد قليلا عن إبراهيم بحركة توحى أنها تود الحديث معه بعيداً حتى لا يسمعهما أحد،

---

فتحرك أسامة بضع خطوات للخلف و لحقته نجوى التى قالت:  
«وضع سيدى سيئ للغاية، و لم نفحصه اليوم و لم يأخذ  
عقاقيره حتى الآن، يجب أن نستدعى طبيب كى يفحصه»،  
نظر أسامة نحو إبراهيم و الشفقة تطل من على أعتاب عينيه  
و نورهما يكاد يخفى، كان يتسأل حقا هل إبراهيم يحتاج  
لفحص أم لكاميليا؟ فهو أكثر الحضور علما بقصة حبهما  
و حجم المعاناة التى زادت من ذاك الحب، لكنه استطرد فى  
حزن:

«إبراهيم لا يحتاج لعقاقير، إنه يحتاجها، أنت على دراية  
تامة أن كل تلك الأدوية لا شىء مقابل كاميليا، دعينا نتركه  
يستريح قليلا حتى يخرج جورج و نرى حال كاميليا أولا».  
لكنه تذكر شىء، لقد كانت نجوى بالداخل و ربما تعرف  
شىء عن حالتها، فباغتها سائلاً:

«نجوى.. ماذا قال الأطباء عن حالة كاميليا»، نظرت إليه فى  
حزن قائلة:

«حالة الإغماء لم تكن عادية، لقد توقفت أجهزتها  
الحيوية لبضع ثوان بعدها، و قد لاحظ جورج ذلك و هذا  
ما يقلقه، لكن حتى الآن لا يوجد شىء فقد طلب الطبيب  
إجراء أشعة و بعض التحاليل لكن بعد أن تستعيد وعيها»  
كان جوابها يحمل الكثير من الإستفهام لأسامة، فهو يكاد  
يجعل معنى ذلك و كل ما وصل إليه أن هناك شكوك فى  
حالتها على الرغم من أن الأطباء بعد التشخيص المبدئ ألمحوا

أن الحالة مجرد توتر و أرهاق، و لكن هناك شك فى نوبة عصبية؟ هل هذا ما تعنيه؟

قبل أن يفتح أسامه فاه بالسؤال عما تعنى، خرج عليهما جورج قائلاً:

«لقد استعادت وعيها و هى فى حالة جيدة الآن، و سألت عن إبراهيم فور استعادتها وعيها»، كان أسامة قد توجه بالفعل تجاه غرفتها كى يطمئن عليها، وجدها ممددة على السرير فى حالة منهكة و عيناها معلقة صوب الباب تبحث عنه كأم بكماء تبحث عن طفلها وسط حطام مدرسة إنهارت بعد زلزال، نظرة تملؤها القلق مغلقة بالتعب، اقترب منها أسامة قبل أن يقول:

«كيف حالك الآن؟» أشارت له أنها بخير فلم تكن تقدر على الكلام، و ربما كان همها فى هذه اللحظة غير ذلك، لقد انشغلت على إبراهيم، حين كانت عيناها لازالت تبحث عنه عند الباب، توجه أسامة صوب الطبيب يسأله:

«هل هى بخير الآن؟»، نظر الطبيب نحوها مجيباً:

«هى بخير الآن إلا من بعض الإرهاق و هبوط بالدورة الدموية نتيجة لقلة الطعام والنوم، لكن بعد الإنتهاء من هذه المحاليل ستكون بخير، و على الرغم من ذلك لن أجيئك بجواب قطعى فهى تحتاج لبعض الفحوصت والتحاليل و نحتاجها فى أقرب وقت كى نقرر أسباب هذه الحالة»، باغته أسامة سائلاً فى لهفة:

«هل هناك شك فى شىء؟» نظر له الطبيب قليلاً قبل أن يقول:

«لهذا طلبنا الفحوصات كى نعرف ما الوضع، لكن لا داعى

لقلق فالأمور بخير».

قبل أن يرد عليه أسامة تفاجئ الجميع بصوت نجوى وهى تتطرق عاليا بإسم إبراهيم، مما جعل أسامة ينظر صوب الباب مباشرة وتجمد المشهد عند تلك النظرة، فصوت نجوى لم يكن طبيعيا.. أبداً.



خرج جورج من باب الغرفة ليخبرهم أن كاميليا قد استعادت وعيها، توجهت نجوى فوراً صوب إبراهيم والذي لم يشعر بشئ مما يدور حوله فربما كان لازال غارقاً فى غفوته، ما إن اقتربت منه نجوى حتى باغتها جورج قائلاً:

«انتظري قليلا، سنخبره أنها بخير.. فقط، لا داعى أن نقلقه الآن بما طلبه الأطباء من تحاليل و فحوصات، فأنا على دراية بما سوف يفعل»، أشارت له نجوى بإشارة إيجابية، و فور ما وصلت عند إبراهيم، حاولت إيقاظه، و لكن اختل توازن إبراهيم من على الكرسى المتحرك دون أن يستيقظ ليسقط أرضاً دون حراك، هنا نطقت نجوى بإسمه لا إراديا من صدمة ما حدث فهرع إليها جورج ليفحص إبراهيم محاولاً رفعه من على الأرض، و بعد ثوان خرج أسامة بصحبة الطبيب ليجمعوا عند مصدر الصوت.

لقد كان مغشياً عليه تقريبا، حينها أشار جورج لأحد الممرضات أن تحضر سريراً متحركاً كي يضعوه عليه، وفور ما حضر السرير كانت كاميليا استجمعت قواها و غادرت غرفتها لتشاهد هذا الموقف مما دفعها أن تصرخ صرخة عالية

فى حدود قوتها الحالية فى لحظة ضعف منادية عليه.

أسرع الطبيب لفحصه و هو يشير لهم بإصطحابه للغرفة المجاورة، حاولت كاميليا المشى معهم كى تتطمئن عليه، لكن كانت فى حالة دوار شديد و رأسها كأنه يشهد معركة بالقنابل بين جيشين يرفضان الهدنة، لاحظها أسامة و هى تحاول التحرك والذى أسرع إليها محاولا مساعدتها، إلا أن جورج كان أسرع منه والذى وصل إليها ممسكا يدها قائلاً:

«لا تغادرى غرفتك يا كاميليا، جسدك لازال منهك و تحتاجين للكثير من الراحة، لا تخافى فهى حالة إغماء عادية من الإرهاق و سيكون بخير»، نظرت إليه كاميليا و كأنها تقول له هل هو حقاً بخير؟؟ قبل أن يمسكها أسامة من يدها الأخرى كى يصطحبها لغرفتها، إنصاعت لرغبتها و عيناها لازالت معلقة على إبراهيم حيث يصطحبه الممرضون والطبيب مروراً من أمام غرفتها لغرفة مجاورة، و هنا استأذنتها جورج ليذهب معهم.

و ما إن وصل جورج للغرفة كان الطبيب يجرى الفحوصات على إبراهيم، ثم نظر إلى جورج قائلاً:

«حالة إغماء و هبوط بالدورة الدموية، سنعطيه القليل من المحاليل لكن لن يغادر المشفى اليوم، يجب أن يبقى قليلاً حتى يستعيد قواه»، حرك جورج رأسه بعلامة التفهم لما قال الطبيب ثم غادر متجها صوب كاميليا كى يخبرها، التى لازالت واقفة معلقة الأعين على الباب، و فور أن رأت جورج حاولت المشى صوبه لكنه أسرع الخطى متوجها نحوها قائلاً:

«لا تقلقى انه بخير جدا ، إغماء و أمر الطبيب له براحة الليلة هنا تحت الملاحظة ، هيا أنت أيضا عليك أن تتالى قسط من الراحة»، ثم تركهما متوجها صوب غرفة الأطباء.

دخلت كاميليا غرفتها مع أسامة و برفقتها أحد الممرضات والتي ساعدتها فى العودة لفراشها ، اقترب منها أسامة محاولا تهدأت الوضع قائلا :

«لقد كان قلقاً جداً عليك و لم يأكل أو يشرب شىء ، لقد فقد وعيه نتيجة ذلك لا أكثر ، لا تخافى إنه بخير.. إنه إبراهيم»، لم ترد على ما قاله و لم تنظر إليه حتى فقد كانت عيناها لازالت معلقتان عند باب الغرفة ، حيث بدأت سحابة شتوية تمطر فوق عينيها دون وعيها ، مد أسامة أصابعه بتردد محاولا مسح تلك الدموع من على وجنتيها ، لكنها انتبهت لأصابعه فأزاحتها برفق وهى تقول :

«قرر الموت.. هل تعرف ماذا يعنى ذلك؟ لم يُخلق بعد من نجح فى إقناعه بالعدول عن قرار قد حسمه حتى و لو كان لحظة غضب ، لكن هذه المرة القرار ليس له وحده ، إنها حياتى أنا أيضا ، لم يعد لى أحد سواه فماذا لو تر...»، قاطعها أسامة قائلا بحنان :

«لا أحد؟! و هل غبت أنا أيضا؟ هناك أحد أفراد عائلتك لازال هنا جوارك ، و ذلك لا يعنى أننى مع قراره و لكن سأفعل ما أستطيع كى أوقف ذلك على الرغم من أن المسألة قانونيا محسومة بالرفض».

قاطعته بقولها :

«نعم أنت آخر من تبقى لى من عائلتى و لكن إبراهيم هو كل

ما أملك، هل تظن أنه لو تركنى وأفلت يد الدنيا أنه بإمكانى العودة لتلك الحياة؟!، هناك الكثير والكثير جدا لا يمكن البوح به، ربما أنت محق فى إستحالة الأمر قانونيا ولكنه سيسعى عليه، سيقاتل من أجله، ألم ترى إبراهيم وهو يقاتل مرضه طيلة الإحدى عشرة عام المنصرمة؟ ألم ترى إبراهيم ذلك الرجل العسكرى قبل أن يسقط من على جواده؟ هل نسيت من هو إبراهيم وماذا يفعل من أجل شىء يريد؟ أظن أنك أكثر من يعلم ذلك».

هنا نهض أسامة من جوارها بعد ما سمع، أشاح وجهه صوب الباب هو الآخر و تحرك خطوتين لتقف قدماه و يبدأ عقله بالمشى لسنوات مضت، عودة سريعة لشريط حياته لأكثر من خمسة و عشرون عاما عند نقطة البداية، يفتح دفاتره على تلك النقطة التى تثبت أن إبراهيم يقاتل من أجل من يحب، يسترجع ذكريات تلك البقعة الخفية، فهو يعلم تماماً كم هذا الإبراهيم يفعل ما يريد، و يقاتل من أجل ما يريد.. و يفوز.



## الفصل الخامس

هناك لحظات فاصلة فى حياة كل إنسان، يحاول من خلالها إثبات نفسه، وإثبات أحقيته فيما يحب، لحظات يجب عليه أن يقاتل، هنا يختلف إنسان عن آخر، من يرى ما بداخله حلم ومن يرى ما بداخله هدف، ربما كان الحلم هو نطفة الهدف، ربما كان الحلم هو أول طريق لما يصبو المرء، ولكن إن لم يعمل الإنسان على تحويل حلمه لهدف؛ سيبقى حلم قابل للتبخر والتخلى.

هذا ما يجعل هناك فرق ما بين الحالم والهادف، لم يكن أسامة إلا حالما يرغب فى امتلاك الشيء، ولم يعمل لأجله أو لتحقيقه، على عكس إبراهيم الذى أخذ من نفس الشيء هدف له، حتى حققه و فاز به فى نهاية المطاف.

التفت أسامة صوب كاميليا وهو ينظر لها فى هدوء قائلاً:

«على الرغم من ما يحدث و ما سوف تقولى الآن إلا أن هناك حقيقة أظنها واضحة كالشمس»، تردد قليلا و عيناه تراوغ عينا كاميليا الواقفة أمامه مباشرة، كان هناك ما يثقل لسانه، أو ربما أكله القط، ولكن الأكد أن كاميليا كانت تنظر له وهى لا ترى هذه الحقيقة التى يقول عنها واضحة كالشمس، فقالت له:

«أخبرنى يا أسامة عما تتحدث، الطريقة التى بدأت بها حديثك أربكتنى كثيراً، لم أعتد عليك يا أخى الوحيد أن تخفى عليّ

شئ في صدرك، ربما تقصد تلك الحقيقة؟»، كانت مراوغة من كاميليا تحاول من خلالها فك طلاسم لسانه، وبالفعل نجحت في ذلك بعدما صدمت كلماتها أسامة فكان لا سبيل أمامه إلا الإعراف، والذي صُعقت له كاميليا حينما قال:

«هل هذه الحقيقة الوحيدة التي أمامك؟ ألم يصلك حتى هذه اللحظة أن من تلقب به بأخ وحيد يحمل لك بقلبه ما يزيد و جدا عن أخت، نعم فهذا الواقف أمامك الآن يجبك حد الجنون». ساد الصمت قليلاً.. حاولت كاميليا استيعاب ما قال، وهو حاول أن يللم كلماته استعداداً لردّها القادم، لكن زاد من ارتباكها ما فعلت، لقد نظرت له و ضحكت بصوت عال و هي تُقلب كفاً على كف، حتى استشاط غضباً من ردة فعلها فصاح قائلاً:

«ماذا حدث لتضحكى بكل تلك السخرية؟»، انتهت في هذه اللحظة أنها جرحت شعوره بلامبالاتها و ضحكاتهما العالية والتي تدل على تصرف فظ جداً، خفضت عيناها و هي تحاول مسح بعض دموع سالت من طرف عيناها من فرط الضحك، قبل أت تلمم بعض من نفسها و قالت: «سامحني لم أقصد التقليل مما قلت و لا جرح مشاعرك أبداً، لكن ما قلته الآن كان نوعاً ما صادماً وربما أريكني وأدهشني أيضاً»، لم يفهم من تلك الكلمات شئ فهي تشبه الماء لا طعم و لا رائحة، تركها تهدأ من توابع نوبة الضحك والتي لاحت على محياها رغم أنها حاولت قمعها ببعض من مساحيق الجدية، تحركت بضع خطوات صوب النافذة حيث بقى أسامة خلفها

يترقب، كانت تحاول ترتيب أوراقها حيث يبدو الرد مقنعها،  
فما سمعته مريك، عاشا سويا سنوات طويلة جدا و هي تلقبه  
بأخى، تفصح له عن كل ما يحدث بحياتها و هو لا يخفى عليها  
سراً حتى نزواته مع زميلاته تعرفها، لكنها لم تكن تحسب  
لذلك الموقف حتى بأبعد أحلامها، استدارت كاميليا تنظر فى  
عيناه مباشرة قبل أن تقول:

«لم أتخيل ذات يوم أن نفس الشخص الذى ألقبه أخى و أتقاسم  
معه تفاصيل حياتى من الممكن أن يحبنى، ما أضحكنى هو  
دهشتى لا سخرىتى»، توجه أسامة ناحيتها و عيانه تتمايل كأنها  
صرح عال على وشك السقوط فى بئر جفنيه و تختفى، للحظات  
شعر أنه تسرع فى ذلك و أنه وجب عليه الحفاظ على ما بداخله،  
لكن لو حدث ذلك؛ ستكون من نصيب شخص آخر و بالفعل  
هناك من يحاول و ربما بالفعل إقترب، تمالك نفسه فى حزم قائلاً:  
«ألا يحق لى؟.. ستقولين نعم لا يحق! لكن و ماذا فعل  
بذلك القلب الذى حمل لك كل هذا و ما باليد حيلة فى ذلك،  
كيف...»، قاطعته فى لهجة شبة صارمة حينما قالت:

«أسامة.. لماذا الآن؟ لماذا لم تبح بذلك من قبل؟ تأخرت فى  
ذلك جدا و جدا، و حتى لو لم تتأخر صدقنى أنا أراك أخى  
و أفضل أن يبقى ذلك، أرجووك لا تصعب الأمور على كلينا»،  
كانت ردة فعله بعد كلماتها حادة، فقد أمسك ذراعيها بقوة و  
هو يصرخ قائلاً:

«كيف ذلك و متى؟ لقد انتظرت كل هذا الوقت و أنا إلى  
جوارك و منعت كل من حاول المرور إليك حفاظاً على ما لى، نعم

فأنت لي و ل...»، جذبت ذراعها من بين يديه بقوة و هي تحاول دفعه عنها ، ربما كان سر قوتها هو صدمتها من انفعاله فهي لم تحسن تدارك ما يشعر به حقا ، لكنها واجهته بقوة فقالت:

«انها ليست ملكية خاصة كسيارتك أو أحد ثيابك الفاخرة ، أنت تتحدث عن إنسان ، لا يحق لك قول هذا إلا إذا كان ذلك بدافع الغيرة و حب التملك ، لكن سأخبرك شيء واحد..».

كانت كلماتها قوية عنيدة لم يعهدها من قبل في كلماتها الناعمة ، حاول تدارك الأمر لكن لن يجدى ذلك فقد خرجت الرصاصة من فوهة البندقية و أصابت هدف خاطئ و عليه الآن تحمل تبعات ذلك ، حاول الإقتراب منها ليهدئ من ثورتها لكنها وقبل أن تكمل كلماتها أشارت له في حزم بالتوقف و قالت:

«عليّ أن أخبرك أن الأمر أنتهى فأننا مع إبراهيم ، لن يغير ما قلت الآن من شيء ، إلا أمر واحد ، في حال رفضك هذا سأعلن اليوم الحداد على فراق أخي الوحيد.. و إلى الأبد».

انطلقت هاربة من الموقف تاركة ذلك الحريق يأكل من أشعله ، و قد كان فعلاً ، كلماتها كانت بألسنة النار حرقت الأخضر واليابس حيث لا حول له و لا قوة غير أنه في لحظة غضب بعدما غابت عن ناظريه قال:

«لم تتركى لى الفرصة كى أكمل ما كنت أقول».

«أسامة.. أسامة ما بك يا رجل؟».

لقد كان صوت جورج عاد كى يطمئن على كاميليا والتي خلدت للنوم بعد ما حقنتها الممرضة ببعض المنوم كى ترتاح

قليلا، و يبدو أن جورج كان يحاول لفت انتباهه منذ فترة  
ولكن أسامة لم يجب.. لقد كان غارق في الماضي عند نقطة لا  
ينساها.. نعم لا ينساها أبدااا.



أشرق صباح جديد يحمل عبق المطر، والنسائم الباردة  
تداعب الأجساد في خجل، حتى تلك المشتعلة بالحزن أو بالقلق  
قد لمستها البرودة عن عمد، حتى خلف الأبواب المغلقة وصلت  
تلك النسيمات إلى كاميليا التي لازالت غارقة في ثباتها من التعب  
والعقاير المنومة، لكنها استفاقت وما هي إلا لحظات حتى  
رفعت رأسها من على الوسادة تبحث عنه، لم تكن تتذكر ما  
حدث فلأزال عقلها تحت تأثير المنوم وسرعان ما إستعادت  
ما حدث واعتدلت في جلستها ببطء، ثم تناولت زر الجرس  
الكهربائى تطلب الممرضة المناوبة، ما هي إلا بضعة ثوان حتى  
دخلت عليها المناوبة على وجهها ابتسامة خفيفة وبدأت بفحص  
كاميليا فى هدوء، ما إن انتهت حتى سألتها كاميليا:

«أريد أن أطمئن على زوجي- العقيد / إبراهيم عبد العزيز-  
هل أستطيع الذهاب لغرفته؟»

قبل أن تجيبها الممرضة ظهرت نجوى على الباب تستأذن  
بالدخول فسمحت لها، باغتها كاميليا بسؤالها عنه، فجاوبتها  
أنه بخير لكنه لازال نائماً، لكنها أصرت على الذهاب لتراه،  
وبالفعل ذهبت إليه و جلست إلى جواره فى حين كانت نجوى  
تقف خلفها، و بصوت متهاالك طلبت من نجوى أن تتركها معه

قليلاً، فأستجابت و تركت الغرفة وأغلقت الباب خلفها.

ربما لم يصادفك يوماً شخص عزيز حتى وإن كان صديق اختاره الله بالابتلاء على شكل مرض خبيث لا مهرب منه ومن نهايته الحتمية بالموت، حتى ولو كان ذلك الشخص لم تجمعك به علاقة قوية أو أحاديث عميقة طويلة، فالشعور بقرب نهاية هذا الشخص لا توصف، لا مواساة في الموت، كل نظرة من عينك تجاه ذلك الشخص تكاد تستحلف القدر أن يبقى أو يجعل الله من بعد أمره أمراً.

هذا النائم المستسلم يكتب نهايته بإرادته، بعدما كان يناطح اليأس على سفح جبل؛ صرعه اليأس ليسقط بهوة لا قرار لها نحو النهاية، أن تصاب بمرض عضال لا نجاة منه أو تختار أن تنهى تلك المعاناة بإرادتك نفس الشيء.. في النهاية موت.

ليس لدينا الحق في الانتحار حيث تحريمه دينياً وتجريمه قانونياً لو أفلت المنتحر من براثن الموت، لكنه حاول أن يموت بطلب الحق في القتل الرحيم، حتى مع تحريمه شرعاً وتجريمه قانوناً هو الآخر بموجب الدين والدستور، محاولات ليجعل من انتحاره بعد هروبه يبدو أكثر اقناعاً وأقل ذنب، يحاول البحث عن طريقة تجعل الموت يبدو ملجأً له ولا يتحمل تبعات موته المنشود.

حاولت كاميليا أن تتكلم لكن علق لسانها خلف شفاتها و كأن الألم سجن الحروف خلف قضبانه، كانت تنظر إليه نظرة لا يصفها حرف، لكن يمكنك أن تعرفها جيداً إن عشت هذا الشعور مع عزيز، و خلف هذا الصراع المرير هربت الدموع



وقبل أن يصل إليها بخطوة، صاحت كاميليا فجأة قائلة:

«لماذا لا ترد علي؟ أنت تسمع كل ما أقول فكف عن الهرب وواجهني، كف عن الهرب والإ...»، دُهل جورج من انفعالها فلقد تغيرت نبرة صوتها في لحظة من حزن وانكسار إلى ثورة وانفعال، لكنها اكملت بصوتها المنكسر مرة أخرى قائلة:

«وإلا ماذا يا كاميليا؟ هل ستعاقبيه على عدم رضه؟ هل ستحرميه من وجودك؟ لن تفعلي شيء يا كاميليا فأنت أضعف من رد فعل معه»، واستسلمت للبكاء وبصوت عال، هنا أسرع جورج ويمسكها فهي كانت على وشك السقوط من على الكرسي، فاستتدت على كتفه وهي تنتظر له قائلة:

«انه يسمعي يا جورج، إبراهيم يسمعي صدقتي و يهرب من الرد، بالله عليك ماذا سيقول الآن و هل يرجع عن قرار عن اتخذه في حياته قط؟ كيف سأتحمل قراره هذا؟»

ربت جورج على كتفها في هدوء قائلاً:

«لا تفكري في هذا الآن فما يطلب لن يحدث، هذا الشيء محرم شرعا في كل الديانات و مُجَرَم قانونا و غير مسموح به و سيقابل بالفرض التام فلا تحزني، دعيه يستيقظ و بعدها نتحدث إليه، لكن أرجووك عليك بالهدوء»

نظرت إليه و كأن كلامه فتح لها بارقة أمل، فنهضت من مكانها ثم نظرت إليه قائلة:

«نعم نعم أنت طبيب و تعرف جيداً، جورج بالله عليك، بحق ما عايشناه سنوات، بحق الأخوة قل لي، لا مجال لحدوثه و بعدها

قل له ذلك فهو يسمعنا ، نعم يسمعنا أخبره بالله عليك»

إنها منهارة كلياً ، كلماتها ، نظراتها ، انفعالاتها كلها لشخص بصدمة كبيرة ، يهذى ويتخبط من الخوف ، حاولت جورج أن يجاريها الحديث ويطمئئنها قائلاً :

«نعم.. يسمعنا و يعرف جيداً أننا لن نسمح له ، أتركه الآن حتى يتمالك نفسه ثم لنا حديث آخر ، والأآن تعالى معي إلى غرفتك لتستريحى و نطمئن عليك» ، أمسك جورج بيدها يرشدها للباب فعيناها عالقة عنده لم تفارقه ، لكنها تحركت فى استسلام مع جورج حتى خرجت من الغرفة و أغلق الباب ليصطحبها إلى غرفتها.

جسد يتحرك لا إرادياً تشبه كثيراً الآليين ، يقودها جورج و هى لازالت تنظر إلى الباب حتى عادت غرفتها دون شعور بما يحدث أو أين هى ، و كأنها ترى ما لا يراه غيرها ، أو تركت بصرها هناك و تحاول أن تسترجع عيناها من غرفته ، جثة بلا روح.

ما إن وصلت غرفتها حتى دخل الطبيب يطمئن عليها ، فأخبره جورج بما حدث فرد عليه أنها تحتاج لبعض المهدئ فهى تحت تأثير صدمة عصبية ، لكن سوف يقوم بفحصها و عمل التحاليل أولاً ثم يعطيها بعض المهدئات كى تخذل للنوم.

و بالفعل قام الطبيب بفحصها و سحب بعض عينات الدم منها دون أى شعور ، ثم أعطاها عقار مهدئ و ما هى إلا دقائق حتى عادت للنوم ، و كأن ما حدث كان مجرد حلم.



## الفصل السادس

خرج جورج من غرفة كاميليا بصحبة الطبيب، لازل ما سمعه من كاميليا عالق بذهنه، والأكثر ألما كان بكائها الحار، يشبه كثيرا قطرات من شمع سائل تتساقط في راحة اليد وكم هي مؤلمة، لكنه توقف فجأة عند ما قاله لها، ما يطلبه زوجها صعب جدا بدرجة المستحيل، لكن هذا الرجل هل سيقف عند الرفض؟ اليوم الكرة في ملعب أسامة وربما بعد نفاذ فرصة في تحقيق مطلب إبراهيم سوف يلجأ لشخص آخر يساعده على ذلك، هل سيطلب منه المساعدة في قتل نفسه؟ لم يشعر بنفسه حينما نطق بصوت عال قائلاً:

«مستحيل... لن أفعل.. لن أفعل يا إبراهيم»

إلتفت الطبيب إليه بعد ما سمع سائلاً جورج:

«ماذا قلت يا جورج؟»، لم ينتبه لسؤاله حيث كان ولا زال عالق في عاصفة لا يدري إلى أين ستقفه، عاد الطبيب إليه ممسكا يده وهو يسأله:

«جورج.. هل أنت على ما يرام؟ لماذا أنت شاحب هكذا؟»، قبل أن ينطق جورج ورده اتصال هاتفي.

«صباح الخير يا أسامة، كيف حالك اليوم؟»، أجابه أسامة:  
«صباح الخير جورج، أنا بخير، هل أنت بالمشفى؟» أجابه جورج بنعم قبل أن يسأله أسامة إن كان هناك جديد فأخبره

جورج أن الوضع كما هو، قال له أسامة:

«حسنا.. أريد أن أتحدث معك و أنا فى طريقي إليكم الآن، فضلا انتظرنى»، قبل أن يستفهم جورج عما يريد أسامة كان قد أغلق الاتصال، وترك جورج فى حيرة أخرى، لكنه انتبه أن الطبيب لازال واقفا و ممسكا بيده اليسرى، فأعترض له جورج عن هفوته فقد كان يفكر ببعض الأمور، فسأله الطبيب:

«ماذا هناك؟ هل ثمة ما تخبرني به؟ حالتك منذ أمس لا تروق لي فضلا عن شحوب وجهك وانفصالك عن العالم بالتفكير أغلب الوقت»، نظر جورج صوب غرفة إبراهيم ثم تحرك مع الطبيب صوب مكتبه دون أن يجيب، دخلا سويا الغرفة ثم أشار لزميله أن يجلس، لكنه عاد لصمته مرة أخرى لكن هذه المرة وهو يتأمل نافذة غرفته و قطرات المطر التى تغسل زجاجها، ثم نطق فى صوت مهزوز:

«إبراهيم عبد العزيز يريد أن يتقدم بطلب للمحكمة الدستورية بتعديل مواد الدستور و قبول القتل الرحيم»، صُعق الطبيب مما سمع فصرخ لا إراديا:

«ماذا؟...»

لم ينظر إليه جورج على الرغم من نبرة صوت زميله، الأفكار التى تعصف به أقوى بكثير من الالتفات لذهول أيا كان، استطرد جورج حديثه قائلاً:

«لقد أخبرنا بذلك أمس بعد دفن ابن أخيه»، اعاد جورج ظهره للخلف دون أن يغير وجهة عينيه مكملاً:

«كنا بالمدرسة الإعدادية، وفي يوم من أيام الصيف كنا نلعب الكرة بالشارع المجاور لبيته، وفجأة طاحت الكرة بعيداً عنا ثم جاء شاب وخطف الكرة ثم جرى بها وأختفى قبل أن نتحرك قيد أنملة، كان أول من تحرك هو إبراهيم، أذكر جيداً ما قاله يومها، لقد أقسم بوالديه أنه لن يرجع بيته إلا والكرة معه، وبالفعل غاب ما يقرب الساعتين.. لكنه عاد بها فعلاً».

نهض جورج من على الكرسي وأستدار حول المكتب في بطئٍ و زميله ينظر إليه، ثم استقر جورج أمام زميله مباشرة وهو ينظر لعينييه ثم قال بنبرة عالية:

«هذا إبراهيم لا يتراجع، أنا أكثر من يعرفه وعايش كل ذلك معه، عناده، صلابته، حتى مرضه الذي يقاّته منذ سنوات، لا يتراجع»، نهض زميله من على الكرسي قبل أن يقول:

«هل تدرك ما يطلب؟ لن أقول لك تجريمه و تحريمه فنحن لسنا منصة قانون و كل منا على دين على الرغم من أن كلا الديانتين يمنعا ذلك و تحرمه، لكن نحن أطباء، من منا يُخل بالقسم و يسلب روح مريض؟ بالنسبة لي أنا.. لا أفعل»

لم يرد جورج على ما قال فهناك خلف تلك الكلمات كان خوفه من طلب إبراهيم، و هناك أيضاً شعوره بالذنب في موت سمير، انه أضعف من مواجهة ابراهيم العنيد والجريح، قبل أن يكملاً حديثهما سمعا صوت الباب معلنا عن شخص يستأذن بالدخول فسمح له جورج، لقد كان أسامة والذي رحب بهما ثم سأل الطبيب عن حالة كاميليا فأخبره الطبيب بالحالة ثم

استاذن من جورج كى يكمل مروره على المرضى.

جلس أسامة فى هدوء تبعه جورج، باغته جورج سائلاً:

«ماذا هناك يا أسامة؟ لقد شعرت بالقلق من طلبك لقائي»،

أشعل أسامة سيجارة فى هدوء دون أن ينظر لجورج ثم قال له:

«أريد ملف حالة إبراهيم الصحية منذ الحادث حتى اليوم مع

تقرير من المشفى أن حالة إبراهيم لا أمل فيها لعلاج»، صُقع

جورج من طلبه، لم يكن يتوقع الأمر بهذه السرعة حتى دون أن

يناقشوا الأمر مع إبراهيم، ما قاله أسامة يشبه كثيراً ضربة

عصا على ظهر الكف بصباح بارد، فصاح جورج:

«أطفئ هذه السيجارة فالتدخين ممنوع بالمكتب»، نظر إليه

أسامة بحنق وهو يسحب أنفاس سيجارته ثم نظر إلى السيجارة

و ألقى بها تحت قدميه وهو يقول:

«ما سر هذه العصبية يا جورج؟ هل كان طلبى صاعقا لهذا

الحد؟».

نظر جورج له بعد فعله الفظ و زاد من غضبه هدوء أسامة فى

الرد، قبل أن يرد عليه بعصبية زائدة:

«كيف لك بهذا الطلب دون أن نناقش الأمر مع كاميليا؟

نحن لم نكمل حديثنا مع إبراهيم عن هذا الأمر الصعب!»،

نهض أسامة متجها صوب النافذة ثم توقف عاقدا ذراعيه على

صدره بنفس الهدوء الذى يثير حفيظة جورج، وقبل أن يتكلم

نهض جورج من مقعده متجها صوب أسامة فجذبته من كتفه

بحركة دائرية إستدار بها أسامة الذى رفع حاجبيه من فعل

جورج الذى قال:

«من أنت يا هذا؟ ما سر هذه اللامبالاة الغريبة؟ هل أنت من عايش معنا هذه المعاناة و لو من بعيد؟ ما ال..»، دفعه أسامة بهدوء بعيداً عنه قائلاً:

«بل ما الذى تخفيه أنت؟ ما سر هذه العصبية والهجوم؟ ولما العجب.. أنت جورج الملاك الخائف، جورج الذى يحمل فوق عنقه موت سمير دون سبب، جورج الذى يخشى مواجهة إبراهيم والذى طالما كان كذلك».

بُهِت جورج من هجوم أسامة الحاد عليه بما قال و كأنه كان يكشف ما خلف صدر جورج، اكتفى بالنظر لأسامة الذى أخذ يتحرك بالغرفة و نظره عالق عليه، تابع أسامة حديثه قائلاً:

«أنا لا أقل عنك اهتماما و لا تنسى أن كاميليا من تبقى لي، و سيكون ردة فعلها أقوى بكثير من مجرد أطفئ سيجارتك فالتدخين ممنوع سيدى الطبيب، لكن سأمضى بهذا و أفتح هذا الملف حتى يقف إبراهيم عند حده و يكتفى من ديكتاتوريته الزائفة و ينتبه أن لكاميليا حق فى القرار»، جلس جورج على كرسيه متابعا لأسامة الذى أكمل:

«لو لم نفعّل ذلك سليلجاً لغيرنا، الصواب هو أن نسير معه بهذا الطريق حتى يطل لبابه الموصد، و بعدها حتى و إن حاول ألف ألف مرة لن يُقبل طلبه بواسطة أو بواسطة أقوى محامٍ القانون المصرى».

توجه أسامة صوب الكرسي ثم جلس حينما رد عليه جورج قائلاً:

«ماذا لو كان طلبه من تأثير حزنه على ابن أخيه و سيزول ،  
ماذا لو كان بحاجة للدعم منا ، أنت تنتظر للأمر من عندك  
فقط ، ما الذى سيفعله إبراهيم بعد الرفض وانعدام الأمل فى  
القض..» ، قاطعه أسامة بنيرة باردة كالثلج قائلاً :

«سيتصل بك ويطلب منك أن تساعده على انتهاء حياته» ،  
جحظت عينا جورج مما قاله ، فقد كان أكثر مخاوفه فعلا ،  
قبل أن يكمل أسامة :

«لهذا أنت متوتر و عصبى ، و لا يهمنى سبب خوفك والمبالغ  
فيه من طلب إبراهيم حيث يكفيك الرد بالرفض» ، هنا نهض  
أسامة من مكانه متجها صوب الباب فى طريقه للخروج ، و دون  
أن ينظر لجورج قال له :

«سيطلب منك إبراهيم هذا الملف بنفسه فأحرص على  
استكمالها فى أسرع وقت» ، فتح الباب واستدار ليواجه جورج  
ثم استطرد فى هدوء :

«بالمناسبة.. لا دخل لك فى موت سمير ، من قتل سمير هو  
إبراهيم نفسه»..

وأغلق الباب معلنا ذهابه.



«كاميليااا..»

كان اسمها أول ما نطق به أول ما استعاد وعيه ، منهك تماما  
غير قادر على فتح عينيه ، ربما حتى لا يدرك أين هو أو كم من  
الوقت مر عليه و هو فى غياب عن الوعى ، كل ما شعر به أنه

لأول مرة طيلة تلك المعاناة يستيقظ دون أن توقظه، فكان ردة فعله هو أن ينادى عليها.

أخذ يكرر اسمها بصوت واهن يعلو مرة بعد مرة دون أن يجيبه أحد، لكنه فجأة صرخ بصوت عال:

«كاميلياaaaaaaaaaaaaaa»..

شعوره بفقدانها ما زال يفتك بعقله، فور ما تمالك نفسه تذكر ما حدث وكيف لشعور غيابها وقع مخيف عليه، فجأة فتحت نجوى الباب وهي تجرى صوبه قائلة:

«سيدي.. سيدي اهدئ انها بخير فى غرفتها»، صرخ مرة أخرى قائلاً:

«أريد أن أراها والآن، الآن»

ظهر الطبيب و معه ممرضة اتجها صوب إبراهيم محاولا تهدئته هو الآخر دون جدوى، فقال له الطبيب:

«اهدئ أرجوك دعنى أطمئن على صحتك و لا تخف فزوجتك بصحة جيدة جدا»، لم يستمع له و أكمل صراخه قبل أن تقول له نجوى:

«لن يهدئ حتى يذهب هناك، أرجوك دعنى اصطحبه حتى غرفتها كى يطمئن و بعدها نجرى الفحص سيدي»، أشار لها الطبيب بالموافقة وطلبت من الممرضة أن تساعدها فى وضعه على الكرسي المتحرك، وبالفعل توجهها صوب غرفة كاميليا والتي لازالت غارقة فى نومها، فأخبره الطبيب أنها تعرضت لصدمة عصبية و هى تحت تأثير المنوم.

استقر إبراهيم جوار كاميليا ، كان الطبيب يشرح له عما حدث و أنها بخير لكنه لم ينظرو ولم يعقب بشئ ، لقد كان فى عالم آخر ، لكنه فجأة نظر للطبيب والذى لازال يشرح له ثم قال:

«أريد أن أبقى معها بمفردي»، نظر الطبيب إلى نجوى والتي انسحبت بدورها من خلف الكرسي و بصحبة الطبيب و معاونته غادروا الغرفة و أغلقوا الباب خلفهم.

حينما يضغط اليأس على عنق الإنسان و يسحبه ناحية الموت، تتبدل نظراته لكل شئ حوله، إلا تلك النقطة التي لازالت حية داخله، تلك النقطة التي تنهش روحه بمخالبتها والتي تُعلن أنه لازال إنسان، مهما بلغ من الحياة فهو ضعيف عند شئ ما، إنها النقطة ذاتها التي ما إن تخطاها و كسر حاجزها فلن يبالي بشئ، لن يمنعه شئ بالحياة من تقدمه نحو إزهاق روحه وبمنتهى اللامبالاة.

تلك النقطة هى كاميليا ، الخيط الرفيع الذى يفصله عن النهاية، الخيط الذى يربطه بقدم الحياة، لا يستطيع تجاوزها ويخاف من أن تتجاوزها هى لا إراديا ، لكن عند موت سمير اختل توازنه من على الخيط، فهو الآن يترنح و بشدة يصارع الفراغ فلا يجد ما يتمسك به و لا يستطيع النظر لأسفل، حتى حانت تلك اللحظة التي لا مهرب منها.. الإستسلام للهاوية

ساد الصمت طويلاً فى الغرفة عدا صوت زخات المطر التي تدق النوافذ على استحياء، تنهد إبراهيم بصعوبة و قرر أن يبدأ الحديث أخيراً حينما قال:

«لم أتناول إفطاري حتى الآن، لم يحضر لي أحد منشفة ليمسح وجهي»، شعر و كأن الكلمات وقفت في حلقه و تكاد تخنقه فنظر لأعلى و هو يتهد مرة أخرى ثم قال:

«وثيابي كما هي و أظن أنها اتسخت، و لم يحضر أحد ليطمئن علي و يداعب شعري، لكن الأكثر إيلا ما في هذا الصباح هو شيء آخر»، نظر إليها مرة أخرى و على وجهه إبتسامة ساخرة على الرغم من انكساره الذى ملئ صوته الحزين ثم استكمل قائلاً:

«لم أسمع صوتك حتى الآن يا كاميليا، لم أسمع صوتك الذى يضخ الدم بصدري»، زاد المطر و زاد صوت ارتطام زخات المطر بالزجاج و كأن السماء شعرت بحجم تلك المعاناة التى يحملها و كم كانت تلك الكلمات مؤثرة حتى أن عيناه فاضت بالدمع و دون أن يشعر.

إلى أين ستذهب و أنت مُحَمَّل بكل هذه المعاناة؟ و كم من الوقت تستطيع الصمود حاف القدمين على صفيح ساخن مُكَبَّل.. مُكَمَّم؟ لن تجد غير الصراخ من أعماقك بما لن يسمعه غيرك، ولن تستطيع على هذا الألم صبراً، فملاذك الوحيد كى تشعر بأنك إنسان هو أن تبكى.

نظر إلى قدميه العاجزتين برؤية شبه معدومة من الدموع، قبل أن يتكلم والبكاء يكسو كلماته و بصوت عال قائلاً:

«لم أتحمل صباحا واحدا يا كاميليا ولهذا أريد أن أذهب، دموعي لا أستطيع أن أجففها و لا أستطيع النهوض لأقترب منك

أشمر رائحتك، و عاجز عن لمسك حتى، لقد انهار إبراهيم تماما  
يا كاميليا و يحتاج منك تذكرة العبور، لن أتحمل صباحا آخر  
بدونك، أستحلفك بالله أفلتى يدي، أستحلفك بالله دعيني  
أذهب.. أرجووووكِ»

لم يستطع أن ينطق بكلمة بعدها فقد غرقت الحروف  
بسيل الدموع ورفع يديه عكس إتجاه الريح ليقع فى الهاوية،  
لقد استسلم تماما لكنه عالق عندها، فقط ينتظر منها ما لن  
تستطع عليه.

لم يستطع رفعه رأسه مرة أخرى كى ينظر لها، و حتى إن  
استطاع فكيف والدموع تحجب الرؤية، لقد اكتفى برؤيتها  
بقلبه، وامتزج صوت البكاء بصوتها العالق فى ذاكرته، لكنه  
انهار تماما و أصابه التعب و يتنفس بصعوبة بالغة، فى تلك  
اللحظة و دون أن يشعر دخلت احدى الممرضات الغرفة دون أن  
تدرى بوجوده، و ما أن شاهدت ذلك ركضت مسرعة لإحضار  
الطبيب، لكن قبل أن تصل شاهدتها جورج و هى تخرج مسرعة  
من غرفة كاميليا فتملكه القلق، فركض بسرعة و ما أن  
وصل حتى وجد إبراهيم و حالته تلك فصرخ:

«ماهذا يا إبراهيم؟ ماذا تفعل بنفسك؟»، فحص نبضه و حاول  
رفع رأسه فوجد سيل الدموع، ووسط محاولت إبراهيم التحدث  
لكن جورج لم يستطع تمييز ما يقول إلا كلمة « اتركني معها»،  
دخلت نجوى هى الأخرى مسرعة لتجد جورج يسحب إبراهيم  
لغرفته لمحاولة إسعافه بالتنفس الصناعى، لقد كانت رؤيتها  
لدموع إبراهيم صادمة فهى المرة الأولى، توقفت مكانها دونما

حركة، حتى غادر الجميع وهي لازالت في مكانها كتمثال.

استدارت نجوى صوب كاميليا قائلة:

«استيقظي يا سيدتي، انه فعلا ينهار بدونك.. استيقظي»، ثم  
أدارت وجهها صوب الباب كي تذهب إليه، ولكنها توقفت  
فجأة في ذهول بعدما سمعت هذه الجملة، «لقد ذهب إبراهيم..  
ذهب دون عودة»

كانت كلمات ضعيفة مكسورة و ممزوجة بالدموع.



## الفصل السابع

المعاناة..

أشباح تمنعك من الخروج للحياة، تبقى محبوس فى رحم ألم، ضيق.. مظلّم و متسخ لا يلفظ سوى جنين فارق الحياة، أو آخر غير مكتمل النوم بصحبة القليل من الأوكسجين، فيكتفى من حولك بمراقبتك و كأنك فأر للتجارب داخل قفص زجاجى يرى الأمل بالقرب منه لكن لا يستطيع الوصول.. أقدار.

عاد إبراهيم إلى فراشه و من حوله وقف جورج والطبيب والمسعفين، كان يحتاج لجلسة تنفس صناعى و كذلك لبعض المهدئ، لم يتمالك جورج نفسه من حال إبراهيم المنهار تماما على عكس طبيعته، فجلس إلى جواره بينما يحاول الطبيب إسعافه.

بضع دقائق حتى عاد إبراهيم لوضعه النائم مرة أخرى و لازل جهاز التنفس فوق أنفه، اقترب الطبيب من جورج قبل أن يقول: «حالته تزداد سوء و من الأفضل أن نجرى لرتتيه أشعة»، لم يستطع جورج النطق و اكتفى بالإشارة برأسه عن تفهمه و تأييد الرأى، فجأة تذكر جورج كاميليا فقال:

«أنا متفق معك بضرورة بقائه هنا لبعض الوقت، و ربما حتى تتحسن حالة كاميليا أيضا، لكن أتوقع رفض كاميليا لهذا»، فقال له الطبيب:

«لا أفهم سبب إعتراضها على بقاءه هنا كل مرة، لكن حالتها الصحية أيضا حرجة وتحتاج للفحص والراحة يا جورج»، نهض جورج وهو لا زال ينظر لإبراهيم ثم قال: «أنت محق في ذلك، سوف أتحدث معها حينم...».

قاطعته صوت قادم من عند الباب قائلاً:

«سوف نصحبه للمنزل ما أن يستيقظ وينتهي الطبيب من الأشعة، لا حاجة له بالبقاء هنا»، نظر جورج صوب الصوت، لقد كانت كاميليا والتي تستند على نجوى عند باب الغرفة، و من الواضح أنها سمعت ما قاله الطبيب وأعلنت رفضها، تقدمت صوب إبراهيم بخطوات متثاقلة مكبله بالتعب، حينما قال لها الطبيب: «انه يحتاج للراحة و هنا أفضل...»، قاطعته هو أيضا بنبرة حادة قائلة:

«سيذهب لمنزله اليوم بعد أن يجرى الفحص، وأنا سأهتم به»، ذهب جورج نحوها ثم أمسك يدها كى يجلسها على الكرسي و هو يقول:

«كاميليا.. أنت أيضا فى حاجة للراحة والفحص، أرجوك و لو يومين نطمئن على صحتكما»، لكنها اكتفت بالنظر إليه دون أن تتكلم، ثم نظرت صوب إبراهيم دون أن يرمش لها جفن، ثم قالت:

«هناك الكثير يجب أن نتحدث به، و من الأفضل أن يكون ذلك بسرعة و فى بيته»، لم يعقب جورج على ما قالته واتجه صوب الطبيب يتحدث معه فى طرف الغرفة، أما نجوى فقد أحضرت

---

بعض الماء لكاميليا كى تشرب، والتي ارتشفت من الماء بعضه ثم أخذت تنتظر لما تبقى من ماء بالكوب، و فجأة أمالت الكوب رويدا رويدا تسكب ما به على الأرض و هى تقول:

«بعض قطرات من الماء جعلت من هذا الكوب ذو قيمة، تلك القيمة اكتسبها بفضل وجود الماء به، كوب زجاجى.. بلاستيكى.. معدنى و لو كان حتى معدن نفيس، ما قيمته وهو فارغ؟»، اندهش الحضور جميعا مما تفعل، لكن الحضور اکتفوا بمتابعة ما تقول فى صمت، حينما أكملت:

«أشبه تماما هذا الكوب يا إبراهيم، أما أنت فالماء الذى يملئنى و يجعل لي بهذه الحياة أهمية و قيمة، وها هى معاناتنا تسكب مائى منى لأصبح مجرد كوب فارغ بلا قيمة، كم هذا مؤسف حقا»، فجأة أفلتت الكوب من يدها ليستقط على الأرض فينكسر لقطع أكبرها كان قاع الكوب، ثم انحنتم مسكة تلك القطعة فى حين هرعت إليها نجوى تمسك ما بيدها، لكن كاميليا دفعت يدها بعيدها و هى تنظر لها قائلة:

«لا تخافى.. أن انظر لها فقط، أنظر لنفسى بعد إبراهيم ولا أفكر بالانتحار»، ثم عادت لتتظر مرة أخرى له و هى تقول:

«هل تري ما تبقى منى، قاع الكوب الذى كان يحملك، ذلك القاع هو حبي لك طيلة السنوات التى مضت، تريد أن تموت؟ سأتمزق و لن يبقى منى سوى ذلك الحب»، عاد لها جورج مرة أخرى فأمسك يدها دون أن تنظر له ثم التقطت منها قطعة الزجاج، حينما أكملت قائلة:

«كنت أود أن أرد عليك ما قلت منذ قليل، لكن صوت دموعك كانت كالرعد، كم كانت قوية وحادّة، وضعيتها على رقبتى لم أقوى على التفوه بعدها، كعادتك تجيد تكميم فمى حينما يتوجب على النطق».

ثم نهضت من مكانها دون أن تنظر لأحد، حاولت نجوى أن تمسك بيدها لكنها أشارت لها بالرفض فتركتها تذهب حيث تريد، وتركت من خلفها الجميع فى حالة انكسار.. تماما كالكوب.



جلس أسامة فى مكتبه منهمك فى تصفح بعض الكتب والملفات أمامه، لقد بدأ بالفعل فى تحضير أوراقه التى سيرفقاها مع ملف حالة إبراهيم للمحكمة فى محاولة منه فتح باب لإقرار قانون يسمح بإقرار القتل الرحيم، ربما لم تكن المرة الأولى فى السنوات الماضية التى ينادى فيها محام بمطالبة مراجعة موقف القانون حول تلك النقطة المعتمة حتى الآن، لكن كلها تم إخمادها قبل ظهورها وتم إدانتها وبشدة من محافل كثيرة كان أهمها الأزهر الشريف.

قطع تفكيره صوت الباب حيث هناك من يطلب الإذن بالدخول، فسمح أسامة لمن بالباب بالدخول، فظهر من خلف الباب شاب ثلاثينى طويل القامة مهندم الثياب، وقبل أن يدخل للغرفة قال:

«سيدى.. هل طلبتني؟» اعتدل أسامة فى جلسته وأشار إليه

---

بالدخول والجلوس ، أكمل أسامة الورقة التي كان يتفحصها  
ثم نظر إلى ذلك الشخص و سأله :

«قل لي يا أحمد.. ما رأيك كمحام بالقتل الرحيم؟»

اعتدل أحمد فى جلسته حيث أن السؤال كان غير متوقع  
فأصابه بعض الارتباك ، حاول إخفاءه بالاعتدال على مقعده قبل  
أن يقول :

«لطالما كنت مهتم بهذه النقطة و حاولت كثيرا البحث  
فيها ، قرأت الكثير من الأبحاث القانونية الخاصة بذلك ،  
تابعت حالات كثيرة تنادى بأحقيتهم فى موت رحيم ، دول أقرت  
بضوابط و دول أدانت ، إنها نقطة معقدة كثيرا سيدي»

التقطت أسامة قداحته و أخذ ينظر لها حيث كان يديرها  
بأصابعه ، ثم قرر أن يشعل سيجارة و نهض من على مكتبه  
ليدور حول الكرسي و يقف خلفه ثم قال :

«هل تظن أن القانون المصرى يسمع بالنظر فى ذلك النوع من  
القضايا إن قمنا بعمل عريضة دعوى بالمحكمة الدستورية؟» ،  
نهض الشاب بدوره إحترامنا لرئيسه ثم نظر لأسامة و قال :

«لا أظن ذلك ، طبقا للمادة الثانية من الدستور فالقانون  
المصرى مبنى على الشريعة الإسلامية ، و حيث أن قتل النفس  
التي حرم الله إلا بالحق مُحرم فلن يسمح أحد به» ، تقدم أسامة  
من مكتبه ثم اتلقط بعض من الأوراق و قال :

«هناك العديد من الحالات شفاؤها معدوم ، و حالات موت  
جذع المخ أيضا حالات لا أمل فيها بل إن بقاء المريض على

الأجهزة مضيعة للوقت و تكلفة مهذرة أيضاً».

حاول أحمد الوصول للنقطة التى يدور حولها أسامة فلم يصل إلا أن رئيسه يفكر بموقف القانون من القتل الرحيم وإمكانية قبوله وتقنينه، لكنه لا يدري سبب هذا الحوار و هل ينوى أن يقتحم تلك النقطة؟ و لماذا؟.

دفعه الفضول ليسأله قائلاً:

«سيدي.. هل سمحت لي بسؤال؟ لماذا تبحث فى هذه النقطة تحديداً؟»، اكتفى أسامة بادئ الأمر بالنظر إليه و هو يدخل سيجارته، ثم عاد لينظر لبعض الأوراق مرة أخرى قبل أن يقول: «أريد أن أقترح هذا المكان و إلقاء ضوء على هذه النقطة، لدى شخص يريد الحصول على هذا الحق»، نطق أحمد بنبرة عالية من بعد انفعاله بكلمة حق قائلاً:

«لكنه ليس حق سيدي، كيف لنا العبث بنقطة تقضى على إزهاق روح فقط لأنها تعانى من مرض ما و إن كان مستحيل شفاءه فخالقه وحده من يملك ذلك الحق لا نحن»، جلس أسامة ثم نظر إلى أحمد قائلاً:

«نحن لا نناقش هنا الأمر دينيا، و لا أخلاقيا حتى، إننا نتحدث عن القانون والذى لا يوجد به ما يمنع و لا ما يقر هذه النقطة غير أنه يعطيه الحكم كأنه نوع من الانتحار مع العلم أن الحق بالانتحار غير الحق بموت رحيم».

شعر أحمد أن مهما قال له لن يفلح فى إقناعه فما كان منه إلا أن جلس و تركت أسامة يكمل قائلاً:

«سوف تقدم الدعوى، و يتم تسريب هذا الأمر للصحف و فى تلك اللحظة سوف أتواصل مع بعض الأصدقاء لترتيب لقاء تليفزيونى بأحد البرامج الحوارية و نرى الرأى العام و نضغط بالتالى على المحكمة لتبيان الأمر، مع مراعاة ما سنرفقه من تقارير وأسانيد تعمل على نجاح المحاولة لأنها ستكون الأخيرة»  
قال له أحمد بصوت متردد :

«ما المطلوب منى يا سيدى؟»، نظر له أسامة و تناقل نظره ما بين أحمد والأوراق الموجودة على مكتبه، ثم قال :

«هذا هو المطلوب، أريد تقارير عن حالات تنادى بالقتل الرحيم، مع بعض المعلومات عن حالات مشابهة ببعض الدول التى أقرته حتى الآن والتعديلات الدستورية والقوانين التى حددت إباحته، و عليك أن تترك كل شىء و تبدأ بذلك من الآن». نهض أحمد ثم توجه صوب الباب، و ما أن وصل حتى قال له أسامة :

«خمسة أيام أظنها كافية لعمل عريضة الدعوى، أحرص على ألا تتأخر.. بالتوفيق»، ثم غادر المكتب و ترك خلفه أسامة يكمل ترتيب أوراقه، فقد كان جاد جدا فيما طلب، والأمر ليس كما قاله لجورج أنه سوف يتم رفضه، إنه يحاول أن يفوز به، بموت إبراهيم.



## الفصل الثامن

هل أنت بخير؟..

ياله من سؤال باهت و فح.. على الرغم من مواساته إلا أنه وقح، خاصة لشخص طفح زبد الحزن على أمواج حياته، نكذب بنحن بخير، فقط حتى لا تميمع أمعائنا بتلك السموم التي تسكنها، حتى لا نلوث ذلك الثوب الأبيض، حتى لا ينكسر الحاجز الزجاجي الذي يفصل ما بداخلنا عن ذلك الهدوء المصطنع.. كم هذا سخيف حد الألم!.

جلست كاميليا على أحد الكراسى بساحة الإنتظار حيث لم يتبعها أحد، لقد كانت بحاجة للإختلاء بنفسها، كما أن الحضور لم يستطيعوا مواجهة ما قالت، كان على الجميع أن يحاول قدر ما استطاعوا أن يلتقطوا مخيط الهدوء ليحيكوا لكل ثوب ظاهريا يبدو أنيق.

لا زالت تسمع كلمات زوجها و كيف أخبرها بضرورة ذهابه، و كأنه لازال يكررها، غابت تماماً عما حولها، ربما تحاول استيعاب ما قال، ربما تحاول التفكير بتلك المواجهة والتي هرب منها الطرفين واستبدلاها بحديث من طرف واحد ربما لا يستطيع تكراره مرة أخرى، فى هذه اللحظة انها وحيدة تماماً، وما بداخلها يصرخ و روحها تنتحب و بشدة.

مر الوقت على كاميليا دون حركة، إلى أن ظهر جورج الذى

كان يبحث عنها ، جلس إلى جوارها دون أن يتكلم وهو ينظر للأرض ، لكنها امتلكت الشجاعة لتبدأ الحديث فقالت :

«لا تقلق.. أنا لازلت بخير فلا داعى لهذا السؤال و دعنا نتناول وضع إبراهيم بطريقة جدية ، يجب أن يعود لبيته اليوم من فضلك» ، تنهد جورج ثم نظر لها قائلاً :

«لا عليك فسوف أسمح له بالذهاب بسيارة اسعاف حتى المنزل ، و سوف أصطحبه بنفسى ، أتفهم جيدا ما بداخلك و لن أناقش ذلك».

نهض جورج من مقعده و غاب قليلا ثم عاد و فى يده كوبين من القهوة ، جلس و مد يده لها بكوب فأخذته حينما كان يقول :

«سيساعدك قليلا ، أنت لم تأكلى شيئا حتى الآن ، دعينى أحضر لك شىء» ، حاول النهوض لكنها أمسك ذراعه و هى تقول :

«لا أستطيع ، أشكرك على القهوة» ، نظر إليها و هو يهز رأسه فى استجابة ثم جلس ، تركها تحتسى قهوتها فى هدوء ، و جلس هو الآخر يفكر و ما إن انتهى كلاهما من قهوته أخذ الكوب منها و ذهب يلقيها بسلة المهملات ثم عاد ، ثم قالت :

«لقد سمعت ما كان يقوله ، لم ينتبه أننى استيقظت ، كان بيكى بشدة و يطلب منى السماح له بالمرور ، لا أدرى كيف تمالكت نفسى يا جورج لكن حقا كنت عاجزة عن النطق ، انه لا يجب المشفى أنت تعلم ، لكن هناك شىء آخر فوق صدره» ، نظر إليها جورج و هى تكمل قائلة :

«يخشى أن أذهب و أتركه ، فقدانه سمير سَلَطَ الضوء على

نقطة داخله، أن الموت لا يُعطى فرصة، يأتي ليأخذ و لن يرضخ لكم التوسلات لينتظر قليلاً، لقد انهار و لا أدري كيف أتخطى ذلك معه».

عقدت ذراعيها على صدرها وهي تنظر لأعلى قبل أن تكمل:  
«هل لديك شيء يفيدني في هذا؟».

تنفس جورج في هدوء ثم قال لها:

«إبراهيم عنيد جدا، خاصة إذا قرر شيء فلا نقاش معه حينها، لكن بحكم صداقتنا منذ الطفولة سأقول لك شيء ربما يفيد، لا تتحدثي معه عن ذلك الآن، و لو حاول أخبريه أنك لست على ما يرام لمناقشة تلك النقطة، عليك خلال تلك الفترة أن تخرجه من المنزل لأي مكان يرى فيه الحياة، يجب أن يرى الوجه الآخر لقراره».

نظرت إليه كاميليا وهي تشعر ببارقة أمل، ثم قالت:

«أنت محق في ذلك، لن أجادله و سأكتفى بالصمت والتجاهل و سوف أنظم لخروجه من المنزل مع نجوى ربما يجدي».

ابتسم لها جورج و قال:

«أنا معك تماما، ثقي بأن لك كل دعمي، و الآن دعينا ننهي أوراق خروجه و تجهيز السيارة لنقله للمنزل قبل الليل»، نهض جورج متجها صوب غرفة إبراهيم، و كاميليا جلست مكانها تكمل التفكير بما سيحدث، تحاول أن ترتدى دروعها و تستعد لتلك المعركة.. معركة الموت.



---

استيقظ إبراهيم لكنه بالكاد يفتح عينيه من تأثير المنوم، لحظات حتى استطاع تمييز المكان، إنه فى بيته أخيراً، حيث نجوى لازالت تجلس جواره، و فور ما استجمع نفسه نطق بصوت منخفض قائلاً:

«أين كاميليا؟».

نهضت نجوى من مكانها ثم قالت:

«سيدى إنها بالمطبخ تُعد لك بعد الحساء و...»، قاطعها إبراهيم بلهجة حادة و هو يقول:

«أريد أن أراها من فضلك»، لم يكذب ينهى كلماته حتى ظهرت كاميليا عند الباب و فى يدها طبق من الحساء الساخن وهى تقول:

«لماذا أنت مضطرب؟ أنا هنا لا تقلق»، حاولت رسم إبتسامة على وجهها لكنها لم تخدع إبراهيم الذى طلب منها أن تجلس إلى جواره على السرير كالعادة ففعلت، فى حين طلبت نجوى منهما الإذن كى تذهب لتحضير بعض القهوة و هى تقول:

«هل أحضر لكما القهوة؟»، أجابتها كاميليا:

«سيكون جيد جداً بعد هذا اليوم الشاق، سنشرب معك»، تعجب إبراهيم من طريقة كاميليا التى كانت تتعامل و كأن شىء لم يحدث أو كأن ما حدث كان فى أحلام إبراهيم و لم يُخبرها بقراره، لكنه إبتسم فى سخرية قائلاً:

«ما رأيك ببعض الموسيقى أيضاً؟ و إن سمحتى لى أيضاً

برقصة سيكون ممتاز»، ابتسمت و هى تقول له:

«أنت تعلم أنى غير جيدة بالرقص، فشلت كثيراً ف...»،  
لكنه قاطع ما تقول صارخاً:

«ماذا يحدث؟ ألن تقولى شىء آخر؟ ألن تصرخى و تقولى  
كيف تفعل ذلك بي؟»، مدت يدها تلامس وجنته و هى تقول له:  
«إن كنت تحبني حقاً؛ عليك أن تهدأ قليلاً و دعنا لا نتحدث  
عن ذلك الآن، أرجووك يا إبراهيم»، أشاح إبراهيم وجهه للطرف  
الآخر حيث تبعد يدها عن وجهه، فأكملت قائلة:

«لقد تعودت على الهرب منى، و تلومنى الآن لأننى أهرب  
منك لأول مرة؟ ما قلته أمس لن أناقشه معك الآن، أعطنى بعض  
الوقت، كلانا يحتاج أن يلتقط أنفاسه قليلاً، نحتاج لهدنة كى  
نتناقش يا إبراهيم».

نظر إليها نظرة طفولية قبل أن يقول:

«أعتذر عن الصراخ، لقد تفاجأت من هدوءك فكنت فى  
إنتظار موجة غضب وعتاب، أنت محقة تماما فأنا كنت أهرب  
و لم أستطع مواجهتك و كنت أتصيد الفرص و أنت نائمة كى  
أخبرك بما أشعر كى لا تسمع...»، قاطعته وهى تعيد كفها  
على وجنته قائلة:

«و من قال لك أننى لم أسمع؟ أتدرى ما هى أصعب لحظة  
عايشتها بعد لحظة الحادث؟ تلك اللحظة التى جمعتنا اليوم  
و أنت تبكى و تطلب منى أن أتكلم فى حين أن لسانى عالق  
و لم أستطع أن أنطق، سامحنى لقد كنت منهاره تماما مثلك»،  
اندهش إبراهيم مما سمع، فهو لم ينتبه أنها كانت مستيقظة،

---

حتى أنه من إندهاشه نسى ما قاله فى تلك اللحظة وتذكر  
بكاؤه فقط.

قرر الهروب مرة أخرى مع احترام رأى زوجته بتأجيل النقاش  
ثم قال:

«لنتناول الحساء قبل أن يبرد ، بعد قليل ستحضر نجوى القهوة» ،  
ثم ابتسم لها و هى تضع الطبق على المنضدة قبل أن يقول:  
«أعيش أو أموت ، أمنيته الوحيدة هى أن تكونى زوجتى  
بالأخرة ، ربما أحظى بفرصة ثانية للرقص معك أيتها الفاتنة» ،  
ابتسمت و هى تطعمه و لكنها قبل أن ترد عليه كانت نجوى  
تطلب الإذن بالدخول ، سمحت لها فدخلت نجوى ممسكة هاتف  
كاميليا قائلة:

«سيدتى.. السيد أسامة اتصل مرتينو لم تنتهى لأن الهاتف  
بالوضع الصامت ، يريد أن يتحدث إلى سيدى» ، التقطت كاميليا  
الهاتف ثم فتحت مكبر الصوت ليحدثه إبراهيم الذى قال:

«مساء الخير يا أسامة» ، جاوبه أسامة بإلقاء التحية ثم قال:  
«حمدا لله على سلامتكما ، ذهبت للمشفى لكن الطبيب  
أخبرنى أنكما بالمنزل ، لن أزعجكما بهذا الوقت بالحضور ،  
لكن سأزورك فى وقت لاحق لمناقشة بعض الأمور ، لكن  
أريد منك أن تخبر جورج بتجهيز ملف حالتك الصحية فأنا بحاجة  
إليه» ، نظرت كاميليا إلى إبراهيم وهى تنتظر رده ، فأجابه:

«حسنا سأنتظرك غدا ، وسأتحدث مع جورج بهذا الخصوص ،  
و سنناقش باقى الأمور غدا ، تصبح على خير».

أغلقت كاميليا الهاتف و هي متوترة من رده، فقالت:  
«ألم نتفق أن ننتظر قليلا و نتناقش بهذا؟»، نظر لها و قال:  
«نعم أنا و أنت، لا أنا و أسامة، من فضلك لئنهي المناقشة  
هنا أو نكملها حتى النهاية بقرار»، وضعت كاميليا هاتفها على  
المنضدة ثم أكملت إطعامه دون أن تتكلم، و ما إن انتهت حتى  
أخذت الطبق و ذهبت للمطبخ، و ما أن غادرت الغرفة و أبتعدت  
نطق إبراهيم بصوت خافت:  
«سامحيني يا كاميليا.. سأكمل بطريقي، سأكمل حتى  
أحصل على الراحة مهما كلفني الأمر».



## الفصل التاسع

كم منا يحمل على تخوم قلبه حرب مشتعلة ما بين الحزن والتمنى، يُرسل جنوده لتدك حصون الألم بالأمل، فتتشبت تلك الجنود بإنفجار قنبلة الواقع، ويسقط كل واحد منها على شكل دمعة، وماذا نفع؟ فنحن دائماً نبحث عن قيس بالظلام، حتى ولو كان لهيب شمعة.

الأيام تتساقط ببطء شديد على إبراهيم الذى أصبح شارد طيلة الوقت، يحاول الوصول لشاطئ بعيد عن المعاناة، لا يدري متى ولكنه تحمّل الكثير حتى تلك اللحظة، يتصفح كتابه أمام عينيه ماذا فعل بحياته و ماذا لم يفعل و ماذا كان يفترض به أن يفعل؟ فقط نظرة عكسية لحياته و عودة للخلف، حيث لم يعد هناك أى تطلع ليوم جديد سوى الانتظار دون أمل.

كاميليا بدورها تتجنب الحديث معه على الرغم من علمها التام أن حالة صمته تحمل عاصفة خلف تلك القمة العالية، تخشى أن تصعد القمة لترى ما خلفها تعصف بها الرياح لتسقط فى الهاوية دون رجعه، لكنها تتمسك بجبل الأمل ربما يهدأ، أو تفشل مساعيه كما قال لها جورج.

على الرغم من سعى أسامة خلف القضية، و حصوله على ملف حالة إبراهيم وكذلك بعض الحالات الأخرى المعقدة، فهى تتمنى أنه لا مجال لتطبيق هذا الشئ، لكن ما كان

يشغل بالها حقاً هو ما هي الخطوة التالية، فهو لن يستقر مكانه عند الرفض إن حصل، فما عساه ينوي.

غربت شمس اليوم ولا زالت نجوى تقوم ببعض الأعمال المنزلية لهم، على الرغم من أنه ليس من شأنها، إلا أنها تعيش معهم منذ سنوات وتتعامل معهم كعائلتها خاصة بعد وفاة والدها وهي طفلة، ربما قريبها من إبراهيم كان يريحها حيث عطفه عليها واهتمامه بها كطفلة، وربما هما أيضاً باعتبار أنها طفلتها التي لم يرد الله أن تكون من صلبهما، فكانت علاقة متبادلة دون مصلحة قائمة على الحب المتبادل.

دخلت كاميليا المطبخ لتشرب بعض الماء، فأقتربت من نجوى وهي تقول:

«ما رأيك أن نغير من روتين اليوم القاتل ونخرج جميعاً غداً نتناول الغداء ونتنسم بعض الهواء، لم نحظى بتلك الفرصة من قبل، هل أنت متفرغة»، تفاجأت نجوى بطلبها وشعرت بالسعادة فالجميع فعلاً في حاجة ماسة لذلك، فقالت لها وهي تبتسم في فرح:

«نعم نعم أنا متفرغة تماماً وإن لم أكن سأترك كل شيء لأحظى بهذا اليوم معكم»، ابتسم كاميليا تعبيراً عن سعادتها بوجود نجوى معهم، لكن نجوى فاجأتها بسؤال قائلة:

«هل سيدي على علم بذلك؟» أجابتها قائلة:

«ليس بعد، في الحقيقة لقد كانت فكرة جورج وقت كنا بالمشفى، و منذ ذلك اليوم أحاول الإستعداد لهذا بعد أن شعرت بتحسّن حالته، أتمنى ألا يردني بالفرض»، أمسكت نجوى

يديها وهي تقول:

«هل تودين مساعدتي فى هذا؟ أم من الأفضل أن تقررا ذلك وحدكما؟»، أجابتها كاميليا:

«سأحاول معه أولاً، و لو فشلت سأطلب دعمك فوراً»، ابتسمت نجوى ثم ذهبت كاميليا لغرفة زوجها، و ما إن دخلت حتى جلست إلى جواره و قالت:

«هل تحب البدلة السوداء أكثر أم الرمادية؟ أظن السوداء على القميص الأبيض تناسبك و تجعلك وسيماً أكثر»، ابتسم لها ثم قال:

«لماذا؟ هل سنجدد زواجنا؟ أم تبحثين لي عن عروس أخرى؟ لو ذلك فأحرصى على أن تكون جميلة مثلك و إلا ستفار»، ابتسمت و هى تقترب من وجهه حين قالت:

«أحمق.. أنا جميلة لأنك ترانى بعينيك فقط»، نظر إليها دون أن يتكلم، فقاطعت صمته قائلة:

«لم أتلقى جواب مفيد، أى منهما؟»، فرد عليها:

«ستوقف ذلك على سبب إرتداء البدلة»، نهضت من مكانها و توجهت صوب النافذة ثم فتحتها قليلاً لتتنسم بعض الهواء، ثم عادت تنظر إليه قائلة:

«أود أن نخرج سوياً غداً لقضاء اليوم بالنادى، نحن فى حاجة لذلك يا إبراهيم»، نظر صوب قدميه ثم تنهد فى ببطء وقال:

«لقد حرمتك من الكثير يا كاميليا، سنوات و أنت حبيسة مثلى تماماً هنا، لم نحظى بوقت جيد، و لم تغادري المنزل إلا

للذهاب للمفشى، سنوات و أنت بهذا المنزل و لا أدرى على ماذا  
تعاقبين حالك و..»

قاطعته فجأة حين قالت:

«عن أى عقاب تتحدث؟ نحن تعاهدنا منذ زواجنا أن نكون  
عوضاً لبعضنا البعض، أن نكون فى كتف بعضنا مهما حدث،  
و أنا لا أعاقب نفسي وأنت لم تحرمني وكف عن هذا الهراء من  
فضلك».

عادت تنظر لنا فذة كى تخبئ ملامحها الحزينة، ما قاله  
جعلها تشعر بالحزن حيث أنه فصل بينهما فى حين أنها تحاول  
إصلاح ذلك الشرخ القابح بين روحيهما، حاولت جذب بعض  
الهواء ربما يبرد ذلك من دواخلها، لكن الهواء لن يصلح ما  
يفسده إبراهيم.

ساد الصمت قليلاً قبل أن يلتقط طرف الحديث قائلاً:

«هل لازالت البدلة السوداء تناسبني؟ ألم يزداد وزني كثيراً  
فى الأونة الأخيرة خاصة مع الطعام الرائع الذى تحضره زوجتي  
يوميًا؟»، لم تلتفت له فوراً و لكنها تمهلت بضع ثوان حتى عادت  
بوجهها له، كنوع من العقاب على ما قاله فهو يدرى ذلك حينما  
قال:

«إن يغيب وجهك هذا أقصى عقاب من الممكن أن أحظى به،  
و ربما أعاقبك الآن بحرمانك من نزهة الغد، لكن ستعاقبيني  
بالتالى غدا و لن تنظري لوجهي، دعينا نخرج و نصطحب معنا  
نجوى للنزهة»، عادت لتجلس بجانبه ثم قالت:

«نحن جميعا نحتاج ذلك، ربما يساعدنا على التفكير، سأذهب لتفقد البدلة و إحضار العشاء و كذلك لأخبر نجوى»، ثم انصرفت فى هدوء لغرفتها، لم ينطق بشئ حتى غابت تماما، ثم قال بصوت خافت:

«أدرى ما تحاولين فعله والغرض من الخروج، أعتذر جدا يا عزيزتي لقد تجاوزت الرصاصة فوهة السلاح و من المستحيل عودتها»، ثم أغلق عينيه ليعود لتفكيره وقراءة كتابه.



يوما مختلف كأنه بقعة بيضاء صغيرة داخل رقعة زيت سوداء واسعة، ربما صغيرة لتُحدث فارقن لكنها ظاهرة فى وسط المحيط الأسود، شعرت كاميليا بوجود إبراهيم الذى لم يتوقف عن مغازلتها و عن الضحك، كان يضحك و كأنه طفل صغير يلهو، نعم كان يشعر بعجزه حينما يرى الناس تتحرك وتلعب من حوله، لكنه استخلص من ذلك نقطة ساعدته على الشعور بالمرح، و هى كاميليا التى تريد أن تغير له تفكيره بأن يرى العالم بشكل مختلف، و هى نفسها التى عزلت نفسها عن النطاق الخارجى كى تبقى معه حتى لا يشعر بالعجز، لهذا كان عليه أن يمرح و ينسى حالته من أجلها بالمقام الأول.

لكن دوما اللحظات السعيدة تمر بسرعة، حتى لو كانت سعادة منهكة و مهددة بأنياب الحزن التى يبطش بها دوما، فأنتهى اليوم و حان موعد العودة للمنزل، كانت نجوى تركب بالمقعد الأمامى جوار السائق و هما بالمقعد الخلفى، و ما أن

انطلق السائق حتى قالت نجوى:

«لا أدري لماذا إنتهى اليوم بهذه السرعة، كان بالفعل يوماً رائعاً»، رد عليها إبراهيم وهو يبتسم:

«ماذا نفعل يا ابنتي؟ دائماً ما ينتهى المرح، دائماً ما ينتهى الوقت، كل شىء مرهون بنهاية، لكن الأهم هو كيف نستغل هذا الوقت القليل لنفعل الكثير، أو نفعل الشىء الذى يجعلنا نمرح كثيراً»، استدارت نجوى لتتظر له قائلة:

«نعم أتفق تماماً، فعلاً كان وقتاً جميلاً، و كنت سعيدة بالأطفال حينما جلسوا جوارك ليستمعوا للقصص، شعرت بساعدتهم لأننى مثلهم حينما تقص لي الحكايات و تشرح لي شىء».

التطقت كاميليا طرف الحديث فقالت:

«لقد لاحظت ذلك، و كم شعروا بالحزن حينما قررنا الرحيل» ثم نظرت لنجوى و هى تقول لها:

«و أنت يا نجوى ابنتى و نحن سعداء جداً بوجودك، نشعر دائماً بالتقصير لأننا طوال هذه السنوات لم ن فكر بيوم نمرح فيه سوياً، فأنت أيضاً بحاجة لذلك».

قاطعها إبراهيم و هو يبتسم قائلاً:

«كيف هذا؟ يكفيها أنها تتركنا كل ليلة فى السابعة وتذهب للمنزل، كان من المفترض أن أحبسها بالمنزل و نشترى لها ملابس جديدة و تبقى معنا دائماً»، لم تجد نجوى ما ترد به عليه سوى الضحك، فهى تحبهما جداً، كما هما تماماً،

---

فوجود إبراهيم فى حياتها قد أمدها بالقوة والإلهام، و سد فراغ غياب والدها قليلاً.

توقفت السيارة أمام منزل إبراهيم فنزلت نجوى لتخرج الكرسى المتحرك من السيارة، و ما إن أحضرته حتى فتحت الباب كى تساعد كاميليا بوضع إبراهيم عليه، انصرف السائق ثم توجهت كاميليا بصحبة إبراهيم صوب الباب تبعتهما نجوى والتي قالت:

«سيدى.. أشكرك كثيراً على هذا اليوم حقاً»، توقفت كاميليا وأدارت الكرسى صوب نجوى حينما قالت:

«لا داعى لذلك نحن عائلة واحدة وهذا واجب علينا، سامحيننا يا ابنتى لقد وضعنا على كاهلك الكثير»، تجوهت نجوى صوبها وهى تضع يد على كتف كاميليا والأخرى على كتف إبراهيم وهى تنظر لهما فى مودة قائلة:

«يكفينى أنكم عائلتي و كذلك أنكما تعتبرانى ابنة لكما»، ثم ألفت عليهما التحية فى طريقها للمغادرة، و بقيا هما مكانهما لوداعها، و ما أن وصلت نجوى عند باب الحديقة، ظهرت دراجة بخارية عليها شابيين و بعد أن مرا من أمام نجوى أشار أحدهما للآخر أن يعود، ثم توقفا أمام نجوى مباشرة و بدأ سائق الدراجة بالتحرش اللفظى بها و لكنها لم ترد، فهنا نزل الثانى من على الدراجة و بدأ يلمسها فى حين رأت كاميليا ذلك و حاولت إبعادهما بالحديث لكنهما لم يستمعا لها و أكملما ما يفعلان، بدأت نجوى بالصراخ لطلب النجدة، هنا دفعها أحدهما داخل الحديقة و أغلق الباب الأمامى.

توجهت كاميليا صوبهما و إبراهيم يحاول الصراخ بهما بصوت عال عسى أن يسمعه أحد الجيران، لكن أحدهما أشهر سكيناً في وجه كاميليا وهددها في حين الآخر استمر بالتحرش بنجوى و يحاول تجريدتها من ملابسها، هنا صرخ إبراهيم في هستريا:

«ماذا تفعل؟ أنا العقيد إبراهيم كيف لك أن تفعل ذلك بمنزلي؟ أقسم أنني سأقتلك»، ضحك الشاب و هو يميل السكين تجاه كاميليا و هو يقول:

«ماذا ستفعل؟ هيا تعال و أنقذ السيدة ثم ابنتك، تعال.. لماذا لا تأتي؟ أهااا أنت قعيد، و لا تستطيع فعل شيء، عليك بالصمت أو تشاهد زوجتك الجميلة جثة على الأرض»، كانت نجوى تصرخ بشدة و تحاول مقاومة الشاب، في حين كاميليا تجمدت مكانها خوفاً من السكين، والشاب يضحك و هو يرى زميله يجرد نجوى من ثيابها، والتي صرخت قائلة:

«النجدة.. أرجووك توقف، النجدددة.. أبى أرجووك»، كان رد فعل ما يحدث على إبراهيم عنيفا، فهو عاجز تماما عن حماية زوجته و نجوى التي بمثابة ابنته، ما زاد من ثورته أنها و لأول مرة تناديه أبى، هنا حاولت كاميليا دفع الشاب فسقطت السكين من يده و قبل أن تجرى صوب نجوى باغتها الشاب بضربة على مؤخرة رأسها بيده فسقطت مغشى عليها.

ذلك الشعور القاسى - الشعور بالعجز - حينما تجد أعز ما لديك و أقرب من لك يحتاجك و أنت لا تستطيع، والأشد هو أنك تراه يتعرض لضرب و اغتصاب و لا تستطيع نجدته، و ما زاد من

---

شدته هو صراخ نجوى واستجادها به، أخذ يصرخ فهذا أقسى ما لديه، وفجأة تحول الصراخ لنوبة هستيرية من الضحك وهو يقول:

«أنا العقيد إبراهيم، أنا القعيد إبراهيم العاجز عن حماية عائلته، سأقتلكم جميعاً، سأقتلكم حينما أستطيع قتل نفسي»، كان ينطق تلك الجملة وهو يضحك فى هستيريا وعيناه تتابع كاميليا المغشى عليها، و أستمر بقول أنا العقيد إبراهيم و يضحك.

لم يظهر أحد خلال تلك الدقائق، نهض الشاب من على نجوى والتي استجمعت نفسها و نهضت تهجم عليه لكنه صفعها، وقعت على الأرض فوجدت السكين الذى سقطت من يد الآخر فأمسكت به، وحاولت الهجوم عليهما، لكن الشاب كان أسرع، أخرج من جيبه زجاجة بها حامض، وألقاه على وجه نجوى التى سقطت على الأرض وهى تصرخ من الألم، فى حين هرب الشابان دون أن يظهر أحد، وبقى بالساحة إبراهيم الذى لازال يضحك والبكاء يغرق وجهه حتى أصبح مبتل تماماً، و لم يكن بلل من الدموع فقط، لقد انهار.. تماماً.



## الفصل العاشر

القلق.. تلاعب و بشدة بعقل جورج الذى حاول الاتصال بكاميليا عدة مرات دون رد ، كان على علم بخروج إبراهيم ذلك اليوم و سعى لمعرفة نتيجة تلك النزهة على نفسه ، ليس كونه طبيبه المعالج فقط؛ لكن صديقه المقرب ، ذلك القلق الذى يغرس سهامه بالعقل ليقضى على غطرسة التفكير ، لم يستطع الإلتظار أكثر فركب سيارته و توجه فوراً صوب منزل صديقه.

قبل أن يصل للمنزل بيضع مترات لاحظ جورج إلتفاف بعض الناس بالخارج وسيارتي إسعاف وسيارة شرطة أيضاً ، زاد إضطرابه حتى وصل لمكان قريب من الزحام فنزل مسرعاً ليتفقد الأمر ، لكن منعه أحد رجال الشرطة من الإقتراب فى حين دفعه جورج جانبا محاولاً المرور و هو يصرخ:

«ابتعد.. أنا جورج طبيب العقيد إبراهيم ، دعنى أمر بسرعة» ، سمعه الضابط المتواجد بموقع الحادث فألتفت له ثم أشار للشرطى أن يتركه ، ذهب جورج مسرعاً صوب سيارة الإسعاف لكن قبل أن ينظر داخلها قاطع طريقه الضابط ليقف أمامه و سأله:

«هل تعرف صاحب هذا المنزل؟» لم ينظر إليه جورج حيث كان يحاول جاهداً خطف نظرة لمعرفة من بداخل تلك السيارة ، لكن أجابه فى توتر:

---

«نعم.. أنا صديقه و طبيب العائلة ، ماذا حدث هنا سيدى؟» ،  
أمسك الضابط بذراعه محاولاً سحبه بعيداً عن السيارة دون  
أن ينظر له جورج ، فى تلك اللحظة استطاع جورج أن يلتقط من  
بداخل السيارة أخيراً ، لقد كان إبراهيم و على وجهه كمامة  
التنفس الصناعى والمسعفين ، أعاد جورج سؤاله للضابط و هو  
ينظر له فى هلع ولكن بنبرة أعلى من قبل ، فأجابه الضابط :

«تلقينا اتصال من أحد الجيران عن وجود امرأة مغشى عليها  
وفتاة أخرى فى الحديقة ، و ذلك الرجل فى حالة يرثى لها و يهدى  
ببعض الكلمات التى لم يفهمها الجار ، لكن حينما وصلنا  
كان فاقد الوعى».

قبل أن ينطق جورج بشئ قاطعهما شرطى قائلاً :

«سيدى.. سيتم نقل المصابين للمشفى فوراً ، لكن هناك  
شئ يجب أن تعرفه ، الفتاة وجهها مشوه بـ (حامض كبريتيك)  
و هناك آثار اعتداء عليها» ، صرخ جورج و هو يجرى قائلاً :  
«نجوووى».

حاول الوصول لسيارة الإسعاف الأخرى لكن منعه  
المسعفون ، و أغلقوا أبواب السيارات لتتحرك صوب المشفى مع  
صوت سارينة الإسعاف العالية.

ما أن وصلت سيارات الإسعاف إلى المشفى حتى هرع  
جورج محاولاً الوصول لنجوى ، لكنه لم يستطع فقد كان  
الوضع سريعاً يارسالهم للطوارئ ، كان تفكيره بها أكثر ،  
فما قاله الشرطى وقعه صادم ، فهى لازالت فى ريعان شبابها ،

كما أنها العائل الوحيد تقريباً لأسرتها، والأكبر من ذلك أن حياتها إن نجت اليوم قد أصبحت منتهية أكلينيكياً. لكنه انتبه فجأة لشيء آخر، أين كاميليا؟ زاد عقله تخبطاً وكأنه مذياع مرتفع الصوت داخل سيارة مكشوفة تسير بسرعة عالية، لا يستطيع تمييز شيء ولا بأى اتجاه ينظر، عقله توقف تماماً، لكن قاطعته أحد الممرضات تسأله هل يعرف المصابين؟ أجابها بنعم، ثم سألها عن كاميليا فأجابت أن بالداخل ثلاثة أفراد من وصلوا مع المسعفين، فأعطاها بياناتهم الشخصية وسط حالة التوتر الشديدة المصاحبة له.

بعض قليل خرج أحد الأطباء من الداخل فهرع جورج صوبه سائلاً:

«أنا دكتور جورج صديق المصابين و طبيب العائلة.. أخبرني الوضع أرجوك»، نظر إليه الطبيب وهو يجذبه بعيداً عن باب الطوارئ قائلاً:

«الرجل حالته غير مستقرة، لقد تعرض لنوبة صدرية وكان يعانى من نقص حاد بالأوكسجين، لكن لايزال الوقت مبكراً جداً للحكم على حالته، السيدة فى حالة إغماء و كدمات فى الجمجمة لكن يجب أن تجرى صورة أشعة»، ثم توقف عن الكلام و نظر إلى الأرض، فجذبه جورج من يده و هو يقول له: «و نجوى؟ أقصد الفتاة الأخرى؟ ما وضعها؟» لم ينظر له الطبيب و قال له بنبرة منكسرة يكسوها حزن شديد:

«للأسف.. الوجه والرقبة والجزء العلوى من الصدر مشوه،

---

والعين لا ندري وضعها حتى الآن..» ثم توقف مرة أخرى قبل أن يسأله جورج:

«هل هذا كل شيء؟»، نظر إليه الطبيب فى حسرة وهو يقول بنفس نبرة الحزن:

«هناك نزيف داخلى بالرحم نتيجة تعرضها لإعتداء جنسى عنيف، فقدت الكثير من الدم وحالتها غير مستقرة، نحاول السيطرة ع...» قاطعه جورج بحزم قائلاً:

فور الانتهاء من الإسعافات الأولية علينا نقلهم لمشفى القوات المسلحة، الرجل عقيد متقاعد ويُعالج بمشفى عسكري، أعتذر منكم يجب أن أشرف أيضا على كل هذا، من فضلك أسرع بتنفيذ ذلك فور إستقرار حالتهم»، أوماً الطبيب برأسه مستجيباً لما طلبه جورج ثم انصرف.  
الانتظار..

سم القلق الذى يفتك بعقارب الساعة فيبطأها، يصيب أطرافها حتى لا تحمل لنا الخبر، كم هذا الأحساس مُرهق و فظ فى نفس الوقت، يتسرب داخل عروق جورج فيفتك بتفكيره، ينتظر ما لا يعلمه، والكثير من الحكايا تدور حول عقله و كلها تخمين.

مر الوقت ببطء شديد حتى تم له ما أراد، والجميع بالمشفى العسكري، حيث استطاع أن يرى الثلاثة و ينتظر، من منهم سيعود أولاً؟ من منهم سيعبر عنق الوقت؟ و ما قاله طبيب المشفى الآخر صحيح حول نجوى و حالة إبراهيم، لكن الوضع

أكثر خطورة حول نجوى التى تصارع الموت، و إبراهيم مُعلق على أجهزة التنفس.

حينما كان يصارع الأفكار والتمنى، دخلت عليه إحدى الممرضات لتخبره أن كاميليا قد إستعادت وعيها، قفز من خلف مكتبه بسرعة متوجها صوب غرفتها، فأخيراً سيعرف ما حدث، فور ما دخل غرفتها كانت تهذى و بصوت مُتعب جداً ببعض كلمات لم يفهم منها سوى نجوى و إبراهيم، لكن ما لفت انتباهه أكثر أنها كانت تضع يدها اليسرى على رأسها، فأمر الممرضة برفع رأسها قليلاً، و فوراً ما رفعته غابت عن الوعى، فأسرع جورج صوب كاميليا و طلب من الممرضة تجهيز غرفة الأشعة، من الواضح أنها تعانى إرتجاج بالمخ.

و بالفعل دخلت كاميليا لتجرى بعض الأشعات على الجمجمة، و فور حصول الطبيب على صور الأشعة حتى ذهب لجورج ليخبره عن حالة كاميليا، شعر جورج بالهلع و طلب من الطبيب أن يعطيها بعض الأدوية، نظر جورج مرة أخرى للأشعة وهو فى حالة صدمة، لقد كان عكس ما توقع.. تماماً.



جلس أسامة فى مكتبه يتابع بعض الملفات فينتقل ما بينها و كأنه يضيع وقته، حالة من القلق قد صبغت عقله فلا يستطيع الرؤية، تركها فجأة و أمسك بأحد سجائره يشعلها و ينفث دخانها بقوة، نظر إلى النافذة و كأن عقله سبح خارجها مسافراً إلى الماضى، حيث كاميليا و إبراهيم، حيث تلك النقطة التى

فصلته عن حبه، كانت تلك النقطة دائماً ما تنهش جلد عقله،  
يحاول أن يحكها بأظافر النسيان لكن دون جدوى.

دائماً ما كان ينظر لتلك النقطة أن إبراهيم مُغْتَصِب، انتهك  
حقه في كاميليا و ما فعله قد أوقف حياته تماماً بعدما رفض  
أن تشاركه حياته غيرها، أخفى مدى شماتته في عجز إبراهيم  
وكم من مرة إنتظر إعلان كاميليا الانفصال عنه، لكن دائماً  
ما كانت تخييه ظنه، فكلمتا صدمتهما الحياة على طريقها  
السريع نهضاً مجدداً أقوى من ذي قبل، ليسكن كهوف الحسرة  
وحيداً يأكل الذكرى ربما تشبعه أو يرتوى بأمل لا يراه قريباً.

بينما هو غارق في بحر أحلامه يبحث عن طوق النجاة هذه  
المرة بتحقيق رغبة إبراهيم في الموت، طرق باب مكتبه فأعطى  
الطارق إذناً بالدخول، ليظهر أمامه أحمد مبتسماً قيل أن يقول:  
«أعتذر عن التأخير يا سيدي فالطريق مزدحم جداً و..»،  
قاطعته في حزم:

«ماذا فعلت بالمحكمة؟» إرتبك الشاب من سؤاله ثم لملم  
نفسه بسرعة قائلاً:

«لقد ذهبت للمحكمة بعريضة الدعوى اليوم و تم التسليم،  
كذلك تم تمرير الخبر للصحف بطريق غير مباشر و في إنتظار  
موعد الإعلان بإستدعاءنا إن فتحت المحكمة الباب للمناقشة  
والمرافعة، هل تظن أن المحكمة ستفعل ذلك؟».

نهض أسامة من خلف مكتبه متوجها صوب الشاب و هو ينظر  
لعينيه، ثم دار من حوله قبل أن يتوقف مواجهها له تماماً قائلاً:

«من السهل أن تكون محام جيد ، من الصعب أن تكون محام مشهور ، و ذلك السؤال يدل أنك لازلت تحتاج لخبرة كبيرة حتى تكون محام جيد»، بُهت الشاب مما قاله و نظر إلى الأرض ، فى حين أكمل أسامة حديثه:

«لقد قرأت العريضة جيداً و قد أبليت حسناً ، لاحظت أنك لم تترك شىء و هذا دليل على المجهود فى البحث العميق بتلك النقطة ، لكن هناك شىء بحكم خبرتى الطويلة وصلت إليه من إطلاعي عليها ، أنت غير مقتنع بما تفعل»، استدار عائداً لكرسيه فجلس و سحب سيجارته ليكملها ، ثم أشار للشاب بالجلوس ، فأكمل قائلاً:

«ألا توفقني الرأي ؟»، اعتدل الشاب فى جلسته و هو يقول:

«سيدى.. ربما كان لدى بعض التحفظ على تلك النقطة حيث خصوصيتها الشديدة و كم التساؤلات التى ستتهال علينا ، هذا من نظرة أحمد الإنسان ، أما عن أحمد المحامى فلا ، هذا جزء من عملي و يجب أن أكمله»، إبتسم أسامة و قال:

«و هذا ما قلته للتو ، أولاً لازلت تحتاج للكثير ، وثانياً أنت غير مقتنع ، الإنسان داخلك يأكل عقل المحامى ، وهذا سوف يعيقك و جدا ، فى عملنا لا تدع أهواءك و ميولك تحكمك ، فنحن ندافع عن القاتل ، تاجر المخدرات ، المغتصب و غيرهم ، فإنت تركت إنسانيتك تتحكم بك لن تعمل بهذا المضمار و من الأفضل أن تبحث عن غيره».

نهض من على مكتبه و توجه صوب النافذة ثم قال:

«أنت تتمتع بالذكاء و لهذا اخترتك لتلك المهمة ، سأسدى لك نصيحة فكر بها ، استثمر ذكائك فى عملك ستصبح محام جيد ، أعطى إنسانيتك راحة و أنت ترتدى المعطف الأسود ، هكذا ستصبح محام مشهور» ، ثم خفض نبرة صوته متحدثاً إلى نفسه قائلاً:

«حان وقت اعتلاء الشاشة».

لم ينظر له أسامة فقد ذهب بعقله بعيداً مرة أخرى فيما كان فيه قبل دخول الشاب ، والذي لم يقاطعه هو الآخر و إنتظر أن يكمل أو يسمح له بالإصراف ، لكن باغته أسامة بما قال:

«لقد خسرت بحياتي قضية واحدة ، كانت أول قضية بحياتي و كانت قضية حياتي أيضا ، لكنني حولتها لمعركة من جولتين ، خسرت الأول و الآن حان دور الجولة الثانية ، و سأفعل ما يلزم لأكسب قضيتي» ، التفت بعدها للشاب و هو يقول:

«ما أسوء طعم الخسارة ، خاصة خسارة الشئ الذى تحيا لأجله ، ذلك الطعم مُر جدا يجعل من حياتك جحيم لأنك لا تتسى طعمه أبدا ، فأحرص على ألا تتذوقه».

لم يفهم الشاب عن أى قضية يتحدث ، لكن شَعُرَ أن ما بداخل أسامة بركان يتأجج بالحمم على وشك الثورة ، أو ربما ثار فعلا ، لكن قبل أن يتحدث أى منهما إرتفع صوت هاتف أسامة بإتصال ، فأمسك هاتفه و قام بالرد قائلاً:

«صباح الخير يا جورج ، كيف حالك اليوم؟».

و فجأة.. تحول وجه أسامة لوحش نائر و هو يصرخ قائلاً:

«و أين أنت منذ الأمس؟ ولم تخبرنى حتى هذه اللحظة! أين هى الآن»، أجابه جورج حينما كان يجمع أغراضه من على المكتب مسرعاً.. و غادر فى عجلة.



استعادت كاميليا وعيها وسط حالة من الأعياء الشديدة، والألم يفتك برأسها فلا تتحمل حتى الضوء، لكنها تناست كل ذلك وهى تهذى بنفس الكلمات تنادى على نجوى وإبراهيم، كان جورج يجلس إلى جوارها و فوراً ما استعادت وعيها وقف على مقربة منها يتفقد معدلاتها على الأجهزة، ثم نظر إليها واقترب منها أكثر واضعاً يده على رأسها وهو يطمئنها:

«إنهما بخير.. استريحى قليلاً فحالتك غير مستقرة»، لم تستطع حتى رفع مقلتيها لتتظر له، كانت كم يحمل تبة ترابية على أجانها تعيق الرفع، و ما إن حاولت حتى إشتد الألم فقالت بنبرة يفتك بها الألم:

«رأسى يؤلمنى بشدة.. لا أتحمل، رأسى لا أتحم.. لا أتحمل،  
أةةة»، جلس جورج جوارها وهو يقول لها:

«استريحى قليلا سوف أزيدك جرعة من (المورفين)، لكن لن أستطيع أن أزيدك فأنت بحاجة لجرعة لجرعة، هناك تجمع دموى على المخ يجب أن نزيله فوراً وهو سبب ذلك الألم، أرجوكِ استريحى قليلاً»، لم تستطع قول شىء حينما أمر جورج الممرضة المصاحبة بحقنها بجرعة من (المورفين) وأشار لها أنه سيعود بعد قليل.

توجه جورج إلى غرفة الطبيب مسرعاً ، كان كل تفكيره الآن مُنصب على كاميليا التي تُعانى ، حيث الكثير والمبهم ، حيث القلق والحيرة ، لكنه و فى طريقه مرّ على غرفة نجوى فدخل يلقي نظرة عليها ، تلك المسكينة التي تحولت من شابة جميلة فى ريعان شبابها إلى مسخ مشوه مُفتَصَب ، هل ستتجو؟ ربما ستتجو و لكنها لن تعود.. أبدا.

لا زالت تصارع الموت على الرغم من توقف النزيف إلا أن الخوف من عودة النزيف يسيطر عليه ، ساعات قليلة و يتضح ذلك و تنجو من مرحلة الخطر لتدخل مرحلة أخرى من العذاب فور إستيقاظها ، ياله من حال صعب و مريب ، عقله مُشَتت بين ثلاثتهم على الرغم من نسيانه لحالة إبراهيم قليلاً ، فالوضع أكثر سوءاً هنا.

أكمل طريقه ليتحدث مع طبيب كاميليا و فور دخوله قال:

«علينا أن نسرع بجراحة كاميليا ، وضعها يزداد سوء»، نهض الطبيب من مقعده و توجه صوب جورج حاملاً صور أشعة كاميليا و أعطاهما لجورج ليفحصها ، أخذها جورج و هو ينظر له قائلاً:

«لقد رأيتها و أرى جيداً ما بها و لذلك أطلب منك الإسراع»، جلس

الطبيب على المقعد المواجه لجورج ثم أخذ الأشعة من يده و قال:

«التجمع الدموى يغطى مراكز الحركة ، حاولنا السيطرة

عليه و حتى الآن لم تتأثر بشيء فهى تحرك يديها لكن لم نختبر

قدميها ، و ذلك التجمع غريب جدا بالفعل ، أول مرة أرى شيء

كهذا ، سنتابع الحالة الليلة فقط و باكر ستخضع للجراحة ،

لكن هل أخبرتها؟»، أجابه جورج:

«و هل تظن أنها تعى شىء الآن؟ لقد قلت لها عن الجراحة ،  
واتصلت بأحد أفراد عائلتها و هو فى الطريق ال..» ، فجأة دخل  
أسامة الإعصار دون إذن متوجها صوب جورج فهجم عليه بعصبية  
ممسكاً رقبته و هو يصرخ:

«من تظن نفسك؟ كيف تُخفى شىء كهذا منذ الأمس؟ من  
أعطاك هذا الحق؟» ، دفعه جورج بقوة فى حين نهض الطبيب  
ممسكاً أسامة و جذبه بعيداً عن جورج و هو يصرخ:

«أجبنى أيها الوغد المتعجرف ، سأحاسبك على هذا يا جورج..  
حساباً عسيراً» ، نهض جورج فى غضب متوجهاً صوب أسامة  
وهو يصرخ:

«الثلاثة يواجهون الموت يا هذا ، أنا لم أكن موجود ولا أدرى  
كيف حدث هذا لهم ، وضاع الوقت ليلاً فى ترتيب نقلهم هنا ،  
لم يتحرك أحد منا من هنا حتى الآن ، غير حالة نجوى» ، أمسك  
جورج يد أسامة فى قوة و أكمل:

«لن ألومك على ما فعلت للتو ، لكن أين كنت أنت؟ كنت  
تبحث عن المجد من خلال إبراهيم.. أليس كذلك؟ لو كنت على  
اتصال بهم لكنت هنا بالأمس مثلما فعلت أنا ، لكن ليس هذا  
وقت اللوم ، كاميليا فى حاجة لجراحة بالمخ وبسرعة ، ولهذا  
السبب فقط اتصلت بك» ، صرخ به أسامة من صدمة الخبر قائلاً:  
«ماذا؟ جراحة بالمخ؟» نظر إلى الطبيب فى إستفهام ينتظر

رده ، فطلب منه أن يجلس ليشرح له ، و قال:

«لقد تعرضت لضربة قوية على الرأس تسببت في نزيف داخلي ونحن نسيطر عليه الآن، لكن يجب معالجة ذلك بالجراحة بسرعة حتى لا يؤثر على الحركة فيما بعد»، بُهت أسامة مما سمع و ساد الصمت قليلاً قبل أن يقول:

«وهل هذه الجراحة خطيرة؟»، أجابه جورج:

«لا.. و كلما كان الفصل سريعاً كلما كان الأمر أسهل، سوف نجري الجراحة غداً صباحاً»، نهض أسامة من مقعده يركض صوب غرفة كاميليا، سأل أحد الممرضات والتي أرشدته لمكانها فركض مسرعاً، دخل الغرفة فوجدها نائمة فجلس على الكرسي المجاور لها و هو يقول:

«من فعل بك هذا؟».

أمسك يدها برفق و عيناه تتألق ببضع قطرات من الدمع تحاول التسلل من محبسها، إنه ضعيف جداً في كل أمر يخصها، طفل صغير إن لاحت أمامه، يتمنى الموت حينما تغضب عليه أو تنهره، شلال من الحزن يتدفق من قلبه، و غضب عارم يحرق جنبات عقله مع رؤيتها هكذا، لكنه على الرغم من كل ما يحمل أكمل كلامه بنبرة مكسورة خافتة حتى لا تستيقظ قائلاً:

«ذلك العاجز من فعل بك ذلك، الذي لا يقدر على حماية نفسه كيف سيحميك؟ لقد إخترت الجانب الخاسر و مع كل ما حدث كان إصرارك يزيد، والأُن ماذا؟ تصارعين الموت!».

هربت قطرات الدمع من عيناه بعد نزاع طويل لم يتحملة لتتصر الدموع فتغزو وجنتيه، حينما ربط على كفها بهدوء

وهو ينهض قائلاً:

«سأحرص على أن ينال ما يريد ، مهما كلفني ذلك من ثمن ،  
وبأى طريقة حتى ولو كانت بيدي»  
انصرف من غرفتها بعدما علت أبواق الغضب ساحة عقله ،  
لتتدلع النيران التي لا أحد يعلم من ستحرق؟ ومتى؟!



## الفصل الحادى عشر

الألم.. زائر يطرق بابك دون إذن، على الرغم من كونه زائر غير مرغوب فيه؛ إلا أن إقامته جبرية، لا تملك حق طرده من حياتك، ولا حتى إغلاق الباب فى وجهه فهو يملك مفاتيح كل الأبواب ويملك حق الدخول دائماً، هناك ألم زيارته قصيرة وأثره مؤقت، و آخرىأتى ليغير معالم حياتك، وهناك ألم خبيث يحضر ليسرق زادك من الحلم فلا يبقى على كسرة من خبز التمنى لتسد بها جوع روحك.. ليتركك تموت جوعاً.

ذلك الألم الخبيث قد سيطر على أسامة مذ فقد كاميليا، كان يزداد كلما اقترب منها ليسأل حاله لماذا هى سعيدة و أنا لا؟ و كان الجواب منطقياً أن السبب هو وجود إبراهيم ليزداد الحقد داخله، فيشعل الألم فتيل الغضب دون أن يبوح، و كلما حاول إطعام روحه خبز التمنى؛ باغتته ردة فعل كاميليا لتسرقها من فمه ليكمل جوعه، و ها هو الآن يحترق كلما اقترب ولكنه لا يملك سبيلاً إلا أن يبقى.

ينتظر أمام غرفة الجراحة والوقت يمضى كعادة المنتظرين و كأن عقارب الساعة تقاوم الريح فتبتأها، و بينما هو غارق فى عالم الانتظار إذ بهاتفه يُعلن عن إتصال و فى وقت باكر على غير العادة، لقد كان مساعده أحمد، نهض أسامة من مقعده متجها لمكان بعيد عن غرفة الجراحة ليتحدث معه، وما هى إلا

لحظات حتى فُتِحَ باب الغرفة ليخرج الطبيب و تبعه الممرضون بصحبة كاميليا متجهون لغرفة العناية، لكن كان هناك شخص آخر يراقب ذلك من بعيد قليلاً، إنه جورج.

ذهب صوب الطبيب ليتحدث معه، لاحظ وجهه العاثر، فطلب منه الذهاب لغرفته ليتحدثا بعيداً عن أعين أسامة، وما أن دخلوا الغرفة حتى جلس الطبيب و نظر لجورج قائلاً:

«العملية ناجحة و تم معالجة مصدر النزيف، و كانت هناك كتلة دموية تم استئصالها»،

جلس جورج مواجهاً له ثم قال:

«ولماذا هذا العبث؟ هل هناك شيء آخر؟»، نظر له ثم قال:

«سوف نجرى بعض التحاليل و حينما تستيقظ سوف نتأكد من سلامة قدميها، لكن عليك أن تعرف أمر هام، ستخضع لعلاج فيزيائي لمدة لن تقل عن ثلاثة أسابيع حتى تستطيع التحرك بشكل طبيعي، و ربما لا».

ثم أعطاه صورة الأشعة و هو يشير إلى شيء داخلها، فنظر جورج و أمعن النظر، لكنه تجمد مكانه و لم ينطق، و بعد قليل نهض من مقعده متجهاً صوب ضوء مصباح ليرى صورة الأشعة مرة أخرى كأنه لا يصدق، من الواضح أنه يخشى شيء، و كما قال الطبيب إن حركتها ستتأثر، عاد إلى زميله و هو يقول:

«عليك أن تنتهي فحوصاتك دون أن تخبر أحد، خاصة أسامة لأنه سيعتمد إيصال الخبر لإبراهيم، أنا سأتحدث مع كاميليا»، ثم غادر الغرفة بعد أن ترك الأوراق للطبيب.

كان تفكيره عند نقطة جديدة، ماذا لو حدث شيء لكاميليا أيضا، هذا الكابوس هو ما يدمر حياة إبراهيم وربما سمه القاتل، فما أصعب أن تعول حياتك على أحد لا سواء وفجأة يترك يدك، حتى ولو كان لا إراديا، توجه صوب غرفة إبراهيم ليطمئن عليه بعد أن حرص على إبقائه رهن العقاقير المنومة لتنتهي جراحة كاميليا، وما أن دخل الغرفة نظر إلى النائم ثم جلس على مقربة منه، وعادت رأسه لأسئلة عدة، ماذا حدث لهم؟ كل ما خطر بباله أنها ربما سرقة ولكن تلك المسكينة التي انتهكوا شرفها، ولم تسلم حتى بعد ذلك، زهرة جمالها أيضا قُطفت بتشويبيها بعدما قطفوا زهرة شبابها، ثم عاد ليفكر فى أسامة، هل يجب أن يسانده فى قضيته و يحقق لإبراهيم ما يريد لو كان هناك شيء بحالة كاميليا؟

لم يكن على دراية بما يحيكه أسامة وخلف ماذا يسعى، فحينما كان يفكر جورج بذلك، كان أسامة يتحدث إلى مساعده بعيداً عن الأنظار، والذى كان يخبره عن بعض المستجدات قائلًا له:

«سيدى.. لقد تم الأمر كما رتبت له تمامًا والخبر بالجريدة، وتم الإشارة لك بالخبر، ماذا سنفعل الآن؟»، أجابه أسامة:

«هذا جيد جدا، سوف أتصفح الجريدة بعد قليل فأنا مشغول بالمشفى، و بعد الإنتهاء من ذلك علينا أن نسرع بتحديد موعد المقابلة التليفزيونية، تابع الوضع بالمكتب و أحرص على عدم الإلتفات لمواقع التواصل الإجتماعى، فهى بدول أخرى تجدى نفعًا، لكن فى بلادنا ربما تكون نقمة لا نعمة».

فجأة علت الأصوات فى الرواق من خلف أسامة، إلتفت بسرعة ليجد بعض الممرضات و جورج مسرعين صوب أحد الغرف، أغلق الهاتف وركض مسرعاً تجاههم ليقف أمام جورج متسائلاً:

«ماذا حدث لكاميليا؟»

نظر له جورج و هو يقول:

«إنها نجوى»..

وركض مكملاً طريقه.



استمر جورج فى تفكيره، على الرغم من تشتته؛ إلا أنه حاول إخفاء ذلك حتى لا ينتبه له أسامة، لم يتفق الإثنان طيلة الرحلة منذ قابله عند إبراهيم بعد زواجه، بعض النفوس لا تستطيع روحك هضمها مهما حاولت، والبعض الآخر تتقبله من أول لقاء، إنها طبيعة بشرية.

بينما هو غارق فى عالم آخر، دخلت عليه أحد الممرضات و هى تركض قائلة:

«سیدی.. لقد إستعادت نجوى و عيها منذ قليل و هى فى حالة ثورة عارمة»، ما إن سمع أنها إستعادت و عيها إنتفض جسده و نهض مسرعاً يركض صوب غرفتها و معه الممرضة، و ما أن تجاوز أسامة و قبل أن يصل للغرفة كان يسمع صراخ نجوى وسط بكائها و هى تقول:

«وجهى.. ماذا حدث لوجهى»، دخل جورج و من معه والجميع يحاول السيطرة على نجوى التى أفلتت المحاليل من يدها لتحاول

فك الأربطة المحيطة بوجهها ، كانت فى حالة صدمة قوية لم يستطع الحضور السيطرة عليها بسهولة ، و ما زاد فشلهم فى ذلك صوت بكائها و صراخها الذى لو سقط على الحجر لقسمه نصفين ، حاول جورج تمالك نفسه و هو يمسكها بقوة حتى يعيدها الفراش ، ثم أمر أحد الممرضات بإحضار حقنة مهدئة ، حاولت نجوى مرارًا الإفلات من جورج و هى تصرخ :

«أريد مرآة فوراً!.. أريد أن أرى وجهي.. أريد أن أرى وجهي»  
ووجهي»، كبلها جورج بكلتا يديه حينما أحضرت الممرضة المهدئ و قامت بحقنها وسط توسلاتها لرؤية وجهها ، و ما هى إلا دقائق حتى هدأت بآثر المهدئ ثم قام جورج بفحصها و ما إن انتهى حتى جلس و هو يقول :

«إهدئى يا نجوى أرجوكِ ، وجهك سيكون بخير ، كل شيء سيكون بخير».

الكذب.. أحياناً يكون كمساحيق التجميل يلون الواقع ليبدو جميلاً ، لكن كلما كانت الحقيقة بشعة ، كلما كان الكذب شفاف لا يصبغها ولا يرطب حرارتها ، و ماذا سيقول غير ذلك؟ هل لديك كلمات أخرى تقولها فى مثل هذا الموقف؟ لا أظن أنك فج لتخبرها أن تلك الشابة الحسناء تحولت بفعل طائش لمسوخ ، ملامحه ستطاردها فى كل مكان ، و لن تتركها عين المتابعين إن سككت ألسنتهم.

لا يوجد فى المحيط من يتحمل تلك المسئولية مع جورج ، و من الصعب أن يترك جزء منها لأسامة أيضا فهو فى عالم آخر ، للحظة قرر أن يترك حاله للإرتجال حسب الموقف ، فهو حتى

الآن يجهل الكثير، ولا يجد مساندة، قرر أن ينتظر كاميليا ربما تفيده، لكن ماذا إن حدث شيء لها أيضاً؟ كيف سيخفف ألم إبراهيم؟ كيف سيواجه نجوى بالحقيقة؟ كيف سيغير مع كاميليا الطريق؟.

وبينما كان يفكر دخلت إحدى الممرضات تركض في سرعة و ذعر و هي تقول:

«سيدي.. لقد إستعاد إبراهيم وعيه و هو في حالة ثورة يطلب حضورك»، ربما حان الوقت لمعرفة ما حدث و مواجهة الواقع. ركض جورج مسرعاً صوب غرفة إبراهيم الذي كان يصرخ في غضب عارم:

«أريد جورج حaaaaالأ، سأقتلكم جميعاً»، والعجيب أنه مع صراخه كانت هناك ضحكات متقطعة ممزوجة بكلماته، دخل جورج ليرى ذلك الموقف الصادم، إقترب منه و ما إن رآه إبراهيم حتى إنقطع صراخه و هم قائلًا:

«من تظن نفسك؟»، سمع جورج السؤال الذي أربكه تمامًا و لم يستطع نطق حرف، نظر له إبراهيم في غضب و هو يصرخ قائلًا:

«هل سأنتظرك هنا طيلة اليوم؟ أين كنت؟ و أين كاميليا ونجوى؟»، اقترب منه جورج أكثر و هو يقول:

«كاميليا بخير، كدمات خفيفة و بعض النزيف الذي سيطرنا عليه فوراً.. لا تقلق، وأنا كنت عند نجوى..»، نظر جورج للأرض و بنبرة حزينة استطرده قائلًا:

«استعادت وعيها منذ قليل و هي تصرخ تريد أن ترى وجهها،  
للأسف وضعها صعب جدا يا إبراهيم، و لا أستطيع مواجهة هذا  
وحدى، ماذا حدث يا إبراهيم؟».

شاح إبراهيم نظره بعيداً عن جورج، نظر إلى النافذة وعلامات  
الألم تحضر طريقها على وجهه فيزداد هما، أعاد عليه السؤال  
مرة أخرى فى إلحاح منه، دون أن ينظر له إبراهيم نطق فى حزن:  
«أنا لست إلا لسان ييثق كلمات يتظاهر بها أنه ذلك الرجل،  
لكن كيف تستحق ذلك اللقب و أنت عاجز عن حماية من معك،  
زوجتك، و تلك الفتاة التى ولأول مرة تتاديك أبى فتستجد بك  
وتصرخ و أنت لا تتحرك.. لمانا اذا؟ لأنك عاجز»، ثم نظر فجأة إليه  
وعيناه غارقه فى الدموع المحبوسة و بصوت كدوى انفجار صاح:  
«ماذا يجب أن يحدث أكثر من ذلك لأطلب منكم الموت؟  
تكلم.. قل لي كل شىء سيكون بخير، حاول مواساتي كما  
فعلت طيلة السنوات الماضية، لكن لن تستطيع الآن فأنت تعلم  
جيداً أنك ستكون مخطئ»، لم يستطع جورج النطق بحرف غير  
أنه نظر إلى الأرض ليهرب من نظرة إبراهيم الحادة على الرغم  
من غرقها ببحر الدموع، حينما أكمل إبراهيم قائلاً:

«لأننى لا أملك إلا صوت؛ كان صراخي عاليا و أنا أرى  
زوجتى و هى على بُعد خطوة منى تُضرب، و أنا أتابع ابنتى و هى  
تُغْتَصَب، فقط أصرخ، ليس طلباً للنجدة، لقط كنت أصرخ  
حتى يخاف أحدهما فيأتى لقتلى».

لم يستطع جورج التحدث بكلمة، و كأن على رأسه الطير،

كان كلام إبراهيم مؤلم جدا خاصة مع تلك النبذة التي يتحدث بها ، إلى متى سيتحمل؟ وكلما حاول تجاوز عشرة تأتية أخرى أكبر ، لقد كان مُحق تماماً فهو لا يملك حقا إلا الصوت.

استمر إبراهيم فى حديثه مع جورج يقول:

«ذلك الصوت.. كان يُزعج الأول و هو يغتصب ابنتى ، وكان يشئت الثانى و هو يراقب زوجتى و لا يستطيع احكام قبضته على ذلك السكين الموجه فى وجهها ، لم ينفع أحد ولم يُجدى لي نفعاً ، والأكثر ذلة هو تعليق أحدهما على صراخي قائلاً اخرس و إلا رأيت جثة زوجتك ممددة جانبك ، لم يهدد بقتلي أنا و لكن بزوجتى ، كان مُحق تماماً فأنا لست إلا قطعيتين من الثياب ملقاه على كرسي لا نفع لها».

ثم بدأ يروى له تفاصيل ما حدث دون أن ينظر له أيضا ، فقد كان وصفه لما حدث قاس جدا على مسامع بشر ، الأحداث ، نبذة الصوت ، إحساس العجز ، الفشل فى حماية أهله ، والواقع المرير الذى يعصر أبطال تلك الحادثة.

ساد الصمت قليلاً بعدما انتهى من سرد الواقعة ، فنظر لجورج الصامت المنحنى أمامه دونما كلمة مواساة ، ثم قال له:

«لهذا طلبت من أسامة تقديم طلب بتوقيع القتل الرحيم عليّ ، أكتفى بهذا القدر من الدنيا على أمل أن تكون الآخرة غير ذلك ، اخترته لأنه لن يطلب منى التوسل له ، لهذا لما أطلبه منك يا صديق الطفولة كما طلبته هى ، لن أتوسل لك كما توسلت هى ، لهذا لن تعطيني ما أطلب كما أعطيتها».

رفع جورج رأسه بحركة حادة و هو ينظر مباشرة لإبراهيم و  
عيناه كتلة حمراء من الدموع، و هو يصرخ به قائلاً:

«ماذا تقول؟ ما هذا الهراء الذى تتفوه به؟ أى توسل هذا التى  
تتحدث عنه؟ لا تنطق بحرف آخر و إلا..»، زاد حنق جورج حينما  
سمع صوت ضحكة إبراهيم العابثة، تلك الضحكة التى تدل  
على أن ذلك العقل قد ذهب حيث لا رجعة، وسط كلامه ضحك  
بسخرية و التقط الحديث و هو يقول بتهكم:

«لا تنطق بحرف آخر و إلا قتلت زوجتك كما قال ذلك  
المجرم؟ و إلا أعاقبك بحقنة من المنوم؟ و إلا أترك الغرفة  
و أذهب؟ هاهاهاهاها.. كم أنت مثير للشفقة».

لم يعلق على ما قاله إبراهيم و حاول فعلاً الإنصراف، قيل أن  
يلاحقه إبراهيم يقول:

«مثير للشفقة و ضعيف، حضرت لغرفتي لتشاركني حزني  
أم لتطلب مني المساعدة فى مواجهة نجوى التى مات شبابها أمام  
عين العاجز الذى توسلت له أن يساعدها؟ أتيت لكى تعرف  
حقيقة ما حدث و كل ما سمعته منك نحيب و بعض الدموع التى  
لفظها قلبك الضعيف،

و أنا الآن فى انتظار إعلان إصابتي بالجنون بتقرير من  
البروفسير الكبير جورج، نوصي بتحويل إبراهيم عبد العزيز  
لمشفى الأمراض العصبية بعد إصابته بخلل عقلى نتيجة صدمة،  
هاهاهاهاها.. هيا.. انتظر».

التفت جورج صوبه و هو يقول فى غضب:

«بالفعل.. أنت مجنون، لكن لا تحزن، سأدعم أسامة في طلبك، و سأخفى عن الجميع أنك مجنون حتى لا يتم التشكيك في قرارك، ستصل لما تريد يا...»، لم يُكمل كلماته واكتفي بالنظر إليه، مع ابتسامة إبراهيم العريضة.. ابتسامة نصر.



## الفصل الثانى عشر

الإنسان هو الكائن الوحيد الذى ميزه الله بالعقل، متوج على عرش الكائنات ليكون سيدها و أعلاها مرتبة، لكن تلك النعمة ليست لدى كل البشر، كثيراً ما يظن الإنسان أن تمييزه بالعقل يعطيه الحق كاملاً فى تقرير كل شىء يخصه، فهذا غباء لدى البعض، أعطاك الله الحق فى قرارك بالحياة إلا ما يخص نهاية تلك الحياة، فالبعض يعتقد أن له الحق فى إنهاء حياته وقتما شاء، يُفسر على هواه ذلك التمييز بأنه مُطلق و أنه حق من حقوقه.

ينطبق ذلك تماماً على عقل إبراهيم الذى يأس من رحمة الخالق، الذى حاول كثيراً التظاهر بالقوة ظاهرياً حيث أنه منهار داخلياً، و ضَعُفَ إيمانه ليذهب خلف حق ليس له، سعى لإنهاء حياته ظناً منه أن له حق تقرير ذلك أيضاً متناسياً أن روحه أمانة من وهبه تلك الروح، و هو وحده من يملك حق إستردادها متى شاء.

كان رد فعله على جورج قوى جدا يتظاهر من خلاله بالقوة على الرغم من دموعه التى حفرت ندوب على وجهه، فقط حاول أن يُبقى على هيئته المصطنعة، فهو أضعف فى قرارة نفسه من ذلك، حاول كثيراً إيقاف ذلك المشهد الذى عايشه مع زوجته و نجوى عن باله لكنه فشل كالعادة، فشل فى كل شىء إلا

إكتساب عطف من حوله دون قصد.

دخل الطبيب عليه يطمئن على صحته، و ما إن إقترب من إبراهيم حتى قال له:

«كيف حالك اليوم؟»

لم ينظر إليه إبراهيم وهو يقول:

«ياله من سؤال سخيف، ترى من يُسأل عن حالي، أنا الذى لا أشعر بشئ أم أنت؟»، جلس الطبيب و هو يتسم فى وجهه وهو يقول:

«لقد أساءت فهم سؤالي، أنا أسأل عما لا أستطيع رؤيته، عما بقلبك، عن الحالة النفسية لا البدنية، و لو ستسألني عن حالتك البدنية سأقول أنك عدت من الموت، حينما وصلت للمشفى كان التنفس منقطع و بصعوبة حتى إستطعنا إنقاذك» ضحك مما قاله الطبيب حيث لم يظهر له شئ، فكل أفعاله طبيعية نتيجة تلك الصدمة، فقد قص عليه جورج بعدما خرج من غرفة إبراهيم تفاصيل الواقعة، و ما يفعله و ربما أكثر من ذلك يُعد تأثير الصدمة، حيث قال له إبراهيم:

«لماذا أتعبت حالك فى إنقاذ شخص بأئس لا يستحق الحياة مثلي، يا رجل أنا أبحث عن طريقة للموت و أنت أيضا تقف فى وجهي؟!».

رد عليه الطبيب بهدوء:

«هناك ما يجعلنا نعمل على ذلك، القسَم المهنى لإنقاذ الأرواح، الأمانة، الخوف من الذنب و معصية الخالق، فمن نحن

حتى تقرر إنهاء حياة أحد؟ من نحن حتى نهمل الواجب ونكف اليد عن المساعدة؟ لكن سأقول لك عفوا على شكرك لنا».

نظر له إبراهيم في صمت، ثم أكمل الطبيب حديثه بسؤاله: «أنا طبيب، أحمل على عاتقي مداواة المرضى، هذا لا يعنى أننا نعارض الله إن كان مُقَدَّر للمريض الموت، أنا أشعر بحزن شديد إن فشلت في ذلك، لكن ينير الله بصيرتي حينما أتذكر أن تلك إرادة الله في أمانته».

قاطعه إبراهيم قائلاً:

«تحدث بتلك الراحة لأنك لست بذلك العجز، لحياتك قيمة وكبيرة حيث عملك في إنقاذ البشر، هل ستكون بتلك الأريحية إن كنت مكاني؟»، تهدهد الطبيب وهو ينظر لأعلى وقال:  
«من الطبيعى أن تقول هذا ويبدو لك أن نهاية العالم هي عجزك، أنا أتابع حالتك منذ سنوات طويلة و كنت أضرب بك مثلاً في الصبر والتحمل، لم يخطر ببالى لحظة واحدة أن ذلك المقاتل من داخله غير ما يُبدي للمحيطين به، صدقني أنا مصدوم و..»

ضحك في سخرية قائلاً:

«هذا ليس جواب سؤالى و أنت تراوغ محاولاً التأثير على الحديث بيننا، لكن حاول أن تعطينى جواب لما قلت»، نهض الطبيب من على الكرسي وتحرك للجانب الآخر من الفراش ينظر لبعض الأجهزة لا يبالى بإبراهيم، ثم إلتفت إليه وقال:  
«إيماني بربي كبير فلا أياس من رحمته، هل تظن أنك

الوحيد الذى عاش معاناة فى الحياة؟ هل تدري السبب الحقيقى لإمتهانى الطب؟ سأخبرك شىء يجهله الكثير، ماتت أمى أمام عيني لأن طبيب قد وصف حالتها بالخطأ و كان من المفترض أن تذهب للمشفى، وحينما إشتد التعب اتصلت بطبيب آخر ليلاً قال لي سأمر عليك صباحاً لا تقلق ستكون بخير، رأيته تحتضر أمامى، صرخت طالباً النجدة، دون رد حتى فارقت الدنيا أمام عيني، لم أفارق مكاني ولم أبكي، لم أستطع تقبيل الواقع أنها المرة الأخيرة لنا و قد فارقتني للأبد، مر وقت قليل و حضر أبى الذى اتصلت به كثيراً طلباً للنجدة دون رد منه، فما أن رأى ذلك تحول لجماد و قبل شروق الشمس كنت أدفن أبى وأمى».

اقترب أكثر من الفراش وهو ينحنى برأسه ناظراً لإبراهيم أكثر واستطرد قائلاً:

«كنت عاجز عن إسعاف أمى، و كنت عاجز عن اللحاق بأبى، و أكملت حياتى دون أهل، للمحسنين و أهل الكرم، لم ينساني ربي و لم أنساه فما أنا هنا الآن، لكل منا عجزه الخاص سيدى العقيد، لكن يتوقف عجزك و قوته حسب إيمانك بالله وإيمانك بقوتك، مع العلم أن ما قلته لن يسكن ليلة فى عقلك الفاقد لكلمة الرحمة، و كل ما تعنيه هذا الكلمة له أنها لون جديد للانتحار تطلق عليه موت الرحمة».

اعتدل مرة أخرى فى وقفته ونظر لإبراهيم الصامت والمتابع لما قاله، لكنه لم يصمت طويلاً فصرخ يقول:

«كنت تمشى، كنت تمسك كتاب بيدك، كنت تركض خلف حلمك لتساعد أمك فى صورة المرضى، لم ترى ابنتك

تُغْتَصَبُ أَمَامَكَ، لَمْ تَرَى زَوْجَتَكَ تُضْرَبُ أَمَامَكَ، لَوْ كُنْتُ مَكَانِي  
كَانَ سَيَكُونُ الْوَضْعُ مُخْتَلِفًا لِهَمَا، لَكِنْ أَنَا مَاذَا؟ أَنَا لَسْتُ  
بِشَيْءٍ، عَجَزِي غَيْرَ مَا قَصَصْتُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَقْدِيرِي لِسَعْيِكَ  
وَلِشَعَارَاتِ الْإِيمَانِ الْجَمِيلَةِ، لَكِنْ رِيكَ سَاعِدُكَ، رَبِّي لَا».

ابْتَسَمَ الطَّبِيبُ مِمَّا زَادَ مِنْ حَنْقِ إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ:

«لَا أَمَلُكَ تَعْقِيبَ عَلَى كَلِمَتِكَ الْأَخِيرَةِ خَاصَّةً أَنْكَ تَتَوَى مَعْصِيَةَ  
اللَّهِ وَتَتَحَرَّرُ، وَكَمَا قَالَتْ لَكَ حَدِيثِي لَنْ يَسْكُنَ لَيْلَةَ بِعَقْلِكَ،  
وَأَظُنُّ أَنَّكَ لَمْ تَسْمَعِهِ، حَسَنًا.. هَلْ تَرِيدُ مِنِّي شَيْءَ قَبْلَ أَنْ أَذْهَبَ؟»  
نَظَرَ لَهُ إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ:

«أَرِيدُ أَنْ أَذْهَبَ لِنَجْوَى».



حِينَمَا تَفْقَدُ كُلَّ شَيْءٍ؛ يُمْكِنُكَ فِعْلُ أَيِّ شَيْءٍ دُونَ عَقْبَةِ  
التَّفَكِيرِ، وَ إِنْ كَانَ حَدِيثُكَ عَنِ إِبْرَاهِيمَ؛ فَقَدْ خَسِرَ هَيْبَةَ  
الرَّجُلِ وَ تَهَشَّمَ قَنَاعَهُ تَحْتَ قَدَمِ نَجْوَى وَ كَامِيلِيَا، فَهَذَا مَا كَانَ  
يُظَنُّ حَيْثُ الشُّعُورُ بِالذَّنْبِ بِكُلِّ مَا حَدَثَ لِنَجْوَى، وَعَجَزَهُ الَّذِي  
مَنَعَهُ مِنْ حِمَايَةِ زَوْجَتِهِ، فَهَيْبَتُهُ كَانَتْ آخِرَ حِصُونِهِ الَّتِي سَقَطَتْ  
فِي يَدِ الْيَأْسِ.

كَانَ تَحْمَلُهُ مَسْئُولِيَّةُ مَا حَدَثَ لِنَجْوَى يَعِصِفُ بِرُوحِهِ، لَا  
يَدْرِكُ أَنَّ الْأَمْرَ بَعِيدًا عَنْهُ وَ لَكِنْ اسْتِغَاثَتَهَا وَ صَرَاحَهَا حِينَمَا  
طَلَبَتْ مِنْهُ لِأَزَالِ يَفْتِكَ بِسَمْعِهِ، وَ لَا يَدْرِي كَيْفَ يُسَكِّتُ هَذَا  
الصَّوْتِ، لَكِنْ تَفَكِيرِهِ فِيمَا مَضَى غَلَبَ تَفَكِيرِهِ فِيمَا سَيَأْتِي  
وَ أَصْبَحَ مَا يَفْعَلُهُ مَجْرَدَ إِرْتِجَالَاتِ شَبْحِ مَهْرُوزِ.

لهذا قرر مواجهة نجوى على الرغم من الإحساس القاتل بالذنب، ربما يبقى على ما تبقى له أو كواجب لتلك السنوات والتي توجتها بلقب أبي، دخل غرفتها بصحبة أحد الممرضات فوجدها تجلس على الفراش تبكى و من حولها الممرضات تتابعن حالتها و تقمن بواجب الحراسة أيضا، ما إن دخل حتى تبعه ضابط الشرطة قائلاً:

«حمدالله على سلامتكم، هل أستطيع أن أتحدث إليك قليلاً»، لم يعره إبراهيم انتباه في البداية، ثم نظر ناحية نجوى وهو يقول:

«أريد أن أجلس مع ابنتي قليلاً وبعدها نتحدث فيما تريد، هل تسمح لي»،

تفهم الضابط وضع إبراهيم ثم أوما برأسه مستجيباً و ترك الغرفة ليجلس بالرواق إلى أن ينتهي إبراهيم من زيارتها، لم تبرح عيناه وجهها، تلك الزهرة التي فاح عطرها جوانب منزله لسنوات، التي لم تشتكى يوماً من شيء ولم تتأخر يوماً عن مساعدتهما، تلك الفتاة التي كانت له إبنة بعد ما مر من عمر دون نسل يخلفه، ما يراه أمامه من الصعب تحمله و لكن يجب أن يكمل الطريق ليكون هناك على مقربة منها الآن.

كانت تبكى بشدة وما إن لاحظت دخوله حتى قالت له بصوت باكٍ تقشعر له الأبدان:

«أبي.. أرجوك قل لهم أن يعطوني مرآة، أريد أن أرى ما يشعل الألم بوجهي»، كان وقع تلك الكلمة على إبراهيم عنيف بعض

---

النشئ، لقد زاد من شعوره بذنب كاد يفتك به، فهي لازالت تلقبه  
أبى و حتى اللحظة تطلب منه المساعدة، نظر إلى الأرض دون أن  
ينطق فأكملت بكاء و هى تقول:

«الوجع وجعان.. لقد نهش ذلك الذئب كرامتي و هذا الندب  
مخفى عن أعين المارة لا يراه إلا من سمعه، هذا الوجع ربما  
أخف مقارنةً بذلك الندب البارز فى وجهي والذي جعل مني  
مسخ، كيف سأواجه الناس؟ كيف سأرى الشمس دون أن  
تخفى الشمس عيناها عنى خلف السحب؟ كيف سأستمع  
لتغريد الطيور و هى تبتق علي اللعنات فقط لأنني ذو وجه ذميم؟  
بالله عليك يا أبى قل لي كيف أتحمل؟»

رفع عينيه ليواجه نجوى حيث حبس دموعه بالقوة الجبرية  
خلف قضبان عينيه فلم يدعها تشور لتعلن ضعفه و تكسر ما  
تبقى من كبريائه، كانت تبكى و بقوة حتى أن من بالغرفة  
أجهشوا بالبكاء من الموقف، لكنه فى هدوء قال:

«كم عام و أنا هنا جليس هذا الكرسي؟ كم مرة قمتى  
بمساعدتى لدخول فراشي؟ كم شخص واجهت أمامك ممن  
سخرؤا مني؟ هذا الكرسي أصبح نقطة نهاية القصة، المقعد  
الذى أنتظر عليه الرحمة بالموت، لأنه لا سبيل لعلاج منه  
أو لتركه لي ربما إعتاد صحبتي، وجهك سيعود كسابق،  
جراحات التجميل تحمل الكثير و أنا سأحرص على ذلك».

كانت تعرف من داخلها أنه لن يتركها كالعادة، و لكن  
الوضع هنا مختلف، كيف ستواجه العالم حتى يحدث ذلك إن  
حدث، فحتى الآن لا أحد يرى مدى التأثير، و ينتظر الأطباء

اليوم لفك الأربطة والوقوف على حالة وجهها و عينها ، مواجهتها ذلك الموقف وحده مرعب جدا ، مرعب حد الرغبة بالموت منه .

نظرت لسقف الغرفة والألم يزداد فى وجهها قائلة :

«لم أملك تلك الإرادة يوماً ، أنا فتاة بسيطة كنت أحلم أحلام مثلي ، لكن انقلب قطار العمر على رأسه لأجد نفسي رهينة عار وتشوه ، أنا لست مثلك يا أبى لن أتحمل ، الآن فقط شعرت بما تحمل ولما تطلب الموت ، أشعر و أتفهم» .

ارتفعت نبرة صوته قليلاً و هو يرد عليها :

«لا أريد أن أسمع عبارات اليأس الباهتة تلك من لسانك ، سيعود كل شىء كما كان و ستعبري تلك المحنة فأنت أقوى ، ذلك الشعور قوى و صعب و خاصة بالأيام الأولى ، تغلبي عليه بسرعة حتى لا تصبح حياتك صعبة» .

ضحكت فى هستيرية وسط دموع لا تتوقف وقالت :

«حياتي!!.. أين هى حياتي؟ لقد ضاعت مع بكارتي التي إنتهكت بلحظة ظلام ، ذهبت مع جلدي المحترق بقطرات النار ، أين تلك الحياة؟.. أين؟؟؟!!» ، لكنها و بصوت مهزوز عادت لتقول :

«كان هذا الدرس الوحيد الذى لم أتعلمه منك ، كيف أهزم المحنة ، و ها هو الإمتحان دق بابي دون أن دراسة علومك ، حان وقت إعلان فشلي و رسوبي يا أبى ، أنا متعبة جدااا و أريد أن أنام ، أتركني يا أبى أتركنى أحاول الهرب قبل موعد كشف الحقيقة» .

أوماً برأسه فى تفهم ثم طلب من الممرضة أن تصحبه خارج الغرفة ، وقبل أن يخرج ظهر جورج أمام الباب الذى تفاجأ بوجوده عند نجوى ، لكن إبراهيم لم ينظر له حتى ، حاول جورج التحدث له ، لكنه طلب من الممرضة أن تكمل طريقها لغرفته فهو يريد الراحة. وما أن وصل لباب الغرفة استوقفته كلمات نجوى وهى تقول: «أبى.. لا تتحمل ذنب ذلك ، كان ذلك مُقدَّر لي سواء أمامكم أو بمكان آخر ، صدقتي لا ذنب لكما» ، لم ينظر ولم يطلب من الممرضة الالتفات ، لكنه نظر للأرض فى إنكسار و خيبة ، فمهما قالت لن يسامح نفسه على ما حدث لتلك الفتاة.

لم يكن يفكر بكلمات نجوى بعدما خرج ، لكن هناك شىء آخر لم ينساه ، كيف سيواجه كاميليا؟ فهى لم تأتى حتى الآن و هو لم يطلب الذهاب لها ، على الرغم من أن جورج قال له أنها بخير و تشعر ببعض الألم فى الرأس نتيجة الضربة قطع تفكيره وصوله للغرفة و قد تبعه ضابط الشرطة والذى قد أجل حديثه معه لحين الخروج من عند نجوى ، طلب من الممرضة وضعه قرب النافذة و إستأذنها بصحف اليوم لو لديها بعض الوقت ، فإستجابت لطلبه و غادرت الغرفة و تركتهما معا. جلس ضابط الشرطة و بصحبته شرطيان ، و قبل أن يبدأ بالحديث باغته إبراهيم قائلاً:

«شابان لم أرى أى منهما من قبل ، لو كنت أملك يد واحدة فى تلك اللحظة لقتلتهم دون تردد ، صدقتي أصعب ما قد تمر به فتاة هو ضياع زهرة شبابها ، فما بالك بضياع جمالها و بكارتها

فى لحظة واحدة»، لم يعقب الضابط على ما قال و ترك إبراهيم يقص عليه الواقعة، حتى انتهى من السرد طلب منه وصف الشبان، فحاول قدر المستطاع إعطاء وصف من خلال رؤيته المحدودة فى الظلام، ثم طلب منه بذل أقصى ما يمكنه ليحقق العدل لتلك الفتاة، فوعده الضابط بذلك ثم خرج.

دقائق و عادة الممرضة و هى تحمل الصحف، ثم جلست جواره و هى تستأذنه فى القراءة، فأجابها بنعم، و ما هى إلا دقيقة حتى استوقفها خبر تقدم محام مشهور لطلب للمحكمة الدستورية لإقرار قانون ينص على السماح بتطبيق قتل الرحمة للحالات المستعصية و التى لا أمل من نجاتها، و قبل أن تنتهى علت ضحكاته وهو يقول: «بداية النهاية..».



القرار فى عاصفة اليأس دائماً ما يذهب نحو النهاية، تلك العاصفة تحجب دائماً رؤية المنطق، رؤية النور، تُعمى العقل عن طريق النجاة فتتجرف معها دون أن تشعر نحو الهاوية، التى و إن سقطت فيها لا منجى منها.. أبدا.

حاول إبراهيم أن يُعطى للموت صبغة يجعله لطيفاً أو مقبولاً، ثوب مزركش يراه الناس غير أسود الانتحار، لكن لم يدرك أن لا يوجد فرق ما بين الحق فى الانتحار والحق فى القتل الرحيم فكلاهما قرار، هل تختلف نهايته؟ كلاهما موت، بيده أو بيد غيره كلاهما قرار بإنهاء النفس، فما ذنب السائق إن كنت تسير وسط الطريق السريع و أنت مَعْصُوب العينين؟.

إنه ينتظر الآن ما ستسفر عنه دعوى أسامة، مع العلم أنه لو كانت لديه يد واحدة سليمة كما قال للضابط لم يكن ليقتل الشباب، بل كان سيقتل نفسه، إنه ينافق من حوله، فقد كان يصرخ لا لطلب النجدة بل لإستفزاز المجرمان، لقد وصلت حالته العقلية للتخبط، يكذب على نفسه ولا يصدق الحقيقة على الرغم من سطوعها لن يراها.

ما أن أشرقت الشمس حتى استيقظ إبراهيم الذى لم يجد زوجته أيضا بجانبه، كان ذلك أقصى ما يُشعره بالأسى، ولكن توقف للحظة عن التفكير حيث راوده شعور غريب، هل يكذب جورج بخصوص كاميليا؟

انتظر قليلا حتى حضرت الممرضة، و ما إن دخلت الغرفة حتى قال لها:

«أريد أن أذهب لغرفة زوجتى الآن»، نظرت إليه فى تعجب قائلة:  
«سيدي لقد استيقظت للتو أمهلنى دقائق أتفقد حالتك وبعدها سندهب»، نظر لها بعصبية و هو يصرخ ويقول:

«لا أريد أن تتفقدي صحتى، لا أهتم بذلك، أريد أن أذهب الآن»، لكن قبل أن تجيبه كان جورج واقفاً على باب الغرفة فقاطع حديثهما و هو يقول:  
«نفذى ما قاله فوراً».

كانت تلك الجملة تكفى حتى يهدأ قليلاً، لكنه قال:  
«حسناً لننتهى مما تفعلين ونذهب»، دخل جورج الغرفة ثم توجه صوب النافذة ليقف أمامها تماماً عاقدا ذراعيه خلف ظهره

وهو يقول:

«لازالت نائمة، لقد قلت لك أنها بخير و أنا سيطرنا على  
النزيف، تم سحب الدم المتجمع على الجمجمة وهذا ما لم  
أخبرك به بسبب ثورتك، وأيضا لأنها جراحة بسيطة لم تستغرق  
دقائق»، صُفق إبراهيم مما سمع و صرخ يقول:

«كيف تجرؤ على فعل ذلك؟ كيف تخفى عني هذا الأمر؟  
كيف.. كيف؟»، نظر إليه جورج ثم صاح قائلاً:

«لأنك لن تتحمل وستذهب مسرعاً إلى هناك وهي بحاجة  
للراحة و أنت كذلك، ربما ليس من حقي كصديق، لكن من  
حقي كطبيب، عذرا فأنا أمارس عملي سيدي العقيد».

ثم نظر إلى الممرضة و هو يكمل بنفس اللهجة:

«لقد قلت لكِ نفذى ما طلب، أنا من يصدر الأمر هنا فهو فى  
حالة لا تسمح بتفقد صحته، دعيه يذهب ليطمئن على زوجته  
الآن»، تعجب إبراهيم من أسلوبه فقد كانت المرة الأولى التى  
يعهده كذلك، من الواضح أنه يحمل الكثير بقلبه و ربما أيضا  
ذلك الغضب بسببه، لكنه لم ينطق و بالفعل أوضعت الممرضة  
مقعده المتحرك ثم ذهباً دون أى كلمة.

كان ما يشغل بال إبراهيم هو كاميليا، فهى سبب حياته  
حتى الآن، و كلمة جراحة ترهبه جدا، حتى و إن كان شىء  
بسيط فجورج لن يكذب عليه فى ذلك و ربما كان أيضا مُحق  
فى إخفاء ذلك، لكن يبقى الأمر كبير عند إبراهيم فكل  
شئ يخص كاميليا.

ما إن وصل غرفتها حتى طلب من الممرضة وضعه جوار فراشها حيث كانت نائمة، و بالفعل استقر جوارها و تركته الممرضة و ذهبت تنتظره بالخارج، كان نظره ثابت على وجه كاميليا الشاحب، فما عايشاه فى الأيام القليلة الماضية كافٍ جدا ليُذهِب عقل حكيم، لكنه كان قلق أيضا و ينتظر أن تستيقظ حتى يتحدث إليها.

مر الوقت ببطء شديد عليه وهو يجلس رهن الانتظار، لكن قطع حالة انتظاره دخول أسامة والذى ما إن رأى إبراهيم حتى قال له:  
«حمدا لله على سلامتكم، كيف تشعر الآن؟».

رد عليه بصوت خافت:

«لست بخير، أنتظرها تستيقظ و بعدها ربما أُجيبك»، جلس أسامة فى المقعد المواجه له فى الجانب الآخر من الفراش، وما إن جلس حتى قال له:

«أشكرك يا أسامة لأنك نفذت طلبي، لا أدري كيف أُعبر لك عن شكري صدقاً»، إبتسم له أسامة و هو يقول:

«لا تشكرني على ذلك فهذا عملي، و بعد أيام قليلة هناك لقاء تليفزيونى لمناقشة تلك النقطة و أظن أنه من الجيد أن تشارك بإتصال هاتفى فسيكون ذلك مؤثراً»، ثم نهض و ذهب صوب النافذة خلف إبراهيم و قال:

«على الرغم من إعتراضي الشديد على ما تفعل، لكن أنا أحاول لأننى أتفهم جيداً معاناتك خاصة الآن بعد شعورك بالعجز عن حماية عائلتك»، كان وقع تلك الجملة عنيف على إبراهيم،

فهي الحقيقة نعم و دائماً يخبر بها نفسه ، لكن وقعها شديد جدا من شخص آخر حيث تحمل إتهام أكثر من شعور بالأسف. لم يعقب و أكتفى بالصمت و قبل أن يلتفت أسامة ، استيقظت كاميليا و نظرت يسارها لتجد إبراهيم يجلس فقالت:

«هل أنت بخير؟».

كانت كلماتها متناقلة و تخرج من حنجرتها تجر في أقدامها حجارة ، لكن ما لفت إنتباهه أكثر ملامح وجهها التي تفسر كم هي تتألم ، فقال لها بهدوء:

«وسط كل هذا الألم تسألين عني! أنا من كان من المفترض وجوده مكانك لا أنت ، و لن أسألك كيف حالك فأنا أرى بعيني حالك» ، شاحت بنظرها للإتجاه المعاكس ثم أكمل قائلاً:

«منذ قليل أخبرني جورج عن تلك الجراحة ، لقد أخفى عني بحجة القلق علينا» ، لكنها قاطعته و هي تسأله:

«أين نجوى؟» ، كانت لهفتها شديدة و كأنها تذكرت للتو و حيث أنها فقدت الوعي فلم تعرف نهاية الأمر حتى الآن ، لكنه نظر في الأرض و قال بصوت حزين:

«في غرفة قريبة ، لكنها ليست بخير» ، قص عليها ما لم تتابعه ، و فجأة شعرت ببعض الألم يضرب رأسها فصرخت تقول:

«أين جورج ، أحضروا جورج» ، أسرع أسامة صوبها يسألها في لهفة:

«ماذا حدث؟ هل تتألمين؟» ثم نظر إلى إبراهيم و قال له:

«كان من الممكن أن تخفى ذلك قليلاً من باب الرحمة فهي لازالت تتألم» ، لكنه تفاجئ بردة فعلها و هي تصرخ و تقول:

«لماذا يخفى هذا ويحمله وحيداً؟ أنت لا تدرك كيف تسير الأمور بيننا فمن الأفضل أن ترتاح»، شعُر بغصّة قوية فى قلبه فهو لا يتحمل منها كل هذا الجفاء، لكنه تمالك نفسه و ذهب صوب الباب كى يستدعى جورج، وقبل أن يخرج ظهر جورج على باب الغرفة مسرعاً يقول:

«هل تشعرين بألم؟» أوامت برأسها بإيجاب، ثم أمر الممرضة بإحضار بعض المسكن، ثم إلتفت لهما قائلاً:

«سيبقى هذا الألم معها لبضع أيام نتيجة الكدمة والتجمع الدموى، و ليس له علاقة بالجراحة، اطمنئوا».

جلسوا يراقبوا الوضع و هى تهذى بإسم نجوى ثم قال جورج:  
«ستكونى بخير.. سنفعل ما يلزم لا تقلقى».

نظر إليه إبراهيم و لم يُعقب فلأزال هناك قلق يراوده من طريقة جورج و لكن لم يدع ذلك يشغل عقله المشغول بزوجته، ثم قال أسامة:

«دعنا نتركها تستريح قليلاً يا إبراهيم»، فإستجاب له وتحرك معه دون أن تبرح عيناه زوجته، ثم قال:

«سأعود يا كاميليا»، فقال جورج:

«إذهب لتستريح وأنا سأباشر عملي ولا تقلقى»

وما إن خرجا حتى طلب من الممرضة الخروج.. و أغلق الباب عليه بصحبة كاميليا.



## الفصل الثالث عشر

منذ اللحظة الأولى بالحياة و نحن فى حرب مع الشيطان ، فكانت أول معاركنا طعنة بإصبعيه على الجانبين فنبكى و نحن نستقبل الحياة ، و تظل تلك المعارك لا منتهية بين الشيطان و بين ذرية آدم فإنه مُنظر إلى يوم الدين .

الجاهل هو من لا يدرك أن الشيطان هو عدوه الأكبر بتلك الحياة ، فيتسع صدره لوسواسه و لا يحاربه بالإستعاذة باللّهُ من همزاته و وسوسته ، ينسيك ذكر ربك و تذكر رحمته ، و أن روحك ليست ملكك و لكنها أمانة اللّهُ ، فلا ينفعك يومها قولك إنى كنت من الجاهلين .

غاب عن ذهن إبراهيم طيلة سنوات أن ما حدث له إختبار من خالقه ، لقد أراد أن يسمع مناجاته ، و لكنه جهل ذلك و استسلم للغواية حتى أصبح فى فجوة لا قرار لها ، معتمة حد انعدام البصيرة ، و يأس من رحمة اللّهُ .

توقفت سيارة جورج أمام منزل العقيد لينزل منها بصحبة كاميليا و ممرضة لتعتنى بهما خلال تلك الفترة ، ثم أخرج إبراهيم على مقعده المتحرك ، و ما أن نزل حتى تذكر تلك الليلة ثم نظر لزوجته التى حاولت الهرب من الحديقة بخطوات سريعة لداخل المنزل ، لكنه لاحظ خطواتها المتثاقلة الغير منتظمة فنظر لجورج سائلاً :

---

«هل قدم كاميليا بها شيء لا أعرفه أيها الطبيب؟»، استمر جورج فى دفع المقعد وأجابه:

«نعم.. ستخضع لبعض العلاج الفيزيائى والتمارين البسيطة، الكدمة كانت فوق مركز الحركة ولها تأثير خفيف على قدميها». غضب إبراهيم و هو يقول له:

«توقف.. ماذا حدث لك؟ كل يوم أكتشف شيء جديد كنت تخفيه عني، و ماذا بعد؟ هل هناك شيء آخر؟»، أوقف جورج المقعد ثم تحرك للأمام ليوأجه إبراهيم وقال:

«أنت تخاف من أقل شيء يذكر تجاه كاميليا، و أنا ألتمس لك العذر بهذا، غير حبك لها الكبير و ما عايشتماه سويا، لكن لا يوجد شيء يستدعى القلق، و لم أخفى عليك شيء إلا لصالحكما، عليك أن تعرف ذلك قبل أن تتهمني دون سبب.»

لم يرد عليه إبراهيم وما أن لاحظ جورج صمته حتى عاد خلف المقعد ليكملا طريقهما داخل المنزل، لكن هنا قال إبراهيم:

«هذا المكان أصبح كابوس لا ينتهى، هل تذكر كيف كانت تلك الحديقة فى الماضى؟ كم من الوقت قضينا هنا نضحك ونغنى؟ أصبحت تلك الحديقة الآن شاهد على عجزى كرجل.»

نظر للأرض فى حزن و هو يعبر نفس البقعة التى شهدت المعنى الحقيقى لعجزه، و نفس البقعة التى سقطت فيها زوجته أمام ناظره، لكنه لم يستطع أن يمرر بصيص نظرة و لو خافتة تجاه البقعة الأكثر إيلاما، حيث كانت نجوى، شعر جورج بذلك حينما أحنى رأسه للأرض فأسرع بدفع المقعد قليلاً حتى

لا يشعره أنه يلتقط تلك الإشارة و يصل لباب بيته.

ما إن دخل من الباب حتى بحث بعينه عن كاميليا والتي اختفت من الأجواء، فطلب من الممرضة أن تحضر له بعض الماء لكن جورج أشار لها بالتوقف و هو سيحضر الماء، دخل جورج إلى المطبخ ليجد كاميليا بالزاوية تنهار من البكاء، فأقرب منها جورج واضعا يده على كتفها قائلاً:

«سينهار إن رأى ذلك، و أعلم جيداً كم هو صعب جداً أن تعبري هذا الطريق، علينا أن نجمع ما بقى لدينا من صبر والأمل حتى نرى الطريق»، استمرت فى بكاءها دون صوت حتى لا يشعر فقالت:

«ماذا عنه؟ أنا لا أفكر بشئ سواه الآن، لا أدري حقا كيف أتصرف بعد تلك الحقيقة التي لن تتغير»، اختنق صوته دون أن يدري وحاول أن يتمالك نفسه ثم قال:

«أنا معك، والرب معنا، لَأَنَّهُ تَعَلَّقَ بِي أَنْجِيهِ. أَرْفَعُهُ لِأَنَّهُ عَرَفَ اسْمِي. يَدْعُونِي فَاسْتَجِيبْ لَهُ، مَعَهُ أَنَا فِي الضِّيقِ، أَنْقِذْهُ وَأُجِدْهُ. مِنْ طَوْلِ الْأَيَّامِ أَشْبِعُهُ، وَأُرِيهِ خَلَاصِي»<sup>(١)</sup> أمسك كوب من الماء وسكب به البعض ثم عاد لها قائلاً:

«يجب أن نتظر وضع نجوى أولاً و من بعدها نرى كيف ستسير الأمور».

نظرت له و هى تمسح دموعها و قالت:

«كان لابد أن نبقى بجانبها الليلة، كيف ستعبر ذلك

(١) سفر المزامير ٩١: ١٤-١٦.

وحدها؟»، نظر جورج للأرض و هو يقول:

«والدتها هناك و بعض من الأصدقاء، و أنا سأذهب أيضا، يكفى ما مر بكما تلك الأيام و كلاكما يحتاج للراحة»، ثم سمع صوت إبراهيم هو يطلبه فأشار لها أن تمسح دموعها و تتبعه بعد قليل.

ما إن إقترب منه حتى قال له إبراهيم:

«هل تحضر الماء من نهر النيل؟ المطبخ يَبْعُدُ عشر خطوات و أنت عشر دقائق لتحضرها، هل هى بالمطبخ؟»، سقاه جورج الماء و هو يجيبه:

«كاميليا؟! نعم تتفقد المطبخ و تحضر لك بعض الحساء، ستأتى حالاً»، و ما إن انتهى من كلمته حتى ظهرت أمامه قائلة: «هل تريد شىء مع الحساء؟»، كانت تنطق كلماتها دون أن تنظر له، تعجب فى صمت من تصرفاتها منذ خرجاً من المشفى، فهو يتابعها جيداً و يرى التغير الكبير، كان ما يدور فى عقله أنها لازالت تتألم مما حدث نفسياً قبل جسدياً، فما عايشته صعب جدا على أى إنسان.

أجابها بالنفى ثم عادت للمطبخ دونما كلمة، فتابع حركتها و قدمها التى تجرها خلفها و كأنها تجر خلفها صخرة، ثم نظر لجورج سائلاً:

«ماذا عن قدمها؟ هل ستخضع لعلاج فيزيائى؟»، أجاهبه:

«نعم.. سأصحبها للمشفى ثلاث مرات أسبوعيا و قبل نهاية الشهر ستكون أفضل من الآن، لا تدع الأمر يؤثر عليك»، ثم

اقترب منه وانحنى و هو يكمل حديثه:

«كل ما حدث مني بالمشفى كان خوفاً عليك، أعلم جيداً كيف ستصبح حالاتك إن أخبرتك بذلك، الأمر بسيط عندي لأنى طبيب، عظيم عندك لأنها كل ما لديك، أتمنى أن تصفح عن هذا و لا تدع الأمر يؤثر علينا».

نظر إليه و هو يقول:

«سمير.. لكن اهتم بكاميليا ونجوى أولاً و بعدها لنا حديث آخر».

لم يفهم جورج المقصود من تلك الجملة الأخيرة، بقيت عالقة فى ذهنه دون أن يسأل، لكنه حيث يعلم صديقه جيداً، فهناك أمر ما سيسعى خلفه.. والأقرب هو صفقة موته.



ذلك الوقت الذى يخفى خلفه أمر مستور تنتظر كشفه؛ دائماً ما يكون وقت مسموم، يحمل لعنة على كل حركة من حركات البندول، على الرغم من أن الإنسان يجرى خلفه لمعرفة ستره، إلا أن شبح الخوف من هذا السر مخيف حد الهلع.

كان حال نجوى فى ذلك اليوم أكثر من ذلك، فكثيراً ما كانت تلح فى طلب المرأة لترى وجهها، لكنها الآن تخشى تلك اللحظة، خاصة أنها لن ترى وجهها قبل المحيطين، هذا كان أكثر ما يؤلمها، فهى كانت ترسم بمخيلتها دائماً كيف سيبدو ذلك الحرق من تحت الغطاء، و خوفها من المجتمع المحيط بها كان خوف قاتلاً.

دخل جورج بصحبة الطبيب ليجد نجوى تجلس على السرير، تضم ركبتيها بذراعيها على صدرها، ورأسها تتكأ على الركبتين، و بلكاد ترفع طرفها تراقب الحضور، اقترب منها جورج و قبل أن ينطق باغتنه قائلة:

«هل حان الوقت؟ هل سيرى الناس كيف تبدو بشاعتي الآن؟».

اقترب منها و ربط على كتفها فى حنان و هو يجلس جوارها قبل أن يقول:

«نجوى.. لا تخافي من شىء، مهما كان الضرر أعدك سيمر و سيكون كما كان من قبل، فقط عليك بالصبر».

أخذت تبكى مع كلماته فى حين اقتربت منها والدتها تجلس على الطرف الآخر تبكى على ما قالتها، قبل أن تهز نجوى رأسها بإستجابة و بدأ جسدها ينتفض شىء فى شىء مع إقتراب الطبيب منها، نهض جورج حتى يفسح المجال للطبيب و أمر الممرضات بإغلاق الباب، ثم باشر الطبيب عمله.

و ما إن بدأ بنزع الأريطة حتى بدأت تشعر بالألم الشديد وتصدر أنين ألم، و فجأة عندما انكشف الجزء العلوى من وجهها شهقت أمها بقوة من هول المنظر ثم صرخت:

«ابنتى.. ابنتى»، و نهضت من مكانها تنظر للحائط و هى تصرخ فذهب إليها جورج مسرعاً محاولاً تهدأتها و هو يتمتم ببعض كلمات لم يسمعها أحد سواهما، فى حين صرخت نجوى من الألم تقول:

«كفى... كفى أرجوك وجهى يحترق»، كان كل الموجودين





أحزن، كم ساعدتني دون أن تشعر بالإبتسامة والدعابة، أنت لا تعرف كم من الألم عايشنا، أنت لا تعلم شىء.. لا تعلم». أفلت نفسه بالكامل من الطبيب وهو يركض مسرعاً ولا يدرى إلى أين، وهو لا يرى حتى الطريق من الغيث المنهمر على جفنيه، لا يرى ولا يسمع حتى، كل ما كان يبحث عنه الآن هو مكان ليبقى وحيداً.. ولا يعرف أين يكون.



حاولت كاميليا كثيراً الاتصال بجورج دون رد، كان ذلك يبعث الكثير من القلق داخلها فعدت وعدها بالاتصال بها فوراً، لكنه لا يجيب مما زاد خوفها، كانت تفكر بالاتصال بأم نجوى ولكنها كانت تخشى ردة فعلها، ربما المكالمات من حزنها تقول شىء يزيد من مرارة إحساسها بالذنب، فتعاضت عن ذلك فى انتظار جورج.

بينما هى غارقة فى التفكير دخلت الممرضة لتقطع عليها خلوتها بعد الإستئذان فقالت:

«سيدتى.. سيدى رفض تعاطى العلاج قبل حضورك»، أو مأت براسها فى تفهم وذهبت معها لغرفته، ما إن دخلت حتى قال لها: «منذ عودتنا من المشفى وأنت لست مهتمة بشىء، لا أراك إلا قليلاً ولحظات خاطفة بعد فترة الصباح، كل ما إهتدى له عقلي أن هذا تفادى اصطدام أو عقاب، سأقبل كلاهما، لكن هل هناك سبب آخر غير ذلك؟».

اقتربت منه ثم جلست على طرف فراشه وهى تمسك يده قائلة:

«لا هذا ولا ذاك ولا شيء آخر، الأمر غير ذلك، ربما ما حل بنا لازال عالق بين حوائط عقلي ولا تغيب تلك الصورة عن خيالي لحظة، وأكثر ما يقلقني اليوم هو نجوى»، إنتبه أن اليوم هو موعد فك الأربطة عن وجهها و جورج لم يتصل و لم يحضر، فباغتها سائلاً:

«هل حاولت الاتصال بجورج؟»، قالت له وهي تهز رأسها بإيجاب:

«كثيرااا.. دون رد وهذا ما يزيد قلقي».

طلب منها أن تعاود الاتصال مرة أخرى، لكن هذه المرة كان الهاتف خارج التغطية، فصرخ قائلاً:

«هذا الغبي كيف يفعل بنا هذا وهو يعلم جيداً أننا ننتظر منه خبر؟ لا أستطيع فهم ما يدور بعقله هذه الفترة وكأنه شخص آخر»، و ما أن انتهى من جملته حتى دق جرس الباب، فأشارت للممرضة أن تذهب بسرعة لتري من بالباب.

لقد كان هو.. في حالة لا توصف، عيناه كغروب شمس يوم حار، حمراء داكنه ملتبهة، و يبدو على هيئته أنه متعب جدا وكأنه حضر ماشياً، نهضت كاميليا بسرعة حينما سمعت الممرضة ترحب به، و ما إن رأته هكذا صُعبت من هول المنظر. صرخ إبراهيم يقول:

«لا تقف عندك و تعال هنا أولاً».

قبل أن يُغلق فمه كان جورج أمامه بتلك الهيئته، جحظت عيناه مما رأى، فقال له:

«جورج!.. ماذا حدث لك؟ أين كنت؟».

اكتفى بالنظر له دون رد ، بينما كاميليا امسك يده حتى جلس على المقعد المجاور لها ، وأشارت للممرضة بإحضار بعض الماء بسرعة ، و فوراً ذهابها إنفجرت عينا جورج بالبكاء و قال :  
«لم أتحمل المواجهة فور انتهاء الطبيب ، لم أستطع مواجهة الموقف لأنى ضعيف و هربت من المشفى ، المسكينة أيضا لم تتحمل ، أمها لم تتحمل ، فقدت عينا اليسرى و تحول وجهها لقطعة واحدة محترقة ، لا تستطيع تمييز أى شىء منها ، كيف ستتحمل تلك المسكينة».

نظرت كاميليا إلى الأرض و هى تضع كفيها على وجهها و كأنها ترى المشهد أمامها و تحاول أن تخفى نظرها ، بينما تجمد إبراهيم و لم ينطق بحرف ، أكمل حديثه و هو يصف تلك اللحظات التى مرت عليهم بالمشفى بصوت ممزوج بالبكاء و العويل ، فهذا هو جورج ، رجل بالغ مسن و طبيب مشهور ، لكن بداخله طفل صغير لا يتجاوز العشر سنوات.

عادت الممرضة بالماء لكنه لم يستطع شرب قطرة واحدة ، و أمسك بالكوب فى يده حينما قال إبراهيم :  
«هل من أمل لعودة وجهها كما كان؟».

نظر إليه جورج و هو يحاول مسح عينيه من الدموع و قال :  
«صعب و لكنه ليس بالمستحيل ، لكن عينا اليسرى انتهت ، سنعرضها غداً على طبيب متخصص بجراحات التجميل ، لكن تلك الجراحات نسبة نجاحها أكبر بالخارج و ل...» قاطعه إبراهيم فى حزم :

---

«لا تضيع الوقت و فور تجهيزها نفسياً إبدأ فى تحضير إجراءات السفر والعلاج على نفقتنا الخاصة مهما تكلف الأمر»، هنا قالت كاميليا:

«المشكلة الآن ليست فى العلاج هنا أو بالخارج، المشكلة الأكبر هى نجوى و كيف ستعبر تلك الصدمة، لهذا طلبت منك أن نكون هناك».

نظر إليها جورج قائلاً:

«كان صعب عليكِ الحضور و أنا على علم تام من هى نجوى بالنسبة لكِ، أنا لم أتحمّل النظر إليها من الصدمة، تلك الفتاة تم تدميرها دون أى شفقة».

ثم نظر إلى إبراهيم و قال:

«أنت الوحيد الذى كنت أَلجأ إليه فى تلك المواقف، و أتيت بابك و طلبت منك الدعم، ماذا فعلت؟ لم تستطع حتى تهدئتي، و أنت غير مُلام فما تمر به كثير منذ سمير، لكن أنا فى تلك اللحظات ضعيف بدونك، و الآن أنت تريد الهرب من الدنيا و تتركني وحيداً».

قاطعهُ إبراهيم فى غضب قائلاً:

«ماذا سأفعل لك؟ هذا أكبر أخطائي، لم أتركك تواجه شىء بدوني حتى و أنا عاجز و قعيد كنت أمسك يدك و أرشدك للطريق، أنا لست مُلزم بإطعام طفل بلغ الخمسون و يزيد، لا تتخذ هذا سبباً لتتبرأ من قرارك».

نظرت له كاميليا تقول:

«أى قرار؟».

نظر لها جورج و حاول التحدث لكن قاطعه إبراهيم قائلاً :  
 «لقد قرر جورج دعم أسامة فى طلب توقيع القتل الرحيم عليّ».  
 نهضت كاميليا من على المقعد و هى تنقل نظرها ما بينهما  
 و لا تصدق ما سمعت ، فهى لا تدرى بهذا القرار ، وكأنها الآن  
 تحارب وحدها ، فكيف ستقاوم التيار؟



على عكس توقع إبراهيم ، لم تتحدث كاميليا عن ما قاله  
 بخصوص جورج ، عدة أيام مرت و هى على نفس الوتيرة ، تجالسه  
 صباحا و تبديل ثيابه ، ثم تطعمه و من بعدها الصحف ، و فى  
 الأخير عقاقيره و تذهب و تترك باقى المهام للممرضة الجديدة.  
 لكن هذا الصباح كان مختلفاً ، لقد تعمد أن يغضبها كى  
 تُخرج ما بداخلها حينما حضرت لتُطعمه فقال لها :

«هناك بعض الأمور التى يجب أن نتناقش حولها بخصوص  
 القضية» ، نظرت إليه وهى تقول :

«عليك أن تُتهى طعامك».

لم تُعجبه تلك الإجابة فقال فى حزم :

«اليوم سننهى معاً الحديث عن هذا الموضوع ، لا أريد أن  
 أُزيد حالة الصمت التى تأكل الأرض بينما بعدما أصبح يومنا  
 كالصحراء ، نكتفى هنا فهذا التجاهل والصمت لا يفيد أحد».

نظرت للأطباق أمامها وهى تقول فى هدوء أثار غضبه أكثر :

«هناك الكثير من الوقت حتى يتم الفصل في تلك الدعوة،  
أما بخصوص قراري فلا حاجة لي بقرار، أنت قررت كل شيء  
وحددت الطريقة والمكان والزمان وبدأت بكل شيء دون  
علمي، ومنذ ذلك اليوم لم تسنح لنا فرصة للنقاش، وحسب  
معرفتي التامة بك فليس لنا نقاش في تلك النقطة، وربما ستعيد  
نفس الكلمات التي سمعتها منك بالمشفى عن ضرورة رحيلك».  
صرخ بها وهو يقول:

«هل لديك حل آخر؟ لقد انتهى كل شيء، والآن أصبحت  
لاشيء، حتى حديثك معي تغير منذ تلك الليلة، لقد سقط قناع  
رجولتي الزتّف تحت قدميك والآن أنا عارٌ تماماً من هيبتي، لهذا  
تتعاملين معي وكأنني لست على قيد تفكيرك حتى».

نظرت له في دهشة مما سمعت، فقد كان آخر شيء من  
الممكن أن يقوله، كيف له أن يفكر بزوجته هكذا؟ هل  
تعامله بجفاء لأنها لا تراه رجلاً؟ كانت تلك الكلمات عنيفة  
عليها وخارج المتوقع منه، أربكتها حتى أنها أسقطت أحد  
الأطباق أرضاً وهي تحاول النهوض ثم قالت في غضب:

«أنت!!.. ماذا تقول؟ هل تظن أنني أعاملك بطريقة جافة لأنك  
كما تقول؟ لا أصدق ما سمعت، لالالا.. لقد جُننت تماماً ومن  
الصعب أن أجادلك بهذا، لكن سأقول لك شيء واحد، بحياتي  
كلها حتى يوم موتي الذي لا يعلمه إلا الخالق لن يكون هناك  
بعيني سوى رجل واحد وهو أنت، أنت لست مُلام على ما حدث  
لي ولنجوى، لست مُلاماً يا إبراهيم ولكنك تجعل من الأمر  
ذريعة لتكمل طريقك نحو الانتحار».

اكتفى بالنظر إليها بعدما تعمد إثارة غضبها ، كانت نفس الطريقة التي اعتمدها للإيقاع بجورج حتى قال له نعم سأدعمك ، لكن الخصم هذه المرة أصعب و أقوى و يستطيع المراوغة جيداً لأنها تعرف نقاط ضعفه و قوته ، وتعرف أسلوبه ، ولكن هذا الحديث كان مختلفاً. حاول أن يتكلم لكنها وضعت أصابعها على شفثيه لتمنعه من الحديث الذي يزيد من غضبها و يُشعرها أنها أمام رجل آخر، ثم نظرت له و قالت:

«لا تنطق بتلك التفاهات مرة أخرى، أنا سأنسى ما سمعت فوراً ، و عليك أن تعرف أن بالي مشغول جداً بنجوى التي تركت المشفى بالأمس و منذ ذلك الحين لا تجيب على هاتفي، ولم تسمح لي حتى بزيارتها مرة، و لا أستطيع مواجهة أمها المسكينة ، أليس هذا بكافٍ لأكون مهمومة و أختلى بنفسى ولو قليلاً؟!!» .  
لم يقتنع تماماً بما قالت و لكنها حاول أن يجعله سبب مُقنع لحالتها البائسة خلال تلك الأيام حتى لا يُغضبها أكثر من ذلك فهو يضغط عليها بما لا تُطيق، إكتفى بمتابعتها و هى تجمع الأطباق لتذهب للمطبخ، و قبل أن تذهب قال لها:

«لقد قلت لجورج بالأمس قبل أن يذهب أن يحاول الوصول لنجوى فقال لي سيمر عليها الليلة قبل أن يأتى هنا، و سيتصل بنا هاتفيا من هناك كى نتحدث معها»، لم تنظر له و اكملت ما تفعله و قالت:

«و هل تظن أنها ستقابل جورج؟ لقد رفضت ذلك من قبل».

قبل أن يجيبها كان أسامة يتصل بهاتف كاميليا ، فترك ما

بيدها والتقطت الهاتف لتجيبه و قالت:

«صباح الخير يا أسامة، كيف حالك اليوم»، رد عليها:  
«أنا بخير، وأنت كيف حالك؟» أجابته أنها بخير حينما كان  
عقلها يتسأل ما سر تلك المكالمة فى هذا الوقت المبكر؟!

أيقظها من التفكير صوته و هو يقول:  
«أريد أن أتحدث مع إبراهيم»، فأقتربت منه و ضغطت على  
مُكبر الصوت حتى يتحدثا، فقال له إبراهيم:  
«صباح الخير يا أسامة، ماذا لدينا هذا الصباح»، أجابه  
أسامة فى تهكم:

«دائماً فى عجلة من أمرك، لكن دعني أخبرك، غدا فى  
التاسعة مساءً سأكون على التلفاز فى حوار مباشر بخصوص  
قضيتك، سيحضر هذا الحوار بعض الضيوف حيث سيكون  
نقاش من الجانب القانونى والطبى والدينى حول موضوع  
القضية، أريدك أن تحضر هذا الحوار و أن تجرى مداخلة  
هاتفية، ستكون مهمة جدا لنا تلك المداخلة».

كانت تلك الكلمات عنيفة جدا على نفسها، و أدركت للتو  
أن أسامة لا يحاول تنفيذ طلب إبراهيم الصعب والغير مقبولاً دينياً  
ولا قانونياً، لكنه يحاول جاهداً الوصول لهدف إبراهيم والتخلص  
منه، هنا شعرت برجفة قوية فى جسدها و صرخت قائلة:

«ماذا تقول أنت؟ أى حوار و أى اتصال هذا؟ هل جنت؟».

قاطعها إبراهيم قائلاً:

«حسنا يا أسامة سأحرص على ذ...»، و قبل أن يكمل أخذت

الهاتف من أمام فم إبراهيم لتقول لأسامة:

«أنت.. لن أغفر لك هذا أبداً لأنك تتلاعب بي، لقد أخبرت جورج أن هذا الأمر مستحيل والأمن تحاول مع هذا المستحيل ليصبح حقيقة؟».

حاول أسامة التحدث والتبرير لكن في تلك اللحظة ظهر على الشاشة إتصال آخر.. كانت نجوى.

تسارعت دقات قلبها أكثر فور قراءة إسمها وقالت:

«سأنتهى المكالمة الآن فنجوى تتصل وأنا أنتظر هذا الاتصال منذ يومان»، ودون وداع أجابت إتصال نجوى لتنتهى إتصاله، على الرغم من لهفتها لمعرفة أخبارها، تجمدت الكلمات على شفتها و كأنها مربوطة فى حلقتها، هل كانت تحت تأثير صدمة ما قاله أسامة؟ أم لازال حديث زوجها يؤثر عليها؟ أم مواجهة نجوى نفسها كانت صعبة.

بضع ثوان مرت دون كلمة من أحد، قطعتها نجوى قائلة:

«أمى..»، إختقت كاميليا بالدموع بعدما سمعت تلك الكلمة، كانت نبرة الصوت فى حد ذاتها يقشعر لها البدن، وبصوت مخنق أجابتها قائلة:

«نجوى.. كي..ف..كيف حالك؟»، فور ما سمعت نجوى صوتها بكت بصوت خفيف وكادت الكلمات تغرق فى بحر الدموع لكنها أنقذت البعض منها كي تجيبها قائلة:

«لم أستطع الرد على إتصالاتك المتتالية، سامحيني أرجوك فالعنة هنا كثيرة، و عين واحدة لا تكفى لغيث لا يتوقف،

واليوم فقط رأيت الطريق و كان لا بد من التحدث لأبي».

نظر إلى كاميليا فى تعجب، كانت كلماتها مبهمة تحمل ضباب كثيف يحجب رؤية المعنى، ربما ذلك الأمر طبيعى فى حالتها تلك فما تمر به ليس بالقليل، لكنه تكلم قائلاً:

«ابنتى الجميلة.. المنزل مظلم جداً بدونك، على الرغم من صدى ضحكاتك التى تملئ كل زاوية و كل قطعة أثاث، لكن أنا غاضب جداً لأنك تركت المشفى الآن، ك...»  
قاطعته و هى لازالت تبكى و صوتها واهن تقول:

«كان يجب أن أذهب، كيف سنرى الطريق يا أبى من خلف الأبواب المغلقة، ما بين اللون الأبيض المحيط بى بالمشفى والذى لا يتناسب مع الظلام الساكن بروحي، كان يجب أن أذهب»،  
لم يفهم إبراهيم ما تقول و لكنه شعر بشئ تخفيه بداخلها و لا تود الإفصاح عنه، حاول التكلم لكنها قاطعته و هى تكمل:  
«الآن فقط أفهم ما بداخلك، حجم المعاناة التى تحملها داخلك و التى عايشتها معك لسنوات طويلة، لكنى لست مثلك يا أبى»، لكنه هنا صرخ بها قائلاً:

«نجوى.. ما الذى تحاولين قوله؟ لماذا أشعر أن حديثك هذا يخفى شئاً أخشاه؟»، بكت بشدة و صوتها لازالت يضعف و يضعف فقالت:

«أنا فتاة بسيطة حاملة، لست مثلك فى الشخصية و لا قوة التحمل و لا مواجهة العجز، لم أتحمل فقط النظر لوجهي مرة و ل...»، صرخت بها كاميليا و شعرت بنفس شعور إبراهيم، قالت:



## الفصل الرابع عشر

ماتت نجوى..

لتموت روح الشباب تحت دعس الاغتصاب.. والبلطجة، غاب الأمان وتفشى الظلم ليصطاد كل يوم من على الطريق روح بريئة، لم تكن نجوى الأولى وربما ليست الأخيرة، وتبقى آفة المعاناة تأكل من عشبي فتبكي العذارى وتتوح الثكالى بين أطلال الذكريات. مشهد مهيب من أمام قبر نجوى، لم تقتصر الجنازة على الأهل والأقارب والأصدقاء فقط، من يعرفها من قريب أو من بعيد، بائع الخبز المجاور لبيتها حضر ليودع إبتسامتها الصباحية، بائعة الخضروات التى كانت تُحضر لها أدوية السكرى، كل من يحمل لها ذكرى كلمة، مداعبة، ابتسامه، عطف، حضروا جميعا للوداع الأخير.. عدا إبراهيم.

زادت حالته النفسية سوء، صدى كلمات نجوى الأخيرة كان يهتك غشاء أذنيه لتحمل داخل رحمها نطفة الذنب، لم يقتصر الأمر على شعوره بالذنب بتعرضها لإغتصاب وتشوه، لكنها إختارت الحق فى الانتحار، لأنها روح بريئة ضعيفة غير قادرة على مواجهة ذلات اللسان، لن تتحمل أطفال الشوارع وهم يبتثوا عليها الكلمات سخريه منها، لن تستطيع صبراً على إichاءات المحيطين بها أنها تعرضت للاغتصاب، فهربت لعالم آخر لا يرى فيه الأرواح عجز بعضهم، ولا يتحدثوا عنك أمامك



---

«سامحوني جميعاً.. لقد انتهيت حياتي فى تلك الليلة ،  
سامحوني و تذكرنى بالدعاء».

كان المشهد صادم ، فسالت عيناه بالدموع دون أن يشعر  
وسط صراخ أمها و أخواتها الصغار وبعض الجيران ، وبعد دقائق  
وصلت سيارة الإسعاف ليحملها المسعفون إلى السيارة ، كل هذا  
دون أن يتحرك خطوة واحدة و لم ينتبه حتى الآن أنه يبكى.

بعد مرور عدة دقائق انتبه أنه وحيداً بالمنزل ، فخرج مسرعاً  
صوب المشفى ، كان على أمل و هو يجرى بسيارته مسرعاً أنها  
ستكون بخير ويسعفها المسعفون ، و ما إن وصل حتى إرتجل  
وركض مسرعاً لداخل المشفى ، حتى وصلت عيناه لذلك الجمع  
حيث ميز منه والدتها و هى تقف أمام الطبيب ثم صرخت بإسمها  
و غابت عن الوعى وسط صراخ المرافقين ، هنا فقط.. عند تلك  
النقطة أصبح الخط مستقيم لتتوقف إشارة الأمل و ينقطع حبل  
التمنى ليجتثوا على الأرض.

انتشلته كاميليا من بحر الذكريات و هى تسأله :

«جورج..ماذا حدث؟ هل أنت بخير؟» ، أوماً برأسه لها بالإيجاب  
ونظر صوب قبر نجوى دون أن يخبرها أين كان بالذكريات  
فهى لا تعرف أنه ذهب لها ، ثم نظر إليها وهو يقول :

«لقد ذهبت بعيداً بعض الشيء ، و كنت أسأل نفسي سؤال  
حينما ناديتنى ، كيف سيمر علينا قطار إبراهيم؟!» ، نظرت إلى  
نفس القبر و تقول فى حالة انكسار :

«إنه أسرع قطار سيمر عليّ ، ستكون نهايتي على قضبانه» ،

لم يفهم جورج ما قالتها في حين إلتفتت صوب باب الخروج بعد أن ألتقت على نجوى وداعها الأخير.. وانصرفاً.



استقبل الإعلامي المشهور صديقه المحامي المعروف أسامة بحفاوة، ثم جلساً للتشاور حول موضوع الحلقة التي ستطلق مباشرةً بعد قليل، لقد كانت تلك خطته من البداية أن يستعمل الإعلام في سبيل تحقيق ما يريد، كان يعلم جيداً مدى صعوبة ما يصبو له، و على الرغم من ذلك كان الدافع للفوز به قوى.. جرح ينزف منذ زمن.

أحضر أحد العاملين بالمكتب القهوة لهما، و قبل أن يرشف رشفته الأولى قال الإعلامي له:

«هذا الموضوع شائك جداً و سوف يسبب جدل واسع بالشارع، على الرغم من كل ذلك قبلت التحدي فأنت تعرفني منذ زمن، صائد الأحداث، لكن عليك أن تتنبه فضيوفي اليوم لن يدعوك تعبر في سلام»، ثم ضحك بعد تلك الجملة و أخذ يرشف في قهوته و هو ينظر لأسامة الذي قال:

«بالعكس فهذا لا يقلقني، و ربما دافع جيد فأنت تعلم أنا من هواة المعارك المتكافأة و لا أهوى منافسة نفسي، أعدك بأنها ستكون مناظرة قوية تليق بك»، ثم ابتسم و أكمل قهوته و بعدها التقطت هاتفه محاولاً الاتصال بكاميليا لكن دون رد. توجهها بعد ذلك لموقع التصوير حيث اجتمع بالضيوف، أولهما طبيب متخصص بجراحات المخ والأعصاب والعمود

---

الفقرى، والثانى أحد شيوخ و علماء الأزهر الشريف، والثالث نائب و عضو لجنة الدستور والتشريع بالبرلمان، تبادل الضيوف التحية قبل أن يقترب منه الشيخ قائلاً:

«هل أنت مدرك لوضع ما تطلب؟ على ما أظن أنك على دراية لفقة الشريعة فى بلادنا، لكن نلتقى بعد قليل»، ابتسم له مع إيماءة خفيفة برأسه و كأنه يقول أوافق على التحدى، فتركه الشيخ و ذهب لمقعده دون أن ينظر له.

جلس كل الضيوف فى أماكنهم بعد الترحيب و تحدث معهم الإعلامى عن الحلقة و بعض الكلمات التى كانت تحمل معنى تهدأت الأعصاب أمام الشاشة لكن دون أن يشير لذلك مباشرة، و بعد أن إنتهى من ذلك أبلغه مُعد البرنامج أنه سينتقل على الهواء بعد لحظات.

بالفعل بدأت الحلقة مع ترحيب الإعلامى بالمتابعين و تقديم السادة الضيوف، ثم إستهل بمقدمة عن موضوع البرنامج تحدث فيها عن معنى موت الرحمة و قال:

«ربما يجهل الكثير من المتابعين عن ماهية هذا المصطلح، و يظن البعض أن اليوتيجيا أو الموت الرحيم هو لفظ حديث ظهر مؤخراً، لكن تم الإشارة لهذا المصطلح فى العصر اليونانى، حيث أشار المؤرخ سوطونيوس الذى وصف كيف مات الإمبراطور أوغسطس بسرعة وبدون معاناة فى أحضان زوجته ليفيا، مما حقق «الموت الرحيم» الذى كان يرغب فيه<sup>(١)</sup>».

---

(١) المصدر/ويكيبيديا.

ثم نظر إلى ضيفه الطبيب و سأله :

«ما هو الموت الرحيم طبيياً؟»، بدأ الطبيب بالترحيب بالمتابعين والضيوف أيضاً ثم إستطرد قائلاً :

«هو فعل أو ممارسة تُؤدى للحد من آلام الأشخاص الذين يعانون من مرض مؤلم وغير قابل للشفاء، أو عجز في الجسد، و تم تصنيفه إلى ثلاثة أنواع الشائع منها نوعان وهما الطوعى والغير طوعى، فالنوع الأول يتم بناء على طلب المريض و تم الاعتراف بهذا النوع فى بعض البلدان مثل بلجيكا، لوكسمبورج، هولندا، سويسرا، بعض ولايات الولايات المتحدة مثل أوريجون وواشنطن، أما الغير طوعى وهو بعدم موافقة المريض، حيث عدم أهليته للقرار سواء كان غائب عن الوعى أو غير مسئول عن قراراته، والغائب عن الوعى يكون فى حالة موت الدماغ، والغير مسئول عن قراره مثل حالات الإعاقة الذهنية التى تسبب خطر على المجتمع».

انتقل الحديث بعد أن أوضح الطبيب ماهية المصطلح من وجهة نظر طبية بإستفاضة إلى الشيخ للتحدث عن رأى الدين حول تلك النقطة، فبعد التحية والترحيب كمن سبقوه، قال :

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَلَا تَقْنُؤُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَنَعَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ، كما قال عز وجل فى محكم آياته، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ صدق الله العظيم.

إن قتل النفس سواء كان بواسطة الشخص نفسه زاهقاً

لروحه أو بطلب ذلك من أحد المحيطين به سواء كان طيباً أو صديقاً وغيرهم هو سواء، وهو ما يُسمى بالانتحار، فالانتحار في الإسلام هو قتل الشخص نفسه عمداً، ويعد جريمة ومعصية يأثم فاعله، وهو حرام اتفاقاً، قال الله تعالى: "ولا تقتلوا أنفسكم". إن النفس هي ملك لله عز وجل، وتلك الحياة هي هبة الله للإنسان، فليس له أن يستعجل الموت بإزهاق الروح؛ لأن ذلك تدخل فيما لا يملك، وتعاليم الدين الإسلامي تؤكد على أن الإنسان في الحياة يعيش مرحلة عابرة، وأن الحياة الحقيقية هي الحياة الآخرة التي يجازي فيها الإنسان يوم يقوم الناس لرب العالمين، وأن هذه الحياة فترة اختبار أي: دار امتحان وابتلاء يختبر بها الخالق عبده، وعليه التسليم لأمر الله وقدره، وعدم الجزع، ولا اليأس من رحمة الله. وفي الحديث عن ثابت الضحاك قال، قال رسول الله ﷺ: ومن قتل نفسه بشيء عذب به في نار جهنم<sup>(١)</sup>، قال ابن حجر: ويؤخذ منه أن جناية الإنسان على نفسه كجنايته على غيره في الإثم لأن نفسه ليست ملكاً له مطلقاً، بل هي لله.

وما إن انتهى الشيخ من كلماته حتى نظر إليه أسامة والذي كان يتحين الفرصة ليبدأ كلامه، كانت تلك المناظرة مختلفة عن مرافعاته بالمحكمة، فهناك القانون يناظر القانون، لكن هنا المعركة بين عدة أطراف مختلفة و كل محارب يحمل عتق

(١) المصدر /فتح الباري شرح صحيح البخاري حديث رقم: (٦٢٧٧)، ص:

الدفاع عن لواءه، وفي هذه اللحظة أعطى الإعلامى الحق لأسامة كى يبدأ حديث، و كما فعله سابقوه فعل، ثم قال:

«تعقيباً على ما قاله فضيلة الشيخ، الكثير من الدول وعلى رأسهم فرنسا تفصل ما بين الحق فى الانتحار والحق فى موت رحيم، فهذا شق وهذا آخر، حيث أقرت أن لا حق للإنسان فى الانتحار فهو مُحرم سماوياً و مُجرم قانونياً فى حالة فشل الشخص فى قتل نفسه فيحاكم بعقوبة قتل نفس، و تلك النقطة حاضرة بجميع القوانين وليست الفرنسية وحدها.

لكن هناك حالات يعجز عنها الطب كما ذكر ضيفنا الطبيب كحالات موت الدماغ، المريض فى هذه الحالة ميت بعد توقف وظيفة المخ، و طبياً موت المخ الكامل هو موت الإنسان بالتبعية فلا أمل بعودته للحياة، بعض الحالات تبقى مُعلقة على الأجهزة مما يستنزف أموال و يُهدر أماكن لعلاج حالات أخرى فى حين أن الشخص ميت و بهذا يُعذب بعدم فصله عن تلك الأجهزة كى يموت و يُدفن، و قد تناول بعض المشايخ تلك النقطة أنه من الجائز و تحت إشراف و موافقة الطبيب المعالج نزع الأجهزة عن المريض فى مثل هذه الأحوال بشرط أن يكون فعلاً المخ قد مات تماماً و لا أمل فى عودته للحياة، لماذا تناولنا تلك الحالة وحدها و هناك العديد من الحالات المقاربة لها مثل أورام المخ و حالات العجز التام والغير مأمول بعلاجها كما فى حالة موكلى؟ لماذا نُعذب هؤلاء و لا نمنحهم الراحة؟ لماذا نُهدر أموال فى علاج؟ و أماكن ربما تفيد آخرين فى حين أن عودتهم لا رجاء منها.

و لدى تعقيب آخبر لفضيلة الشيخ الفاضل ، قال النووى إن من قتل نفسه أو ارتكب معصية غيرها ومات من غير توبة فليس بكافر ، ولا يقطع له بالنار ، بل هو في حكم المشيئة ، رواه مسلم فى صحيحه ، ونحن لم ندخل فى علم الغيب ولا نعلم ما هى عاقبة قاتل نفسه طالما أنه لم يكفر و لكنه على معصية حتى مشيئة خالقه ، لماذا لا تتركه لربه؟.

نظر له الشيخ فى تحد شديد و على وجهه ظهرت علامات الحنق من جملة الأخيرة وقال:

«الروح هى أمانة الله ، هو من منحك إياها و هو وحده صاحب القرار بذلك ، و بالفعل و كما ورد بالحديث أن المنتحر غير بكافر حيث أن الكفر هو الشرك بالله و إنكار وجوده بعبادة غيره أو يُلحد ، و لكن المنتحر فى مشيئة الله ، و عليه عذاب جهنم ، يفضله الله أو لا تلك فى المشيئة و لا علم لمخلوق بغير ، لكنه و بكل الأحوال سينال عقابه من الله بالنار ، و رجوعاً لما ذكرتم عن الحالات المرضية ، من أنت لتحكم عن ذلك و لا يعلم الغيب إلا الله؟ هل الله ليس بقادر على أن يشفى عباده؟ مهما كان بهم من مرض؟! و كما استهللت حديثى فى البداية بقول الله عز و جل ، بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ صدق الله العظيم.

ما أوتيتهم من العلم إلا قليلاً ، العلم عند الخالق هو من يعلمه لخالقه ، و عجائب و صنع الله تدل على ذلك ، فهو خالق الكون و من على الكون ، هو من يُحييكم و يميتكم و إليه ترجع ، فمن يحيى

العظام و هي رميم ليس بقادر على شفاء عباده؟ حاشى لله».

شَعَرَ أسامة أن الشيخ قد وضعه فى زاوية الحلبة وانقض عليه بالضربات ولا يجد منه مناص، فلم يعقب على ما قال وأخذ يفكر فى هجوم عكسي، وهنا حان دور النائب فى الحديث، وبالفعل و بعد التحية تحدث قائلاً:

«طبقاً للمادة الثانية من الدستور المصرى والتى تنص على:

«الإسلام دين الدولة، واللغة العربية لغتها الرسمية، ومبادئ

الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع».

لن أُطيل عليكم و أستخدم الخطب الرنانة، لكن بموجب هذه المادة فإن الجهة الموكل لها بالفصل فى تلك المسألة الفقهية والتى تخص الدين هو مجمع الفقهاء، ويتم تمرير قرارها للمحكمة الدستورية للإقرار، و كما هو معلوم أن قرارات المحكمة الدستورية نهائية لا طعن لها ولا يجوز إعادة النظر فيها مرة أخرى، كما أن نصوص القانون خالية من بند صريح بخصوص مسألة موت الرحمة، و لا أظن أن مجمع الفقهاء أو القانون سيسمح بجواز ذلك الطلب كحق للمواطن».

فى هذه اللحظة كان هناك ضيف على هاتف البرنامج يريد

أن يُجرى مداخلة، فأجابه الإعلامى بالترحيب ثم قال:

«ما هو رأيكم بموضوع الحوار و كيف ترى طلب الموت

الرحيم؟»، أجابه المتصل بعد التحية:

«سيدي.. أنا لن أعقب على الموضوع دينيا ولا قانونيا لأننى

مواطن بسيط، لكن سأحدث عن النظرة الإنسانية، لماذا نترك

المريض يعانى لشهور و ربما سنوات و ينفق ما لديه دون أمل، هل هذه رحمة الله؟ نحن نطلب سن قانون يمنحه الحق و لا يعتبره منتحر أو على معصيه، و مثال بسيط عقوبة الإعدام، كثيراً ما يتم إعدام شخص برئ بدون وجه حق فقط لأنه كان متواجد بموقع حادث بتوقيت خاطئ، و أدانته الأدلة على الرغم من أنه ليس الفاعل، و لكن نصوص القانون الغير رحيمة تُنتهى حياته و ربما بعد موته تظهر الحقيقة و يُعدم شخص برئ، إن أراد الله أن ينجيه أَلن يفعل؟ لماذا نترك قانون كقانون الإعدام و فيه شك بقتل نفس بغير حق، و لا نعامل المريض الغير مشكوك فى شفاءه طبياً بشيء فى علم الغيب ربما لن يحدث؟ أعتذر جداً عن الإطالة و أشكركم».

ما إن أنهى المُتصل حديثه حتى لمعت عينا أسامة، فقد أضاف هذا الرجل نقطة جديدة بخصوص الإعدام و لماذا نقوم بإعدام شخص ربما يكون بريئاً و نتكر مريض يعانى بدون موت؟ لماذا لا نسن قانون يعامل المريض كالجانى بالإعدام مثلاً.

أسرع بالتقاط الكلمات من فم المتصل ليضعها فى فوهة لسانه و إستعد لإطلاقها قائلاً:

«سؤال وجيه.. المريض لم يطلب الانتحار و لكنه يريد قانون يعامله بشفقه و ينهى حياته بطريقة شرعية، كثيراً ما يُظلم أشخاص بقانون الإعدام هذا و يعتبر قتل خاطئ بعد ظهور البراءة، أليس هذا قتل بغير حق؟ المريض يطلب موت رحيم و..»  
قاطعته الشيخ بعصبية قائلاً:

«عن أى رحمة تتحدث أنت؟ إنه انتحار و أنت تريد أن تلبسه



وحيثما حاول تمرير الكلمة لضيف آخر، ورده اتصال هاتفي، فطلب من ضيوفه إستقبال المكالمة، أجاب على المتصل بعد التحية فسأله عن اسمه لكنه لم يجب فكرر سؤاله وهنا كان الرد:

«لقد ماتت نجوى..»

تغيرت ملامح وجه أسامة بمزيج غير مفهوم، لقد كان المتصل إبراهيم الذي طلب من الممرضة إجراء الاتصال وتساعده قبل رجوع زوجته، لكن امتزج شعور أسامة ببعض الصدمة مما قال، لقد شعر بخوف شديد على كاميليا، هنا قال الإعلامي:  
«عفوا.. لم أفهم»، رد عليه إبراهيم قائلاً:

«ماتت نجوى.. لالا.. انتحرت نجوى بعدما ماتت، لالا.. إنتحرت بعدما قُتلت، هذا الوصف أفضل»، حاول الإعلامي معرفة من المتصل لكن قبل أن يسأل أشاره له أسامة أن يصمت، فأكمل حديثه قائلاً:  
«كانت شابة جميلة و هادئة، كثيرة الضحك و تبعث الأمل فيمن حولها، إنتهت حياتها بعدما إغتصبها حيوان، و لم يكتفى بذلك بل شوه وجهها تماما و فقدت بالتالي عيناها، تم إغتصابها أمامي، تم التنكيل بها أمامي، تشوه وجهها أمامي، و لم أساعدها، أتدرون لماذا؟».

هنا صرخ إبراهيم قائلاً في نبرة إقشعر بها جسد الحضور:  
«لأنى عاجز لا أتحرك، سنوات طويلة على مقعد متحرك لا قدم و لا ذراع، رأيت ابنتى أمامى هكذا و لم أتحرك، رأيت زوجتى تُضرب أمامى بنفس اللحظة و لم أتحرك، والقانون حتى

الآن لم يتحرك، و لن يتحرك، و إن تحرك؛ هل سيعيد لي نجوى؟ هل سيمنحني قدما و ذراع لأدافع عن زوجتي بالمرّة القادمة؟ أم نكتفى بجلوسنا فى المنزل خوفاً من الخارج؟ من سيدااااافع عن زوجتى؟.

صحيح لم أتحدث عنها، إنها تلك السيدة التى عاشت معى إحدى عشرة عام تخدم ذلك العاجز، ذلك الرجل الذى يقضى حاجته فى ثيابه أثناء نومه و لم يعد يخجل من زوجته و هى تبدل له تلك الثياب المتسخة كل صباح، لم يعد يخجل لأن الجحل قد ثقب قلبه و أعمى عينه حتى كلمة الشكر لا تريدها»

هنا انهار إبراهيم وهو يصرخ قائلاً:

«هذه السيدة لو تركتني واختارها الله الآن، كيف سأعيبىيش؟ من سيكون معي؟ لن يتحرك منكم أحد، لن يتذكرني أحد، لن يكثر بحالى أحد لأن لكل منكم عالمه و حياته فلماذا لا تتركوني أذهب؟.

زوجتى و كانت نجوى و صديقين، تلك هى عائلتي و رحل عنها منذ فترة سمير، لم أعرفكم به حتى الآن، ابن أخى الذى إخترت له طريقه و أصبح ضابط بالجيش يخدم وطنه مثلما خدمت أنا و طنى، إخترت له طريقه و لم أدرك أننى إخترت له موته»، تحشرجت الكلمات فى حلقه من شدة بكائه و الجميع نكسوا رؤوسهم فأكمل وهو يصرخ:

«خدمنا الوطن و اليوم الوطن لا يريد أن يخدمنا مننني، لا يريد أن يمنحني سبيل لإيقاف معاناتي، أنتم تختلفوا حول المُسمى، موت



عليها ما حدث ومكالمة العقيد الهاتفية، فنظرت له وهي تقول:  
«لما اذا فعلت ذلك؟ لن تنتهي من هذا إلا عند وصولك لما  
تريد، حسنا يا إبراهيم.. ماذا تريد الآن؟ هل تريد مني مداخلة  
لأقول لهم ساعدوه على الموت؟».

كف عن البكاء فجأة ونظر لها وهو يقول:

«أنت الوحيدة التي إن انشقت الأرض و أنقلبت السماء لن تنفذ  
لي هذا الطلب»، أجلسته على الفراش ونهضت ثم تحركت  
بضع خطوات وفجأة توقفت ونظرت للخلف صوبه ثم قالت:

يكفيني اليوم جنازة نجوى، وسنتحدث عن ما تريد لاحقاً،  
وقبل أن تغادر عاد البث المباشر ورحب الإعلامى بضيوفه مرة  
أخرى، جلس جورج على المقعد وعادت هي تجلس بالقرب من  
التلفاز، بدأ الشيخ يتحدث عن المكالمة التي سبقت الفاصل،  
فأوضح أن المتصل يحاول التأثير على رأى العام بما يقول، ولا  
يدرى أن الأمر هنا يخص الدين والتشريع والقوانين أكثر من  
العواطف والإنسانيات، سمع جورج ما قاله فنظر لإبراهيم وقال:

«من الأفضل أن تغلق التلفاز يا إبراهيم، حالتك النفسية لا  
تتحمل ذلك»، لم يعير ما قاله اهتمام وأكمل النظر للشاشة،  
وكذلك فعلت كاميليا، حين استكمل الضيوف محاضرة  
أسامة والذي إمتلك دفع قوية بكلمات إبراهيم ومن خلال  
المناظرة والتي تحولت لجدل و هرج واسع، دليل أن كلماته  
المُجعة كان لها تأثير كبير على نفوسهم، وبعد مرور ما يقارب  
الساعة دون أن يتحدث أحد، أنهى الإعلامى الحلقة فنهض جورج

من مقعده ليغلق التلفاز ، ثم عاد لينظر له و قال :

«هل ما حدث الآن جيد بالنسبة لك؟ هل حالتك النفسية بخير الآن بعد كل ما سمعت؟ لماذا تحرق نفسك بهذه القسوة»، صرخ و هو يقول له :

«لأننى بالفعل أحترق و كل ما يحدث من حولي يزيد إحترافي ، كل من حولي ينتهى و أنا أنظر لهم ، لقد قتلت شخصين ، و لن أغفر لنفسى هذا ، لم أودع نجوى حتى ، لماذااااا؟ كيف يودع القاتل ضحيته و ينوح خلفها؟ أنا لا أستحق محبتها و لا أستحق أبوتها و لاااا...»

قاطعته كاميليا و هى تنظر له فى تحد صارخ قائلة :

«هذا ما تظن؟ أنت الآن قاتل لسمير و نجوى ؟ ألم أساعدك بذلك أيضا؟ أم أنا ضحية مثلهما؟»، حاول أن يقاطعها لكنها صرخت قائلة :

«لاالا.. لا تتلق بشيء فما ستقوله غير صحيح ، دعني أنا أكمل كلمتي وأذهب ، أنت لست الشيطان الوحيد ، أها صحيح تذكرت أن أسامة و جورج والمغفور لها نجوى وافقوا على دعمك فى طلبك ، هل جميعكم شياطين وأنا الملاك؟ أنا مثلكم تماماً وهنا قررت الآتى». فهم إبراهيم ما تنوى أن تقول و حاول أن يسد أذنه لأنه لن يصدق ذلك لكنه لم يستطع حين أكملت بنفس اللهجة قائلة و هى تقترب منه :

«أناا معك فى قرارك ، سأدعمك فى رحلتك نحو موت رحيم» وانفجرت الكلمة فى وجه الجميع..

## الفصل الخامس عشر

طعم الخسارة مر لا يطاق، هل جربت مرة حليب الصبار؟  
ذلك الطعم لا يفارق قلبك خاصة إن كانت تلك المعركة  
هى الأهم بحياتك، من الصعب فى البداية أن تتقبل الهزيمة،  
وتظل تفكر كيف تخرج من فم الخياط بالمخيط ربما لتطريز  
ذلك القطع بروحك، أو لتسج ثوب جديد لتخوض به جولة أخرى  
بالمعركة، و تبقى الحياة داخل ما بين كرو وفر، ما بين حليب  
الإبل و حليب الصبار.

كان أسامة يجلس خلف مكتبه و كالعادة يمسك بأحد  
سجائره، لكنه اليوم يأكلها فى نهم شديد كالجائع، لقد  
كان ينتظر قرار المحكمة وهذا يشعره بالقلق الشديد،  
فاليوم نتيجة الجولة الثانية بمعركة حياته، لقد مرت عدة أيام  
على الحوار التلفزيونى و منذ ذلك الحين والشارع كالجمر ما  
بين مؤيد لأسامة و معارض للقضية، ما بين متعاطف مع إبراهيم  
وبين منتهك لشخصيته، و شبكات التواصل الإجتماعى إلتهبت  
بنيران المؤيدين والمعارضين ليظهر على الساحة الكثير من  
القضايا المشابهة والأكثر تأزما عن حالة إبراهيم، مما أثار قلق  
أسامة بشأن القرار.

نهض أسامة متجها صوب نافذة مكتبه، وقف يتابع السيارات  
المسرعة بالشارع فى حسد، و لسان حاله يقول تقطع الطرقات

---

بسرعة وأنا أجلس هنا فى جحيم الإنتظار، تناقل نظره ما بين النافذة و ساعة يده والعامل المشترك دخان سجائره.

أخيراً.. قُطِعَ الإنتظار بدقات الباب، فأعطى الطارق الإذن بالدخول دون أن ينظر له، لقد كان أحمد، الذى وقف مكانه بعد أن أغلق الباب وقال:

«سيدى.. لقد رفضت المحكمة الدعوى».

هذه الكلمات كانت كفيله بتهشيم أحلامه و إعلان خسارته للمرة الثانية، لكنه تمالك نفسه والتفت فى هدوء وتوجه نحوه ليلتقط الأوراق التى بيده، ثم ذهب فى بطاء إلى مقعده و هو يتصفح الأوراق، ثم جلس و هو يقول:

«طبقاً للمادة الثانية للدستور والتى تنص أن القانون المصرى قائم على الشريعة الإسلامية، و أن كل البنود التى تخص الدين والشريعة تكون خاضعة لقرار مجمع الفقهاء، وبعد النظر فى ملف القضية والإطلاع، و تحويله لمجمع الفقهاء ولجنة التشريع بالبرلمان للفصل، و قد كان قرار اللجنة بعدم قبول تعديل مواد الدستور والسماح بتوقيع موت الرحمة على المرضى، و عليه.. تم رفض الدعوى كلياً على أن يتم نشر القرار بالجريدة الرسمية خلال خمسة عشر يوماً من تاريخه..»

تابعه أحمد فى صمت ثم اقترب بعدما أنهى قراءة ما بيده وجلس أمامه قائلاً:

«هل كان للحوار التليفزيونى هذا التأثير السلبى؟»

نظر إليه أسامة وهو يقول:

«كان هدفي من هذا الضغط على صناع القرار لا على الشعب، لم أحسب لتلك الضجة وظهور حالات كثيرة جداً تطالب بذلك وحالة الانفلات المصاحبة، كما قلت لك من قبل، التواصل الإجتماعي في دول أخرى يفيد، في بلادنا سلاح ذو حدين وها هو يضع معركتي الأخيرة على خط النار حتى انتهت بالخسارة».

ثم التقطت كوب الماء من أمامه وأخذ ينظر له وفجأة صرخ وهو يلقي الكوب تجاه الحائط المقابل له فأرتطم به في قوة ليتحطم كلياً وسط ذهول مساعده وقال:

«لم تنتهي تلك المعركة يا ابراهيم، لم تنتهي وسأكمل طريقي.. مهما كلفني ذلك»، ثم نهض مسرعاً ليركض خارج المكتب.

وصل إلى سيارته وما إن ركب حتى إلتقطت هاتفه قبل أن ينطلق متصلاً بكاميليا، فأخبرها أنه يريد رؤية إبراهيم فقالت له إنه في الانتظار، أغلق الهاتف ليدير محرك السيارة.. وينطلق. دقائق و كان بالفعل أمام إبراهيم، الذي قال له:

«وجهك أخبرني بما تريد أن تقول، لقد تم رفض الدعوى.. أليس كذلك؟».

جلس على المقعد المجاور له ثم قال:

«ستكون هناك محاولة قادمة قر...»، قاطعه إبراهيم في هدوء قائلاً:

«لا داعي لذلك.. الطريق أصبح مسدوداً، لقد نسيت أني

---

بمجتمع شرقى، شريعة إسلامية، قوانين باهتة عقيمة، لا وجود  
لحرية الأفراد، لا تتعب حالك فى الجدل معهم فالقانون المصرى  
لن يتبدل لعاجز مثلي، ولن يمنح عقيد خدم وطنه ما يطلب، لن  
تتبدل الصورة و يكفينا المحاولة».

نهض أسامة من مقعده و هو ينظر له فى ذهول قائلاً:

«و لماذا طلبت ذلك من البداية؟ ألم تكن تفكر بذلك؟ هل  
رأيت تلك الحقائق بعد ما أظهرت عجزك للجمهور؟ هل عاد لك  
عقلك الآن؟».

هنا قاطعته كاميليا التى دخلت عليهما بعدما ارتفع صوته  
فقالت:

«لا داعى لترفع صوتك فأنا أعرف جيداً معنى الخسارة لديك»،  
إلتفت إليها و هى تنطق تلك الجملة حيث لم تنتظر له حتى، فقد  
كانت تحمل كوب من الماء لزوجها و تسير بخطوات ثابتة  
نحوه، فزاد ما قالت من غضبه فقال:

«لن أخسر يا كاميليا ل..»، قاطعه إبراهيم بصوت عالٍ يقول:  
«كفى.. لقد إنتهى الأمر و خسرت تلك المعركة، إن كنت  
تبحث عن نصر آخر فحاول البحث عنه بطريقة أكثر نفعاً،  
لكن وجب عليّ الشكر لما قدمت لي.. طيلة المعركة».

نظر أسامة صوب كاميليا بعين تكاد تغادر مكانها ثم  
إليه، و قال:

«لا شكر على واجب، لقد كنت أقوم بعملى، اسمح لي  
سأنصرف»، أوماً له برأسه بالسماح له، ثم تبعته كاميليا

لتودعه، و حينما وصل إلى الباب قال لها:

«كل يوم أموت عن سابقه بكلمة منك، و لا أدري متى ستنتهي تلك المعاناة»، ثم التفت ليذهب قبل أن تقاطعه قائلة:  
«ستنتهي حينما أموت».

صُعب مما قالت و نظر لها مرة أخرى دون أن يتكلم ثم ركض مسرعاً صوب سيارته، فأغلقت الباب و عادت لزوجها الذى قال:  
«لم يستطع تحقيق الفوز الذى أراد، لم يسألنى أحد لماذا اخترت أسامة ليكون المحامى الخاص بي و لماذا أوكلته تلك القضية تحديداً؟»، جلست إلى جواره و نظرت له حيث أكمل:  
«لأنى أعلم جيداً أنه يتمنى موتى حتى يفوز بك ليستعيد ما يتخيل أنه حقه، ياله من مسكين»، ثم ضحك و هو ينظر لأعلى، و فجأة توقف عن الضحك و سألها:

«هل من الممكن أن تتزوجي أسامة بعد موتي؟».

صعبها ذلك السؤال لكنها جاوبت فى تحد سافر قائلة:

«أصبحت تشكك فى كل شىء، لكن كن مطمئن، لن يكون بحياتى رجل غيرك، إن ذهبت وحدك»، كانت كلمتها الأخيرة لاذعة مثيرة للقلق، فسألها:

«ماذا تعنى هذه الجملة الأخيرة؟»، ابتسمت و هى تقول:

«لا تخف أنا لا أنوى الانتحار بعدك، لكن لن أستطيع تحمّل العيش دونك»، ثم التفت لتخرج من الغرفة حتى لا يسألها مرة أخرى، لكنها كانت على وشك الانهيار والدموع تكاد تغلى على جفنيها، لكنه قال:

«كاميليا.. أريد أن أتحدث مع جورج الليلة، تحدثى معه ليحضر»، أو مات برأسها دون كلمة و حتى دون أن تنظر حتى لا يفتضح أمرها.. فقد انفجر بئر الدمع من عينها.



أعلنت الساعة الثامنة مساءً و فى نفس اللحظة مع دقائق الساعة كان الباب يدق ليعلن عن وصول جورج، توجهت كاميليا لتستقبله، رحبت به و دعتة للدخول، لكنه توقف قبل أن يدخل بعدما نظر إليها، كانت تلتفت لتدخل لكنه أمسك ذراعها لتقف فنظرت له و هو يقول:

«وجهك شاحب جدا و مُتعب، هل تتناول الأدوية بانتظام؟»  
بابتسامة منهكة تحمل من الحزن أكثر من الرضا، ظاهرياً  
إبتسامة و لكنها كانت حزن يرتدى قناع زائف ليتخفى بين  
الأطلال، فأكمل و هو لازال ممسكاً يدها:

«و ماذا عنه؟ أدرك جيداً حجم المعاناة داخلك، و لكنه لازال  
حي عليك التفكير بذلك قبل أن تفعل شيئاً»، قالت له فى نبرة  
منكسرة و هى تنظر لغرفته:

«لا تقلق فأنا لن أتركه و أذهب».

ترك يدها فتقدمت المسيرة و هو من خلفها صوب غرفته،  
ثم دخلت الغرفة لتخبره بقدوم جورج، و بعدها توجهت للمطبخ  
لتحضير القهوة.

جلس جورج إلى جواره على الفراش، ثم وضع يده على كتف  
إبراهيم و قال:

«ما الذى تحمله تلك النظرة يا صديق الطفولة؟»، ابتسم فى تهكم وفى ينظر نحو باب الغرفة قائلاً:

«تلك النظرة تحمل سؤال لك، هل ستجيب عليه؟»، عقد جورج حاجبيه فى تعجب من سؤال إبراهيم قبل أن يرد عليه:

«لماذا أخفى عليك؟ اسأل».

عاد بنظره صوب جورج وهو يقول:

«ماذا تُخفى عني أنت وكاميليا؟».

ارتبك جورج من سؤاله لكنه سيطر على حاله قبل أن يفضح إبراهيم أمره وقال له:

«ماذا سنخفى يا إبراهيم؟ كيف لا تشعر بها يا هذا؟»، نظر له فى إهتمام حيث توقع أن يُخبره بما تخفيه زوجته عنه، لكنه استطرد قائلاً:

«سؤالك يثبت جهلك و موت مشاعرك، لأنك لا تُبصر كيف تحبك تلك المسكينة التى تنام تحت قدميك دون كلل، و كل ما تتمناه أن تراك بخير حتى مع إنعدام الأمل، لكنها إكتفت بك، إكتفت بتلك النظرة، و أنت تريد عبورها والذهاب! إلى جانب ما حدث لنا تلك الفترة، أليس هذا بكاف».

غضب إبراهيم من تبرير جورج الذى لا يسمن و لا يغنى من جوع، والثانى كان يتمنى أن تقنعه تلك الإجابة و لا يُصر عليه ليفتضح أمره، لكن باغته إبراهيم بلهجة حادة منخفضة حتى لا تسمع و نظرة تكاد تثقبه:

«كاميليا توافق على دعوى بقرار الموت، أليس ذلك غريب

بعض الشيء؟»، حاول جورج أن يتصنع التعجب، فقال وهو يرفع حاجبيه ويميل من على الفراش كأنه مصدوم:

«لاااا.. ما قالته ذلك اليوم لحظة غضب، لن تفعل؟»، كانت ردة فعل جورج تبدو طبيعية، حتى أن إبراهيم إعتقد أن جورج لا يخفى شيء»، فرد عليه:

«أنت لا تعرفها؟ لقد عاشت معي ما يكفى لتصبح مثلي حينما تقول شيء لا تغيره، لقد حاولت أن ألتمس لها عذرا موت نجوى وعودتها من الجنازة ذلك اليوم، وما سمعته على التلفاز أيضا، لكنه لم تعيد الأمر ولم تحاول تصحيحه، لهذا سألتك وسأسأل للمرة الأخيرة.. هل هناك ما يجب أن أعرفه؟».

نظر إليه جورج وهو يقول:

«لا يوجد شيء أخفيه، و سأسألها لكن أنا على دراية تامة أن جوابها لاا.. إن وافقت على ذلك و أنت تقر أنها تعلمت على يدك، منذ متى و أنت تترك لقراراتك حق بالمناقشة؟ ألا تتذكر يوم جنازة سمير؟ من منا كان يعلم بقرارك؟ حتى زوجتك لم تكن على دراية، لأنك ديكتاتور يا سيدي العقيد، لا تحب المركزية بالقرار و دائما ترى الأمور من زاويتك، و بعد كل ما حدث وما عايشنا، هل تظن أنها حجر؟ أليست بشر؟ من الطبيعي أن تنهار مثلما حدث لنا جميعاً، لا تتهمها عبثا فهي تعلم أنك لا تعود، قرارك كالرصاصة إن خرجت من فوهة فمك لا تعود دون إصابة.. يكفى».

حاول إبراهيم ابتلاع تلك الكلمات على الرغم من كم

الشكوك التي تأكل عقله ، فحالتها فعلاً غير مطمئنة منذ تلك الحادثة ، و من بعدها انتحار نجوى و كل شيء يتغير ، فهي حتى الآن تتفادى الصدام به ، و إن حدث بينهما حديث تتحدث بهدوء مقلق ، و تجاوبها مع طلبه للموت أيضاً مُقلق ، لكنه حاول الإستناد لما قاله ، إلى أن تظهر الحقيقة إن كان هناك شيء .

عادت كاميليا و هي تحمل القهوة ، ثم وضعتها أمام جورج ، و أمسكت بكوب من العصير لإبراهيم و جلست على الطرف الآخر من الفراش ، ثم هنا قال لجورج :

«لقد حضر أسامة لزيارتي اليوم ، و لا أشك في ذكائك لتفهم التالي» .  
 إن كنت تتوى الموت بأى حال ، و قضى الأمر في قرارك ، سأدعم من و كلته بذلك بالدعاء و لا توكل لي هذا الفعل ، ربما عندما ترى منكرًا و لا تستطيع تغييره بيدك و لا لسانك و لا حتى بقلبك أخف ذنباً من قتل نفس ، فكان جورج على علم بذلك حينما دعم أسامة بعد قرار إبراهيم و إصراره عليه ، و الآن؟؟ .  
 كان جورج يعلم أن حينما ينتهى دور أسامة سيأتى دوره ، سيطلب منه ذلك حتى مع علمه أنه لن يفعل ، لكن سيطلبها من جورج لا محالة .

رد عليه جورج و هو ينظر للأرض :

«تم رفض الدعوى كما توقعنا» ، ثم أعاد بالنظر صوب إبراهيم ليقول له بلهجة صارمة :

«لن أفعل يا إبراهيم.. لن يكون موتك على يدي» ، نظر له فى تحد و هو يقول :

«لماذا؟ هل كانت سوسن أقرب لك مني؟ أم لأنها توسلت لك مئات المرات حتى فعلت؟»، لفتت تلك الجملة إنتباه كاميليا ، فقد ألمح زوجها أن زوجة أخيه لم تُمّت بشكل طبيعي ، وأن جورج قتلها بناء على طلبها بالقتل الرحيم»، هنا نهض جورج فى غضب و صاح بإبراهيم قائلاً:

«ماذا!! تقول أنت؟ ألم تكتفى من هذيانك هذا؟ لقد إبتلعت ذلك الإتهام بماء الأخوة التى بيننا حينما قتلها بالمشفى ، و لكن لن أتركها تمر من بلعومي هذه المرة ، أنا لم أقتل سووووسن ، لم أفعل ، لا تجعلني أندم على تلك السنوات التى قضيتها كأخ لك». لم ينظر له ثم رد عليه:

«دائماً ما تؤلمنا الحقائق، تثير غضبنا ، حينما نواجه تلك الآثام التى اقترفتها أيدينا نصيح و نصرخ كذباً ، تماماً كما تفعل أنت ، لكن لا داعى لذلك فأنا سمعت ما دار بينكما تلك الليلة و هى تتوسل لك و هى النهاية قلت لها حسناً»، هنا نظر له ثم صرخ فى غضب:

«ألم تقل لها ذلك؟؟ لا داعى للكذب»، اقترب جورج منه و هو يرد عليه بغضب قائلاً:

«زوجة أخيك ماتت بالسرطان و دون تدخل مني ، صدق أو لا تصدق لن يحدث فارق عندي ، و بالفعل أنا قلت لها حسناً ، لأنها كانت تحتضر و المتبقى لها ساعات و ليس أيام طبقاً لآخر تقرير ، إنتبه لما تقول»، علت نبرة صوت إبراهيم و هو يقول له فى غضب:

«لن أصدق ما قلت، مهما حاولت لن أصدق، لقد سمعت كل شيء.. كل شيء، و لن أتوسل لك و لن أسافر للخارج لتتحقق أمنيته فأنا أريد الموت على هذا الفراش و أنت من سيفعلها».  
رد عليه في غضب زائد قائلاً:

«هل تسمع أذنك ما يقول لسانك يا هذا؟ أظن أنك لم تعد تسمع جيداً، فما تقوله هذا إتهام مباشر لي بالقتل، و سأقولها لك مرة أخرى ربما لم تسمع»، هنا صرخ إقترب جورج من وجهه و صرخ قائلاً:

«لن أأفعل، لن أأفعل»، رد عليه إبراهيم و بنفس الصوت:  
«ستفعل حتى لا أبلغ الشرطة بفتح تحقيق حول ذلك، ستفعل أو أزج بك للسجن»، كانت صدمته قوية مما سمع، هنا نطقت كاميليا قائلة:

«ماذا دهالك يا إبراهيم؟ كيف تقول ذلك؟ هل جنت؟ تقرير الطب الشرعي أوضح أنها ميتة طبيعية، ماذا دهالك».  
صرخ بها و هو يقول:

«سيفعلها و إلا سيسجن» نظر جورج لها و قال:  
«كاميليا صدقيني لم أفعل»، أجابته في حزم قائلة:  
«دون أدنى شك أنا أصدقك»، نظر لها إبراهيم و هو يصرخ:  
«لا تزيد من غضبي، لقد فعلها و سيفعلها مرة ثانية، سيفعلها!!!!!!»، واصل جورج صراخه و هو يردد لن أفعلها في حين إبراهيم يصرخ ستفعلها، و هنا صرخت كاميليا قائلة:  
«كفى... كفى لا أتحمل ذلك كفى».

---

نظر إليها الاثني عشر فقد كانت حازمة جداً وهى تصرخ فى غضب، حتى أكملت حديثها بما كان وقعه قويا كالقنبلة، فما سمعاه بعد ذلك كان من المستحيل تصديقه حينما قالت: «أن من سيفعلها..».

ساد الصمت بعد تلك الجملة لدقائق، جحظت خلالها عينا الرجلان، لم يكن أحد يتخيل و لو للحظة واحدة أن كاميليا التى تحارب منذ البداية لتوقف زوجها عن قراره أنها ستدعمه، بل والأصعب من ذلك أنها هى من تنوى قتله!

تحرك نحو المقعد المتحرك و ما إن وصلت له حتى أمسكته وقالت:

«إبراهيم.. زوجى الذى تعلمت منه كيف تكون الحياة، و ما معنى الأمل، و أحببت معه الدنيا و تمنيت معه الموت، طيلة تلك السنوات و أنا بجانبك لأن هذا واجبي تجاهك، أحببتك أكثر من حبي للحياة و لا أحتمل الحزن فى عينيك، و تلك البائسة التى تقف أمامك تعلم جيداً حجم معاناتك، إحدى عشرة عاماً قضيناها هنا فى تلك الغرفة المحاطة بالحزن، و على الرغم من ذلك الحزن المتدفق على رؤوسنا؛ إلا أننى كنت أحبك أكثر، و لم أحتمل دموعك لحظة»، ثم نظرت نحوه و هو لا زال جاحظ العينين وقالت:

«لكنك لم تحبني كما أحببتك، كنت تحب نفسك أكثر من أى شىء، لا أنكر حبك لى.. لا لا.. أنا أعلم جيداً كيف تحبني، و لكنك حتى مع ذلك الحب الذى يربط روحين ليصبحا روح واحدة، على الرغم من تلك المعاناة التى جمعتنا

والتي كان من الطبيعي أن يزداد حبك لي، كان حبك ثابت، لأن طبيعتك العسكرية طبعت على الزوج المُحب، أنت أناني يا إبراهيم، بكل قراراتك لم تشركني، كنت فقط أعلم ما تتوى، كم من مرة طلبت مني الرأي؟ حتى لو فعلت، كان لمجرد إرضائي، وحينما قررت الموت ولم تفكر لحظة أن تخبرني قبل الجمع، لم تنظر لي حتى، لأنك أناني، تخشى أن أموت، وأنا ألتمس لك العذر في ذلك ولهذا قررت أن أحمل ذلك الواجب الذي لم تستطع حتى البوح به، من الأقرب لك؟ من لديه الحق أكثر؟ هذا الواجب من حق من؟ لقد تحملت معك كل تلك المعاناة ولم أعارضك لحظة ولم أياس لحظة، أظن أنه واجبي أن أمنحك ما تريد طالما قرارك لا رجعة فيه، لأنك بكل الأحوال ستموت إذن هذا واجبي، واجب تلك المرأة التي أحبتك أكثر من نفسها، ولأنها تحبك ستساعدك على إنهاء تلك المعاناة، لأنها تحبك ستلبي آخر أمانيك، لأنها تحبك ستكمل هذا الحب حتى تجتمع بك بالعالم الآخر، لأن هذا واجب الزوجة لا واجب الصديق».

حاول جورج استيعاب ما قالت، ذلك المنطق غريب بعض الشيء، لكنه لا يدرك أن علاقات الحب والتضحية لا تتمنطق، لا يدرك أن هناك من يستطيع قتل نفسه ليهب من يحب الحياة، لا يدرك أن هناك من يقطع من جسده ليتبرع به لمن يحب، وبما أن رغبة إبراهيم نهائية، وهو جسده بموتها لن تنتهي، وخسائرهم المتتالية والمتلاحقة تزيد من خوفه، فما قررته كاميليا هو الحل الوحيد إن كان يريد الراحة.

لكنه حاول أن يناقشها فى قرارها وهو يقول بكلمات متقطعة:

«كاميليا.. ما.. ماذا ت.. ماذا تقول، ك.. كيف ذلك؟».

دون أن تنظر له أجابته فى حزم:

«لقد تعلمت من زوجي شىء هام، ما أنطق من قرار لا رجعة فيه، أنا سأمنح زوجي الراحة لأن هذا واجب الزوجة.. وواجب الحبيبة». لم يعد إبراهيم يتحمل كل ما يسمع وما يعيش، فإنفجر باكياً وهو يصرخ ويقول:

«سامحيني يا كاميليا.. بالله عليك سامحيني لقد ظلمتك وضاعت سنوات عمرك هنا، و لم أعطك من الحب ما تتمنى، أتوسل إليك سامحيني».

تحركت بسرعة صوبه و جلست على الفراش ثم احتضنته على صدرها وهو لازال ينوح بصوت عالٍ ويتوسل إليها دون توقف أن تسامحه، ثم قالت له وهى تربط على ظهره:

«لا تقول هذا ولا تتوسل لي، لأنى أحبك لم أحزن منك يوماً، ولم أغضب يوماً، لأنى أحبك سأساعدك لأننى أكثر من يعرف كم عانيت بحياتك، ولأنى أحبك، لن أدعك تنتظرني بالعالم الآخر كثيراً، أنا أعلم جيداً أنك لن تستطيع بدونى، ولا تخاف لن أنتحر.. لكن حزني على فراقك سيكون سبب موتي، لكن لا تحزن فهذا قدرنا».

نهض جورج من مكانه وهو يبكى هو الآخر، لم يعد يتحمل كل تلك المعاناة، فصرخ قائلاً:

«كفى.. ليوقظني أحد من ذلك الكابوس، أرجوووووكم  
ليوقظني أحددد».

نظرت له كاميليا وهي تقول:

«سوف تستيقظ منه حينما ينتهي، ستحزن قليلاً، لكن  
ستفرح لنهايته، لقد كنت دائماً صديق مخلص يا جورج».

جثا على ركبتيه وهو يبكي وصوت بكاءه طغى على صوت  
توسلات إبراهيم، أما كاميليا فقد نظرت للسماء ولسان حالها  
يقول:

«إغفر لي يا الله، فأنت تعلم».

وسالت عينها بالدموع.



## الفصل السادس عشر

التضحيات لراحة من تحب من أكبر دلالات الحب الحقيقي،  
فلا عجب أن يجهل صغار المحبين ذلك، ولا عجب أيضا أن  
ينكر ذلك المتصنعين.

إن كنت تحب حقاً سترى من تحب أمامك، ستعمل دائماً  
على إعطاءه روحك إن لزم الأمر، فالمحب الحقيقي لا يستطيع  
العيش و قلب من يحب يحمل ألم، فما بالك إن كان يحمل معاناة  
تكبر مع شروق شمس كل يوم جديد.

ربما سيجد الكثير قرار كاميليا غير منطقي، وسيتعجب  
البعض من هذا و سيقف على ما يتابع أنها شيء من الخيال غير  
خاضع لمنطق يستوعبه عقل بشر، تحياتي لكل من داعبه ذلك  
الشعور فأنت لم تسكنوا مدن العشق يوماً.

تبدل الحال فى المنزل، فبعد حالة الفتور التى كانت ما بين  
الزوجين، عاد التلاحم بينهما.. وربما أكثر، لم يضيع أحدهما  
دقيقة و هما على علم تام أن الوداع قريب و لن يستطيعا تدارك  
الوقت الضائع، كانت كاميليا تقضى الصباح معه بالغرفة،  
يتبادلان الذكريات و عين كل واحد منهما تكسوها الدموع،  
و بعدها يذهب معها إلى المطبخ يعدا سويا الطعام، ينظر لها فى  
حنان كطفل صغير ينتظر أمه لتطعمه، إلى أن يأتى الليل و ينام  
على كتفها حتى الصباح.

حتى جاء اليوم..

استيقظت كاميليا ودموعها لا تجف، ورأسها يؤلمها  
و كأن قبلة تتفجر داخله كل دقيقة، كانت تنتظر جورج  
ليحضر لأنه قرر قضاء اليوم الأخير معهما، لكنها لم تقرر بعد  
هل تدعو أسامة أم لا؟.

كانت تعلم أنه سيفرح من داخله فرحاً شديداً لموت غريمه،  
فكان ذلك سبب للتفكير في عدم دعوته، ولكن لا تستطيع  
نسيان أنه أباها التي تربت معه و عاشت نصف حياتها بجانبه  
كتماً بكتف.

و بعد صراع مع التفكير قررت عدم دعوته حتى يرتاح إبراهيم  
و حتى لا ينطق أسامة بشئ يحزنه في لحظاته الأخيرة، و بينما  
هى فى طريقها لغرفته، دق جرس الباب معلناً عن وصول جورج،  
فأستقبلته فى حزن و عيناها تتفرق بالدموع و كذلك عينه،  
فلم تستطع منع نفسها من إحتضان جورج و هى تبكى وتقول:  
«لا أدري كيف سأفعلها و هو ينظر لي يا جورج، لا أدرى»،  
ربط على ظهرها و هو يقول:

«لا زال لديك الوقت لتقولى لا، فأنا مدرك تماماً أنه صعب  
جداً».

كانت بالأيام الماضية تفكر بذلك أيضا، لكنها لم تستطع  
البوح بذلك خاصة بعدما شعرت أنه يتحرر و ينتظر ذلك دون  
خوف، بالعكس تماماً كان هادئ مطمئن، أو يحاول منحها  
ذلك الشعور حتى لا يلين قلبها.. لقد قضى الأمر.

حاولت مسح دموعها و هي تدعوه للدخول و أغلقت الباب ثم استأذنت منه قليلاً، دخل جورج متوجهاً صوب غرفته فوجده مستيقظ و على وجهه ابتسامة طفل صغير، كان وجهه مشرقاً على غير العادة، و كأنه طفل صغير صباح يوم العيد، فدخل ليجلس إلى جواره على الفراش، ثم إحتضنه بقوة و أخذ يبكي في قوة و هو يقول:

«كيف ستكون الحياة من بعدك يا صديقي؟ كيف سأعيش يا إبراهيم بدونك؟»، ضحك إبراهيم و أجابه في تهكم:  
«لن تكبر أبداً أيها الأبله، و من قال أنى سأتركك، لا تخف ستظل روحي جوارك، كف عن هذا العبث فأنا لذي طلب أخير و لتكن تلك وصيتي لأخي و صديقي»، اعتدل جورج في جلسته و هو يمسح دموعه و قال له:

«لن أتركها وحدها يا إبراهيم، أعدك بذلك».

ابتسم و قال له:

«دائماً ما كنت تفهمني لكنك متسرع بعض الشيء، على كل حال هذا واجبك أن تبقى معها و لا تتركها، لكن هناك طلب آخر، أرجووك لا تدعها تتألم و أحرص على ذلك، أنا لم أكن رحيماً بها فكن أنت، لا تجعلها تتعذب أرجوووووك»، فأوماً برأسه له ثم وعده بذلك.

دخلت كاميليا و هي تقول في حنان:

«لقد استيقظ الصغير أخيراً»، فنظر لها و قال:

«نعم.. لكن سأطلب منكما طلب صغير، دعونا نتناول الإفطار

على المائدة سويًا ، ليكن اليوم الأخير يجمعنا بكل لحظة» ،  
كان وقع كلمة اليوم الأخير يؤلمها جدا و لكنها حاولت جاهدة  
الصمود كي لا يتألم لألمها ، فنظر له جورج و قال :

«و من قال لك أنك ستأكل هنا أصلاً؟ سوف نتناول الإفطار  
سويًا و بعدها نخرج لنجلس بالحديقة قليلاً ، ما رأيكما؟» ،  
ضحك و قال له :

«نعم كما كنا نعمل بالسابق ، موافق» .

استاذنه جورج ليذهب كي يساعدها بالمطبخ فأذن له ، و ما  
إن وصل حتى سألها :

«هل أخبرت أسامة؟» ، نظرت له و هى تقول :

«لا.. من الأفضل أن يبقى بعيداً» ، تعجب من قولها هذا عن  
آخر من تبقى لها بالعائلة و أخاها و صديق العمر ، ثم سألها :

«هل لي بمعرفة السبب؟» ، تنهدت فى حرقه و هى تقول :

«منذ الصباح و أنا أحارب نفسي للوصول لقرار بخصوصه ،  
أنت تجهل تفصيلا صغيرة ، أسامة لا يعتبرني أخته و صديقتي ،  
أسامة يحبني و حتى الآن و لهذا ساعد إبراهيم بعدما أظهر فى  
البداية رفضه ظاهريا ، لكنه كان يقاتل ليتخلص منه ظناً منه  
بالفوز بي» .

شهو جورج مما سمع ، لم يكن يتوقع ذلك ، ثم سألها :

«هل يعلم إبراهيم ذلك؟» ، أومأت برأسها إيجاباً و قالت :

«منذ أول يوم لنا بزواجنا وهو يعلم كل شىء ، و لم يطلب  
مني مرة أن أقطع صلتى به لأنه يعلم من هو أسامة بالنسبة لي ،

حتى كانت آخر زيارة له حينما أخبر إبراهيم، و من حديث أسامة كان رد إبراهيم واضحاً تماماً له، لقد عرف أسامة أنه يدرك كل شيء، و لهذا السبب إختاره منذ البداية ظناً منه أنه سينجح، حتى أنه جن عقله و ترك المنزل فى غضب».

اعتدل فى وقفته و تراجع خطوة للخلف و ارتسمت على وجهه علامات كأنه وجد شيء و قال:

«نعم نعم.. الآن فقط فهمت لماذا كان يحارب و يحاول الوصول لفوز بهذه القضية، وما سبب عدائه لي بالتالى، لقد فهمت الآن»، تعجبت كاميليا مما قال و هى تسأله:

«ما الذى تتحدث عنه؟»، خفض صوته و هو يقول:

«كنت أظن أنه يتلاعب بعقل إبراهيم لأنه لا يحبه منذ البداية، و لكن لم أجد سبب واضح لهذا الكره، يوم جراحتك بالمشفى كان مثل المجنون، و حاول ضربى لأنى أخفيت عليه ليلة الحادثة، و كذلك أخفيت عليه ما تلى ذلك لأنى على يقين أنه سيخبر زوجك، و لهذا طلبت منك إخفاء هذا عن الجميع».

عادت لتكمل تحضير الإفطار و هى تقول:

«كان قراري صائباً إذن، لا داعى لوجوده فى لحظاته الأخيرة»، ثم انشغلت بما تعمل و ساعدها فى تجهيز الطاولة، و ما إن انتهت حتى ذهب ليُحضِرُه إلى الطاولة و بدأوا تناول الإفطار دون أن ينطق منهم أحد.

بعد تناولهم الإفطار انتقلوا جميعاً لحديقة المنزل، لكن جورج تعمد تحويل الجلسة للجهة الجنوبية من المنزل بعيداً عن

الباب الرئيسى حيث تلك الذكريات المؤلمة ، فهم إبراهيم ما يحاول فعله ، ثم إبتسم و هو يقول :

«لا أظن أن تغيير المكان سيمحو الذكرى من القلب يا جورج» ، ثم نظر إليها و هو يسأل :

«هل من الممكن أن تتسى كاميليا ما كان بيننا من سعادة و معاناة إن انتقلت لمنزل آخر؟» ، وقفت أما المقعد المتحرك ليقف جورج مكانه ، ثم جلست على ركبتها و هى تنظر لعينيه و وضعت كفها على وجهه و عيناها تترقرق بالدموع ، و قالت :  
«هل يستطيع الإنسان تغيير قلبه أيضا؟ و إن إستطاع كيف يبدل سنوات عمره التى قضاها معك؟ أنت حي بالمكان وبالزمان ، و سيكون اسمك آخر ما يحتضن لسانى».

ابتسم و عيناها تنظرها بحنان لكنه لم يستطع حجب دموعه أكثر من ذلك و قال :

«لقد حرمتك من حقوق كثيرة طيلة السنوات الماضية ، و...» ، وضعت كفها على شفثيه لتسكته و قالت :

«لا تقول ذلك ، لقد أعطيتني ما هو أكبر من ذلك ، لقد كنت لي العائلة التى تمنيتها ، لا تقول أرجووك» ، كانت عيناها بدأت تسيل بالدموع فوصلت إلى كفها ، فمسحت له دموعه و هى تضع قُبلة على عينيه ، ثم نهضت ليكملوا طريقهم للطاولة ، وأخذت وجهها الذى أصبح مبلل تماماً من الدموع.

جلسوا على الطاولة وبينما هو يتكلم مع جورج عن ذكريات الطفولة ، نظرت على يمينها لتجد بعض نباتات الريحان الياضعة ،

فنهضت فى هدوء تبعتها عيون إبراهيم و ما إن لاحظ أين تذهب حتى قال:

«لاا.. سأموت على رائحة الريحان؟!»، ثم نظر لجورج وقال:  
«أول شىء سأفتقده بعد زوجتي هو الريحان، نبتة الرحمة ذات العطر الجميل»، حاول جورج إخفاء حزنه و هو يقول:  
«أفهم من ذلك أنك لن تشتاق لي؟»، ضحك و هو يرد عليه قائلاً:

«لا أظن، لقد إكتفيت من شغبك طيلة حياتي يا هذا، دعني أرتاح قليلاً فى موتي، تبا لك.. بالطبع سأفتقدك».

وضعت كاميليا الريحان أمامه و أخذت منه غصن يافع لتضعه على أذنه ليستطيع شم الرائحة وربطت على كتفه ثم عادت مكانها لتجلس و هى تنظر له دون أن تتكلم، بينما جورج يتابع إبراهيم الذى كان يسترق النظرات نحو كاميليا و يرى الدموع الحبيسة فى عينيه و كان بعقله سؤال واحد لا يفارقه، هل يتألم لفراقها؟ أم يتألم خوفاً من الأيام عليها؟ و بكل الأحوال هذا أو ذاك لما تتركها و أنت حزين كل هذا الحزن و ترسم على وجهك الابتسامة ببعض مساحيق الفرحة حتى لا تنهار ما تبقى منك أمامنا، لماذا سترحل يا إبراهيم.

و كعادة الأوقات الفاصلة تمر سريعاً، كان الوقت يحمله سيفه كالعادة، لكنه لم يكتفى بقطع أطراف اليوم لينتهى، بل كان يقطع مع كل ساعة يُسقطها من على جذع اليوم قطعة من روح كاميليا، و كلما بدأ النهار يفز هارباً خلف عتمة الليل،

كانت ضربات قلبها تزداد عنفًا ، و يتصبب العرق منها على الرغم من الجو البارد ، لكن لا مفر فقد حان الوقت.

غابت الشمس.. والليل يزحف على أطرافه ليوارى تحت عتمته الأهات الصامته ، نظر إبراهيم لهما و هو يقول:

«لقد أصبح الجو بارد هنا ، هيا ندخل فأنا أريد اللحاق بالقطار»، ثم ضحك بسخرية لم يتعجبا منها ، و بالفعل نهض جورج ليضعه على المقعد ثم تبعته كاميليا التي كانت خطواتها تتناقل و كأنها فى طريقها لحبل المشنقة ، و جسدها يرتعش بشدة لكن ليس من البرد.. رعشة الخوف.

ما إن دخل إلى فراشه حتى باغتها بقوله:

«لقد نسيت الريحان بالخارج ، لقد انشغل بالك بألم الفراق عن تحقيق أمنيته الأخيرة»، أسرعت للخارج لتحضره ، لكنه افتعل ذلك حتى يطلب من جورج طلبه الأخير فقال:

«جورج.. وصيتي الأخيرة ، بعد انتهاء مراسم الدفن لا تجعلها تعود هنا ، عليها أن تعود لمنزل والدها ، وانتبه جيدًا على تقرير الوفاة لا تدع هناك شك بموتي أرجووووووك».

قال له فى حزن شديد:

«لا تخف ، سأحاول اقناعها بالذهاب هناك بكل ما أوتيت من قوة ، والحقنة التي ستستخدمها من الصعب كشفها ، سيكون التقرير وفاة نتيجة هبوط حاد بالدورة الدموية ، لقد أنهيت كل ذلك بنفسى لا تخف».

دخلت عليهما و هو يقول له لا تخف فسألته:

---

«مما تخاف؟ تخاف عليّ من أن يتم إكتشاف سبب موتك؟ لن يكشف أحد سبب وفاتك لقد أنهى جورج كل شيء»، جلست إلى جواره على الفراش و أخذت تتحسس وجهه فشعر بتلك الرعشة التي تسرى بها ، لم يعلق على ذلك فقد كان قلبه يشعر بكل شيء و يشفق عليها.

مر الوقت بسرعة شديدة على عكس مروره بساعات الإنتظار منذ فترة، كم كان الوقت يعبث معهم جميعا ولا يستجيب، نظر إبراهيم إلى جورج و هو يقول:

«لقد كانت صحبتكم هي الحياة بالنسبة لي ، سأشأتق كثيراً لحديثك يا جورج، على الرغم من أنني سأرتاح منك يا رجل و لن أشغل بالي بمشاكلك و كيف أساعدك، كنت دائماً صديق مزعج»، ضحك و هو ينظر له حينما لم ينطق جورج فأستكمل قائلاً:

«سامحني على كل شيء ، أعلم جيداً ما بداخلك و كم أنت شخص طيب، لم تغضب مني يوماً و تعاملت معي كأبي، و أنا لم أكتفي بذلك وفي نهاية الرحلة قمت بتهديدك كي تلبى طلبتي، هل ستسامحني على ذلك؟».

نظر له جورج وانفجر بالبكاء و هو يقول:

«لست بحاجة لتطلبه، فليسامحنا الرب جميعاً.. فليسامحنا

الرب».

ثم نهض و توجه صوب النافذة و أكمل بكأوه بشدة في حين

قال له:

«كفى يا هذا لا تفعل تعال هنا»، لم يستجيب له، فنظر صوب كاميليا وجد دموعها تسيل على الرغم من ملامحها الصامته، فقال:

«أنتِ يا كاميليا.. مهما قلت عنك لن أوفيك قدرِك، كم كنتِ قوية و متماسكة، ضحيتِ بحياتك لهذا العاجز، ولم يكفيه هذا بل حرمك من حقوقك و أقلها مشاركته قراراته، والأُن تفعلِ ما لن يفهمه و لا يفعله شخص عادى، بيدك تقتلي زوجك! أدرى كم هذا صعب، لكن هناك شىء يجب أن أخبرك به، ربما منذ تلك المعاناة فشلت فى تعبيرى عن حبي لك، ربما بسبب خجلي منك، ربما خوفاً من إحساسك أنى أفعل ذلك عمداً كى أبقىك معى، كنت أخاف أن أخسرك، لهذا أنا أطلب الموت، كيف أعيش دقيقة بدونك يا كاميليا؟ كيف؟».

سقطت منه الدموع بينما هى و دون أن تشعر إرتمت على صدره و هى تنوح بشدة و تقول:

«بالآخرة لن أتمنى غيرك زوج، و لن أعيش بدونك، روجي ستذهب مع روحك و سيبقى جسدى مُعلق هنا حتى موعد اللقاء، ستُحرّم عليّ الضحكة حتى لحظة خروج روجي، و سأضحك وقتها و أنا أنطق إسمك حينما تفيض روجي».

مرت دقيقة على هذا الحال دون أن يتحرك أى منهما من مكانه، لكن قاطع الصمت وهو يقول:

«كنت أود أن أودع أسامة، هل تتصلين به رجاء؟»، رفعت رأسها من على صدره تقول:

«لا تخبره شيء أرجووك»، ضحك و هو يقول:

«لا تخافِ لن أعطه لحظة نصر»، ثم ضحك بشدة و هي تلتقط الهاتف و تتصل به ، لكنه لم يجيب الاتصال ، فقال:

«يبدو أن حظه سيظل تعيس دائماً ، أبلغيه شكري على ما قدم لي»، ثم نظر لجورج و قال:

«هيا يا طيب ، لقد تأخر الوقت ، دعونا ننهي ذلك».

انتفضت كاميليا فور سماع ذلك ، فقد كانت ترهب تلك اللحظة و تتمنى أن توقف الوقت كي لا تحدث ، لكنه للأسف لن تستطيع ، فنظرت له ثم نهضت و التقت حقنة من داخل أحد أدراج المنضدة و عادت لتجلس جواره ، و كذلك جلس جورج و هو يحتضنه ، ثم نظر إلى كاميليا و هو يقول:

«لا تخافِ ، إفعليها دون تردد و لا تخافِ».

نظرت له و هي تحملها في يدها دون أن تتحرك و استمر يقول لها لا تخافِ ، حتى تحركت يداها بإرتعاش و بالفعل قامت بوضع الإبرة في وريده و هي تنظر له حقنته المادة السامة في بطنه ، و ما إن انتهت حتى حدث شيء غير متوقع ، فقد نهضت فجأة و هي تصرخ و تقول:

«ماذا فعلت؟ ماذا فعلت؟ إيرااااهيم..لالالا.. أرجووك لا

تذهب ، لا تذهب»، دمعت عيناه من انهيار زوجته و قال:

«لن أذهب فأنا أعيش داخلك ، أليس كذلك؟ تعالِ أجرك وأحضرِ الريحان أريد أن أشم رائحتك مع الريحان ، أرجوووووك».

أخذت تضرب على رأسها كالمجنون فنهض جورج مسرعاً

محاولاً تهدأتها و قال:

«إنتهى يا كاميليا ، أرجوك اجلسي» أمسك بها ليجلسها جانبه و أحضر الريحان على صدر إبراهيم، ثم احتضنته فى شدة و قالت:

«إبراهيم لا تذهب»، فقال لها:

«دعيني أذهب قبل أن أعرف منك ما تخفيه عني، إهدائي»، كعادته يحاول فصل الأمور بالتشيت، فقد ألقى عليها تلك الجملة كى يجذبها من بحر البكاء، و بالفعل نظرت له، و قبل أن تنطق لاحظت تغير لون وجهه، و بدأ يشعر بضيق بالتنفس و دوار خفيف، فنظرت لجورج الذى كان يبكى و هو يربط على كتف إبراهيم، لكنها لا تدرى ما تفعل فى حين قال لها:

«سأذهب الآن، أئن تخبريني؟» ثم أخذ يتنفس بصعوبة و بدأ لونه يتحول للأزرق، و هنا مالت على أذنه و همست له ببعض كلمات، هنا جحظت عيناه فى قوة و تسارعت نبضات قلبه أكثر و ليس بسبب المادة السامة، حاول الصراخ وهو يقول:

«كام...ليا.. لا..لا..لا» ثم أمسك يده وانهارت بالبكاء فى حين بدأت أنفاسه تتسارع أكثر فأكثر وعيناه تتسع أكثر فأكثر ثم انفض نفضة قوية.. و انتهى كل شىء.



أن تقتل.. هذا الشعور وحده لتدمير حياتك رعباً، و عندما تقتل الأنشى يكون الوضع أصعب، فما بالك حينما تقتل أنشى زوجها و من تحب؟ هذا الشعور وحده قاسٍ جداً حد الموت، لا يتستطيع

تحمله بشر، أبدأ لن يستطيع.

جلست كاميليا فى حالة صدمة بينما جورج لازال يبكى وهو يُقبّل رأسه، سقطت الحقنة من يدها وهى لا تشعر، ثم نهضت وهى تقول:

«لقد مات.. لقد مات!».

نهض جورج مسرعاً يمسكها وهى تهذى بكلمات غير مفهومة، لكنها فجأة صرخت قائلة:

«إبراهيم!!!!!! لا تذهب، لا تذذهب».

حاول جورج إبعادها عن الغرفة لكنها قالت له:

«هل مات مسموماً أم مات بالحقيقة؟»، نظر لها بدهشة مما قالت وهو يسألها:

«حقيقة؟! هل أخبرته؟»، نظرت له و عيناها تجحظ بشدة والعرق يتصبب منها وقالت:

«كان لابد أن يعرف لما فعلت ذلك، لم أخفى عنه شيء بحياتي، مهما كانت الحقيقة قاسية كان يجب أن يعرف»، وقبل أن يتكلم أفلتته و أمسكت الهاتف واتصلت بالشرطة وقالت:

«أريد أن أبلغ عن جريمة قتل.. لقد قتلت زوجي العقيد إبراهيم عبدالعزيز»، كانت حركة سريعة وصادمة لجورج، فلم تنطق معه على ذلك، حاول الركض مسرعاً ليلحقها قبل أن تنطق لكنها كانت أسرع وأبلغت عن جريمة القتل.. وأغلقت الهاتف.

لم تتحمل الألم فى رأسها فصرخت وهى تجثو على ركبتيها قائلة:  
«أهههه.. رأسي»، ركض جورج مسرعاً صوب المبرد ليحضر

بعض المهدئ ليحقنها به ، لكنه لم يستطع تمييز الوريد ، فكان خوفها و صدمتها كفيلا ليهرب الدم من جسدها ، لكنه حقنها بالعضل ، وهنا و قبل أن ينهضها وردها إتصال.. إنه أسامة.

أجابه جورج فى صوت مهزوز ، فلاحظ أسامة هذا الذى صرخ فيه قائلاً :

«أعطني كاميليا فوراً» ، رد عليه جورج أنها مشغولة لكنه كرر طلبه فى غضب ، لكنها نظرت له و طلبت منه الهاتف ، وقالت :

«نعم يا أسامة» ، كان صوتها يرتعش و كأنها تمسك بسلك كهرباء عار ، فقال لها :

«ماذا بك؟ و لماذا أجاب جورج؟».

بكت قبل أن ترد عليه ، فصرخ بها قائلاً :

«ما اذا حدثت؟» ، فقالت و هى تبكى :

«لقد مات إبراهيم.. لقد أعطيته ما يريد» ، كانت تلك الكلمات صادمة لأسامة فلم يدرى ما يفعل ، لكنه صرخ بها قائلاً :

«ماذا فعلت؟ يالهي ، أيتها الحمقاء ماذا فعلتتت؟» ، لم ترد عليه و أكملت بكاءها ، حينما أكمل قائلاً :

«لا تلمس شئ وأبق فى مكانك ، لا تتحرككك» ، فقالت له :

«انتهى الأمر.. الشرطة بالطريق».

صرخ بها يقول :

---

«تباا لك.. لقد فرطت بحياتك من أجل هذا العاجز، لما اذا؟  
كانت الحياة أمامك أيتها التعيسة».

صرخت و هي ترد عليه من شدة الانهيار قائلة:

«عن أى حياة تتحدث؟ لا حياة لي بدونه، أنت بعيد عن ذلك  
تمااماً»، طالما كانت تلك الكلمات تدهس قلبه وتضع  
مشاعره بالمفرمة، على الرغم من تكرارها إلا أن هذه المرة  
الوضع مختلف، فى السابق كان الأمل البعيد يداعبه، الآن  
لا أمل، فتلك الجريمة معناها موتها بالإعدام، لكنه أسرع  
بالسيارة محاولاً اللحاق بها، وقال:

«لا تتحرك أنا قادم»، لكنها همست له فى تحد و قالت له:

«لا داعى لذلك، لقد انتهت كاميليا يا أخى العزيز، انتهت  
وكان وقت كشف الحقائق»، ثم أكملت جملتها و سط صدمة  
أسامة مما يسمع، لقد كانت كلماتها قوية و كفيلة لتقلب  
حياته، و بالفعل لم تنقلب حياته فقط.. بل والسيارة.



## الفصل السابع عشر

جلست كاميليا أمام ضابط الشرطة، كان وجهها شاحب جداً ويبدو عليها حالة الصدمة، نهض ثم استدار حول مقعدها وفجأة توقف وهو يسألها:

«لماذا قتلتي زوجك؟»، نظرت للأرض دون أن تتنطق، فأكمل دورانه حول المقعد واتجه صوب المنضدة ليمسك حافظة نقود، فتحها وأخرج منها هوية إبراهيم، وقال:

«إبراهيم عبد العزيز؟! أليس هذا الرجل الذى أثار ضجة منذ أيام بطلب القتل الرحيم على التلفاز؟»، لم ترد عليه، فنظر لجورج الذى أجابه:

«نعم هو»، فقال له:

«أخيراً تحدثت أحدكما، من أنت؟»، أخرج له جورج هويته وهو يقول:

«جورج جبرائيل طبيب العائلة»، لمعت عينا الضابط وهو يقول: «طبيب؟! وماذا كنت تفعل هنا بهذا الوقت؟ هل كنت تحضر لها السم؟»، وجه إتهامه لجورج وهو يمسك بيده كيس من البلاستيك بداخله الحقنة التى كانت مع كاميليا، وقبل أن يتحدث جورج نطقت كاميليا:

«جورج ليس فقط طبيب العائلة، فهو صديق طفولته، وكان يحضر يومياً يجلس مع المرحوم ولا يدري شىء عن ذلك

---

المخطط»، نظر لها الضابط و قال:

«المرحوم!! مممم.. وهذا المخطط كان بطلب زوجك المرحوم الذى طلب ذلك من القانون و ما إن رفضه طلبه منك وأنت بمنتهى البساطة نفذت طلبه، هكذا و ببساطة»، ثم نظر إلى جورج و كأنه يقول له لن استبعدك عن تلك النقطة فأنت شريك لها، لكن كاميليا لم تجيب، و حاول الضابط كثيراً طرح أسئلة عليها لكن دون رد، و فجأة خرج المسعفون يحملوا الجثة و ما إن رأتها حتى نهضت دون أن ينتبه أحد، و بسرعة لحقها الشرطى المرافق و منعها و لكنها أخذت تصرخ:

«اتركوونى.. اتركوونى أودعه»، أشار له الضابط أن يتركها، فكشفت الغطاء عن وجهه و نظر له و دموعها تسيل على جسده، و قالت:

«أرجووك لا تخف، سألحق بك قريباً، و إن لم أحضر لوداعك أرجووك سامحني»، ثم انهارت من البكاء و جثت على الأرض وسط دهشة الحضور، فهى المشتبه به الأول، و يوجد اعتراف منها بالجريمة، قتلت ذلك العاجز دون أن تشفق عليه - هكذا يراها القانون - و مع كل هذا تنهار و تبكى و تطمئننه؟! كان ذلك عجيباً.

انطلقت سيارة الإسعاف صوب المشفى، و من خلفها سيارة الشرطة و بها كاميليا و جورج، كانت أول مرة تختلف طرقهما، أول مرة يذهب إبراهيم وحيداً فى طريق، و هى فى طريق، لكن عليها أن تعتاد ذلك فقد انتهى الأمر.



---

كان صوتها عال جدا حتى التفت الضابط الذى كان يقف خارج الغرفة للصوت فدخل مسرعاً ، فوجدها على الأرض تبكى وتضرب الأرض بيديها ، لم يفهم ما حدث ، فسأل الشاب الذى قص عليه الموقف ، و هنا صرخت و قالت :

«هذا يعنى أننى قتلت زوجي و أخي بيوم واحد؟ و بنفس الخبر؟ يالهي.. ماذا فعلت؟» ، ثم نهضت بسرعة و أمسكت كف أحمد تحاول أن تتوسل إليه و تقول :

«أريد أن اودعهما ، أرجووك دعنى أرى أخى لآخر مرة أرجوووووك» ، ثم جثت على ركبتيها فى انهيار تام ، فى حين طلب الشاب الإذن يقابل رئيس النيابة محاولا معه للسماح لها بتأدية واجبها الأخير لهما .

قراءة الساعة أو يزيد قليلاً جلس الشاب عند رئيس النيابة يتحدث معه و يُجرى بعض الاتصالات حتى استطاع فى النهاية أخذ الموافقة على ذهاب كاميليا وسط حراسة لوداع زوجها و أسامة ، وفى عجلة تم تنفيذ الأمر و بصحبة الضابط و معه شرطيان و كاميليا بالأصفاد وصلأ فى الموعد تماماً إلى المقابر حيث الجنازتين .

سنوات قضاها أسامة يحلم بفرصة لإستعادة كاميليا ، حاول وفشل ولكنه لم ييأس ، فقد كان يحبها حب لا تستطيع الحروف وصفه ، وحينما واتته الفرصة بموت إبراهيم؛ رحل وبنفس الساعة ، على الرغم من رفض كاميليا التام لطلبه ، على الرغم من انعدام الأمل ، لكنه رحل دون التقاط صورة سعيدة مع الحظ و لو بالتمنى.. أقدار .

إبراهيم.. رجل حاول محاربة العجز، لكن صرعه اليأس تحت عجالات الزمن ليسحب من حياته من يحب، و على الرغم من حبه الشديد لزوجته؛ إلا أنه أراد الموت ليسبقها قبل أن يبكيه القدر عليها، فكيف يعيش إن إختارتها يد القدر و تركته؟ لو كان يملك إصبع واحد يتحرك لفعلا بنفسه و لا يختبرها بهذا القدر.. أقدار.

وقفت محاطة بالحضور والجميع تركوا الجنازة و يتبادلون النظر خلسة وعلنا نحوها، فالكثير يجهل سبب حالتها تلك، وربما الجميع، لكنها كانت بعالم آخر، تكفيها تلك المعاناة التي تجعل من العاقل مجنون، يكفيها شعورها بالذنب نحو أسامة أنها سبب موته، و يكفيها تحملها مسئولية موت شريك عمرها.

كانت تتابع مراسم الدفن فى صمت و عيناها كتلة حمراء من الدموع، حتى إنتهى الدفان و أغلق القبور و قبل أن يهم الناس بالإصراف قالت:

«بيوم واحد.. ذهب أخى و زوجي، والعجيب أنهما ذهبا سوياً.. بيدي»، توقف الناس وبدأت همساتهم تعلو من تلك الجملة، ونظراتهم تحوم حولها فى ترقب لما ستقول، فإستطردت:

«أسامة.. أربعة و عشرون عاماً بنفس المنزل كنت لي أخ و صديق، كثيراً ما ضحكنا، وكثيراً ما تشاجرنا، حتى جاء اليوم لأقطع أربعة و عشرون عاماً أخرى بمنزل آخر، معك يا إبراهيم.. كانت هى عمري كله، لم يقل حبي لك لحظة ولكنه كان يزيد، نصف عمري مع أخى، و مثله تماماً مع زوجي، وفى ساعة واحدة ضاع النصفين، ضاع الرجلين، ضاع المنزلين، وكأن حياتي تتغير دائماً عند رقم أربعة و عشرون، أمر مضحك».

---

نظرات الشفقة تطير حولها من على أغصان العيون لتحط  
على كتفها المتناقل، لكنها أكملت:

«سامحوني أرجووكما ، فأنتما على علم تام بما أحمل،  
سامحني يا إبراهيم إن خنت عهدك، سامحني يا أسامة إن قتلتك  
بما قلت، سامحو..»، وقبل أن تتطرق الكلمة، خارت قواها ولم  
تعد تتحمل، فقد دارت الأرض بها وأسودت عيناها شيء فشيء..  
فغابت عن الوعي.



استعادت كاميليا وعيها لتجد نفسها طريحة فراش بالمشفى،  
يد مكبلة بالأصفاذ، والأخرى مزودة بأنابيين المحاليل، كان  
رأسها يؤلمها وبشدة، ولا تدرى كم من الوقت مر عليها عنها،  
كانت تهذى بكلمات مبهمة لم تستطع الطبيبة المرافقة لها  
ولا الشرطى فهمها، لكن مع مرور الوقت بدأت تُبصر المكان  
لتجد من حولها فتسأل بصوت واهن:

«ماذا حدث؟»، أجابتها الطبيبة أنها بعد مراسم الدفن سقطت  
مغشي عليها، وأحضرها للمشفى بالأمس، لم تعلق على ما  
قالت لكنها حاولت أن تبلل شفثاها بلسانها دليل على عطشها،  
فنهضت الطبيبة مسرعة لتعدل جلستها ثم وضعت كوب الماء  
على شفثتها، شربته كله فى رشفة واحدة، فسألته الطبيبة إن  
كانت تريد المزيد فقالت لا.

حاولت الطبيبة التحدث معها لكن حالتها كانت سيئة، وألم  
رأسها يزداد كلما نظرت للضوء، كانت تحرك رأسها من الألم

و تغمض عينها فى حين تتحدث لها الطبيبة و فجأة صرخت تقول:  
 «الضووو.. لا أستطيع تحمل الضوء»، اندهشت الطبيبة من  
 تلك الجملة و راودها الشك، فنهضت من مكانها لتغلق الضوء  
 فحاول الشرطى منعها عن ذلك فقالت له الطبيبة:

«إنها تتألم من الضوء و سأشعل المصباح الصغير، هل تخاف  
 الظلام أيها الشرطى أم تخاف من هرب تلك المسكينة المكبله  
 من كل إتجاه؟ كن رحيماً»، لم يُعلق على ما قالت و تركها  
 تفعل ما تريد و وقف يتابع فى صمت، فقالت لها:

«افتح عينيك الآن، هل تشعرين بتحسّن؟»، فتحت عيناها  
 قليلاً ثم أومأت برأسها و هى تقول:

«نعم قليلاً.. أشكرك، أين جورج؟»، لم تتعرف الطبيبة على  
 الإسم فسألتها:

«من جورج؟ أنتِ وحدك منذ أتيت أمس و لم يأتى أحد  
 لزيارتك»، تداركت كاميليا الموقف و تذكرت أن جورج رهن  
 الاعتقال و لن يُسمح له بالحضور هنا، لكنها أجابت الطبيبة  
 فى حزن:

«إنه طبيبي و صديق العائلة، والشرطة تتحفظ عليه أيضا  
 معي"، هنا نطق الشرطى وقال:

«نعم.. لقد أمرت النيابة أمس بحبسه خمسة عشر يوماً على  
 ذمة التحقيق لإدانته بمساعدتك فى قتل زوجك، و لم ينتهى  
 التحقيق بعد»، بهتت مما سمعت و قالت:

«جورج مظلوووم، لا يعرف شىء عما حدث، أنا فعلتها وحدى

وأنا من أحضر تلك المادة السامة ، أرجوك أريد أن أرى المحقق» ،  
وضعت الطبيبة يدها على صدرك كاميليا و هي تقول لها :  
«إهدأئى قليلاً فأنت بحاجة للراحة ، و حينما يأتى المحقق أخبريه  
بما تريدين ، لكن هل تعانين من مرض معين؟» كان سؤالها  
مباغت أربك كاميليا التى أخضت عيناها بعيداً و هي تقول :

«لا.. لا أشتكى من شىء ، فقط بعض صداع الرأس نتيجة  
حادث تعرضت له منذ فترة» ، حاولت الطبيبة تصديق ذلك  
وأكملت كاميليا حديثها عن الجراحة التى تعرضت لها منذ  
فترة قصيرة ، فسكتت الطبيبة و نظرت لها قليلاً ثم قالت :  
«لماذا قتلتِ زوجك؟».

قبل أن تجيبها بشىء دخل المحقق الغرفة و نظر لها و قال :  
«كيف حالها الآن؟» ، نهضت الطبيبة و نظرت له فقالت :  
«تعانى من ألآم بالرأس و حالة هبوط بالدورة الدموية» ، ثم  
نظرت لكاميليا واستطردت :

«وصدمة عصبية.. هذا التشخيص المبدئى فهى استعادت  
وعياها منذ قليل» ، ثم نظرت له و قالت :

«تحتاج لراحة على الأقل يومان و من بعدها سنحدد حالتها ، من  
فضلك الشرطى المتواجد هنا لا يجب أن يبقى بالغرفة ، مكانه  
بالخارج ، انها مكبله بالأصفاذ والغرفة مؤمنة و لن تهرب ، لن  
أسمح بوجوده هنا» ، تفهّم ما قالته و أشار له بالانصراف ثم قال لها :  
«نعم مكانه بالخارج و أنا طلبت منه البقاء ليخبرني عندما  
تستيقظ ، سيكون بالخارج» ، ثم نظر إليها فى حزم و نقل نظره

صوب كاميليا و قال:

«زال البأس» ثم خرج.

جلست الطبيبة إلى جوارها ونظرت لها فى عطف قبل أن

تقول:

«أنا لست طبيبة الآن، هل من الممكن أن أكون صديقة

وتخبريني كل شيء؟»، نظرت لها كاميليا فى حزن و قالت:

«لأنى أحبته بصدق، أمضيت نصف عمري معه وأحبته بكل

يوم أكثر من سابقه، إحدى عشرة عام منها وهو بعجز تام، لم

أتركه لحظة، كنت له كل شيء فهو يستحق، لكنه كان

يعانى كثيراً، والعام الأخير النكبات كانت أقوى منا لنصمد،

ولم يعطيه القانون ما يريد، كان واجبي أن أمنحه الراحة،

لقد تعذب كثيراً، هل حدث يوماً وتعطل بك المصعد ساعة

وأنت بالداخل دون نور، دون حركة، والأوكسجين يتناقص مع

كل زفير يخرج منك؟ هل كبلك أحد بأحبال قوية و رأيت ابنتك

تُغضب و تموت أمامك؟ هل تتحمل التفكير فيها حتى؟».

نظرت لها الطبيبة فى حزن شديد مما سمعت، فالواضح أن

كاميليا ضحية و ليست مذنبه، و كل ما فعلته كان من واجب

الزوجة على الرغم من كون هذا الواجب مُجرّم و يعاقب عليه

القانون، لكنها أنشى فشعرت بها كأنشى، نهضت الطبيبة من

مقعدها لتجلس على الفراش جوارها و ربطت بكفها على كتف

كاميليا، التى بدأت تقص لها قصة حياتها مع إبراهيم وكم من

معاناة مرت بهما حتى انتهى الحال بتلك النهاية، و ما إن إنتهت

من سردها كانت الطيبية غارقة بالدموع، لم تشعر أنها تبكى  
فما كانت تقصه عليها موجه.. و جداً.

نظرت لها والدموع تغرق وجنتيها وقالت:

«لوقص عليّ أحد غيرك هذا لن أصدق، هذه المعاناة بالفعل  
لا يتحملها الكثير، خاصة على رجل مثله، وأنشى تحب زوجها  
مثلك، لكن هناك شيء خلف السطور أراه وأنت لم تشيرى  
إليه، لماذا تبدل حالك من رفض تام إلى القيام بتلك التضحية؟».

نظرت لها كاميليا وهي لا تجد ما تجيبها به، فقالت:

«هذا كل شيء، أرجووك لا تسأل عن شيء آخر، يكفيني  
هذا العذاب»، تفهمت ما تحاول أن تقول، وربما كان لديها  
شكوك بشيء، فقد أشارت كاميليا دون قصد منها أو ربما  
بسبب صراحتها و نيتها الصافية لشيء عذبها و سر أخفته عن  
زوجها، لكنها لا تريد أن تُفصح عنه.

تحركت الطيبية صوب الباب ثم نظرت لها وقالت:

«لن أخبر أحد شيء، لكن رغبتك في حبل المشنقة انتحار،  
فأنت تتعجل الموت، لكن سأقولها لك، بقاؤك بالمركب  
المثقوب وسط البحر، أفضل من القفز منه وأنت لا تجيد  
السباحة».

و خرجت بعدما تركت لها تساؤل مقلق.. لماذا قالت ذلك؟.



هل من الأفضل أن تبقى في سفينة مثقوبة على وشك الغرق؟  
أم تقفز بالبحر وأنت لا تجيد السباحة؟

بكل الأحوال أنت ميت، لكن هل لو كان قرارك إختيار القفز و إستعمال الموت حق مشروع لك؟ أليس هذا انتحار؟

وقفت كاميليا داخل قفص حديدي بساحة المحكمة، المكان ممتلئ يشغله الكثير من المصورين والصحفيين المتابعين للقضية، فبعدما أثار زوجها الراحل قضية القتل الرحيم و أحدث ضجة هائلة بالشارع و تم رفض مساعيه، تحقق له ما يريد بشكل غير قانوني عن طريق زوجته، واليوم زادت الإثارة بقضية غريبة من نوعها لزوجته قتلت زوجها لتنفيذ رغبته بالموت.

كانت النياية تكيل لها اللكمات القوية بوصفها تارة بالمجرمة و تارة أخرى بالخائنة و مرات غيرها بصاحبة الدم البارد، لكنها كانت تقف بثبات و إتسحت بثوب زوجها الراحل فى آخر لحظاته، كيف كان يتعامل معها بصلاية و هى كانت تنظر له بتعجب كيف يفعل؟.

أما الدفاع فحاول كثيراً إلتماس العذر لها و أعطاهما لقب الزوجة المُحبة، و أشار بعض مرات أنها تُعانى من حالة نفسية نتيجة ما مرت به ليكون الحكم عليها بشئ غير الإعدام.

لم تتطق بكلمة تحاول بها مقاطعة الطريق، فكل شئء بالقانون يوصلها للمشنقة دون رحمة، الدلائل، اعتراف كامل مع تمثيل للواقعة، و نفت تماماً اشتراك جورج بذلك و شرحت بالنياية كيف حصلت على السم، لكن العجيب أن جورج لازال حتى هذه اللحظة رهن الاعتقال!.

بعد انتهاء الدفاع من مرافعته، و محاولات إتهامها بالجنون،  
حاول القاضى الوصول لقرار للفصل قبل الحُكم، فسألها:  
«كاميليا.. سؤال للمرة الأخيرة، لماذا قتلتِ زوجك؟»  
نظرت للقاضى ومن بعدها للمحامى الشاب ثم قالت:  
«لأنه استحق ذلك».

ارتفعت الهمهمات داخل ساحة المحكمة متعجبين من  
إجابتها، فقد كان رد فعلها غريب جداً و إجابتها كفيلة بوصول  
القاضى بالقضية إلى المشنقة، لكنه كان صبوراً، فسألها:  
«لماذا استحق ذلك؟ هل كان يسيء معاملتك؟».

ابتسمت وهى تنظر له فقالت:

«لن تجد بالحياة زوج يعامل زوجته بكل الإحترام كزوجي،  
لم يكن عطوفاً فحسب، لا.. كلمة عطوف أقل ما تصف هذا  
الرجل، مُحباً، مخلصاً، رغم عجزه كان دائم الإبتسامة و لا  
تفارق روح الدعابة، والأهم من ذلك أنه كان رجلاً فى زمن قل  
فيه هذا اللقب، كان يعانى فى صمت و يبتسم، ودع أخاه، ثم  
زوجة أخاه، ثم ابن أخاه الشاب الذى كان ابن لنا، ثم المرافقة  
المسكينة نجوى، التى تم اغتصابها و بدم بارد أمام عينيه و لم  
يستطع تحمل عجزه و كان يموت بسبب شعوره بالذنب، رجل  
عاش كل هذا و أكثر، ألا يستحق بعد كل هذا الراحة؟».

كان وصفها لحالته دقيق جداً يلمس الروح و يحرك المشاعر  
الإنسانية ليشعر بمعاناتهما الحضور، لكن هذا لا يُحرك  
ساكناً فى مشاعر القانون فهى لا تتأثر.

نظر لها القاضى فى حزم وقال:

«و أنت من كان لها الحق فى تقرير ذلك و تنفيذ قراره،  
على الرغم من علمه أن قتل النفس مُحَرَّم و مُجَرَّم أيضا، و بكل  
سهولة فعلت ذلك».

امتعت كاميليا عن الرد فكانت كلمات القاضى الأخيرة  
تحمل رائحة المشنقة بشدة، فأكتفت بما حققت، ثم نظر  
القاضى للأوراق التى أمامه وقال:

«بعد الإطلاع على القضية، و سماع النيابة و الدفاع، قر...»، فجأة  
اقتحم جورج ساحة المحكمة بدون إذن، و ركض وهو يصرخ:  
«سيددى القاضى إنتظر أرجووك»، منعه الشرطة من  
الإقتراب لكنه أكمل صراخه و حاول الإفلات منهم، فتوقف  
القاضى و نظر نحوه و قال:

«من أنت؟»، فى حين بدأت كاميليا تصرخ و تقول:  
«جوررج لا تتطرق بشىء، أرجووك لا تفعل بالله عليك،  
لا تفعل، ارتكنى أموووت»، لم ينظر لها فى حين لفت إنتباه  
القاضى كلماتها فسمح له بالدخول، و سأله:

«ماذا تريد أن تقول»، لم تكف كاميليا عن الصراخ بل زادت  
و هى تبكى بشدة و تتوسل له أن يصمت، لكنه نظر لها ثم قال:  
«كيف سيعيش هذا العاجز بعدما تموت زوجته؟ من  
سيطعمه؟ من سينتبه عليه؟ من سيسغير به ملاابسه المتسخة  
بفضلاته كل صباح قل لي أنت من؟ كيف تتركه يعانى كل  
هذا من دونها؟ التى القاتلة المتوحشة التى تقتلوها جميعا الآن



مع انقطاع الأمل، فحالتها شبة مستحيلة وقتها، والأُن و بعد الأشعة والفحوص، أيام قليلة وربما أسابيع، لكنها لن تتحمل هذا الألم دون علاج». أو مأت برأسها فى تَفَهَّم لما قال، ثم قالت له: «و ماذا تنوى الآن؟».

نظر جورج لكوب الماء فى يده، ثم شرب منه نصفه، ونظر إلى الطبيبة و هو يسكب ما تبقى منه، فنظرت له فى صدمة وقالت: «لكن هذا خطير جداً»، نظر لها وقال:

«لا تخافِ، لن يفهم أحد وسيتم الأمر فى عدم وجودك»، ثم نهض متجها صوب غرفتها.

طلب من الشرطى السماح له بالدخول، و بالفعل سمح له وما أن دخل الغرفة رأى كاميليا تبكى فلاحظت وجوده ثم صرخت قائلة: «أخرج من هنا، ألم تكفى بما فعلت، لماذا فعلت ذلك يا جورج؟ لماذا!!!»، اقترب منها و هو يربط على كتفها، ثم جلس و نظر لعينها قائلاً:

«انها وصية زوجك الأخيرة، لم يرسلك لإحضار الريحان هكذا، كان يتذكره و نحن بالخارج لكنه تعمد تأجيل طلبه حتى تذهبي مرة أخرى ليتحدث معي، طلب مني تخفيف الألم و أن أكون معك، و سأفعل ذلك».

نظرت له فى إستفهام وقالت:

«كيف ستفعل ذلك و أنت حطمت كل شىء؟»، فقال لها:

«بنفس الطريقة لكن دون أن أتصل بالشرطة و أخبرهم أننى القاتل، سأبدأ اليوم و غداً مساء ستكون عند إبراهيم،

سأمنحك موت رحيماً».

كانت كلماته مفاجئة لها ، فكانت تظن أن جورج سيعوق ذهابها له ، وسيقف في وجهها والموت ، لكنه فعل العكس تماماً ، سينفذ وصية إبراهيم ، فأومأت برأسها في استجابة وهي تبتسم وقالت:

«لا أدري ماذا أقول ، لكن أستحلفك بالله ألا يكون ذلك سبب في ضرر لك ، عاهدني بذلك» ، أمسك يدها وقال:

«لا تخافِ ، أعدك ألا يشعر أحد ، فأنا طيب وأعرف جيداً كيف أفعالها» ، هنا دخلت عليهما الطبيبة فحاولت كاميليا إخفاء الابتسامة حتى لا تفهم ، لكنها صُعقت حينما سمعتها تقول لجورج:

«ساعة وستكون الأمور متاحة ، وبنفس الموعد غداً ، سأكون خارج المستشفى وقت ما تفعل ، لن يلاحظ أحد» ، ثم نظرت لها وابتسمت قائلة:

«لا تخافِ ، أنا لم أرى شيء ، لم أسمع شيء ، كل ما أفعله لأنى أشعر بك» ، ثم غادرت ومن بعدها جورج لتجلس كاميليا وكأنها تستعد للقاء هام ، كانت تستعد للذهاب لزوجها ، وعلى وجهها ابتسامة عريضة ، وقالت تحدثت نفسها:

«انتظرنى غداً ، ولا تنسى الريحان».

وعاد الوقت يتناقل عليها ، وهذا اليوم عبر كسنة كاملة ، لكنه فى النهاية عبر.. وعبرت معه للطرف الآخر.



## النهاية

الخامس والعشرون من يناير عام ٢٠١٩

«كانت تلك البداية، قصة عائلتي الصغيرة التي تساقط أفرادها كتساقط قطرات العرق من على جبين أنثى وضعت جنينها للتو، عائلتي التي استمر مخاضها إحدى عشرة عام ويزيد، كلما زاد ألم مخاضها لفظت من رحمها جنين ميت.

تلك المعاناة فتحت باب خلفها، ربما للبعض انتهت، لكن مع بقائي على قيد الحياة لا تنتهي، لقد زاد التهابها كلما مر عليّ مخاض مماثل، وربما أسوء، ربما انتهى بي الحال لأقف أمامكم الآن والبعض منكم يتعجب كيف لي أن أكون بمثل هذا الهدوء؟ سأجيبكم فالأمر جداً بسيط، اليأس يا سادة إن ركب على قلب إنسان يرهقه، يقوده لطريق النهاية مبتعداً عن استراحات الأمل، كيف ضحك إبراهيم من القلب وهو على بُعد خطوات من الموت؟ كيف ابتسمت كاميليا و حاولت تلوين وجهها بمساحيق التجميل لتبدو أكثر جمالاً بآخر يوم لها؟ من يعيش مع اليأس يا سادة يتمنى الموت ولا يستطيع الوصول له، وإن وصل للموت يستقبله بقلب فرح، لهذا ومن بعد عائلتي منحت تلك الإبتسامة لغيرهم و غيرهم، لكن إلى هنا تنتهي الرحلة».

وقف جورج داخل ذلك القفص الحديدي والجميع ينظر له فى حالة ذهول، كيف لذلك السفاح أن يتحدث وكأنه ملاك

ظاهر؟ كيف لشخص يقبض الأواح تحت مُسمى رحمة أن يتصف بتلك الأريحية؟ أى دماء باردة تسرى بعروقه؟

نظر القاضى له غير مبالٍ للخطبة الطويلة التى سمعها، وقال: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴿٢﴾ صدق الله العظيم خلق الله الإنسان وميزه بالعقل و خص بعض خلقه منهم بالحكمة، وخص بعضهم بالجهل، فالحق بتقرير مصير الروح يرجع لواهب الروح عز وجل ولا يحق لمخلوق التعدى على حق الخالق، فهي أمانة نفخها الله بجسد بنى آدم حتى يحين موعد رد الأمانة بيوم مكتوب عنده وحده عز وجل، فقتل النفس حرام، فقال عز وجل فى محكم آياته، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَلَا تَقْسَلُوا نَفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ صدق الله العظيم.

وبعد الاطلاع على الأدلة و سماع الشهود والمرافعات والنظر لملف القضية وتحريات النيابة، مع وجود اعتراف كامل و مفصل للمتهم دون ضغط أو تعذيب، واعترافه بارتكاب الجرائم المشار إليها بملف القضية بالقتل العمد باستخدام مادة سامة تحت مُسمى قتل رحيم، و حيث نصت الفقرة الثانية من المادة ٢٣٤٤ من قانون العقوبات على أنه «يحكم على فاعل هذه الجناية (أى جناية القتل العمد) بالإعدام إذا تقدمتها أو اقترنت بها أو تلتها جناية أخرى»، وعليه:

حكمت المحكمة حضورياً و بإجماع الآراء، على المتهم - جورج جبرائيل - بإحالة أوراقه لفضيلة مفتى الجمهورية.. رفعت الجلسة.





## الفهرس

٥.....	إهداء خاص
٩.....	شكر وتقدير
١١.....	الفصل الأول
٢٠.....	الفصل الثاني
٣٦.....	الفصل الثالث
٤٤.....	الفصل الرابع
٥٥.....	الفصل الخامس
٦٤.....	الفصل السادس
٧٥.....	الفصل السابع
٨٢.....	الفصل الثامن
٨٩.....	الفصل التاسع
٩٨.....	الفصل العاشر
١١١.....	الفصل الحادى عشر
١٢١.....	الفصل الثانى عشر
١٣٦.....	الفصل الثالث عشر
١٥٥.....	الفصل الرابع عشر
١٧٢.....	الفصل الخامس عشر
١٨٧.....	الفصل السادس عشر
٢٠٢.....	الفصل السابع عشر
٢١٨.....	النهاية

